

فَتْحُ رَبِّ الْبَرِّيَّةِ
بِشَرْحِ الْمَنْظُومَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ
فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ



للأديب الشاعر
ظاهر بن غالب بن أحمد الحسني
حفظه الله



تأليف
أبي عمران عاصم بن أحمد البيطار العتمي

فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ

بِشْرَحِ الْمَنْظُومَةِ الْحَسَنِيَّةِ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيِّ

للأديب الشاعر

طاهر بن غالب الحسني

حفظه الله

تأليف

أبي عمران عاصم بن أحمد البيطار العتمي

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧ ٧٧٠١٤٥٢٢
حضر موت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضر موت سيلون شعوح - مقابل مسجد إبراهيم - ومدرسة شعوح للبنين
+٩٦٧ ٧٨٣٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمَن - عدن





المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين،
ورحمة الله للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى كل من سار على
منهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين، **وبعد:**

فهذا شرحٌ على منظومة أخينا الشاعر المبارك أبي الربيع طاهر بن غالب الحسني
الموسومة بـ **(الْمَنْظُومَةُ الْحَسَنِيَّةُ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيِّ)** كان أصلها تعليقات مختصرة عليها
طُبعت بتقديم شيخنا العلامة محدث الشام أبي أسامة سليم بن عيد الهاللي حفظه الله
وكان مما قاله في تقديمه: وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَى الْوَلَدِ الْحَبِيبِ وَالشَّاعِرِ السَّلَفِيِّ الْأَرِيبِ أَبُو
عُمَرَ عَاصِمُ الْبَيْطَارِ الْيَمَانِيُّ مَنظُومَةً فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ دَبَّجَتْهَا يَرَاعَةُ الْأَخِ الْفَاضِلِ
طَاهِرِ الْحَسَنِيِّ حَيْثُ قَامَ أَبُو عُمَرَ بِعَمَلِ حَوَاشِي مُفِيدَةٍ عَلَيْهَا؛ فَمَرَرْتُ عَلَى النَّظْمِ
وَحَوَاشِيهِ فَرَأَيْتُ نَظْمًا فَرِيدًا وَتَعْلِيْقًا مُفِيدًا يَسْتَحِقُّ النَّشْرَ؛ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ طُلَابُ الْعِلْمِ
وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى جَوَانِبِ مِنَ السَّيْرِ النَّبَوِيِّ؛ فَبَارَكَ اللَّهُ النَّازِمَ
وَالْمُحَشِّيَّ وَوَفَّقَهُمَا اللَّهُ لِكُلِّ خَيْرٍ: إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. انتهى

وقد وقع في نفسي عند انتهائي من التعليق على هذه المنظومة المباركة أن أشرحها
وأذكر بعض ما فات الناظم حفظه الله فيها مما صح سنده واشتهر ذكره وكان مما قلته
في مقدمة التعليقات: واعلم رعاك الله أنني لم أقصد شرح المنظومة وإنما أردت ذكر
مصادر حوادثها وأدلة ذلك إن وجدت ولعل الله أن ييسر بمن يشرحها شرحاً يوفّيها
حقها فهي وإن كانت سهلة يسيرة إلا أن هناك ما يحتاج إلى مزيد إيضاح واستطراء
وهناك حوادث لم يذكرها الناظم اختصاراً واكتفاءً منه بالأشهر في هذا الباب.

فاستعنت بالله في هذا الأمر فكان هذا الشرح المتواضع الذي استفدته من كتب أهل العلم وإنما أنا ناقل عنهم رحم الله من مات وحفظ الله من بقي.

وأسميت هذا الشرح بـ (فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ بِشَرْحِ الْمَنْظُومَةِ الْحَسَنِيَّةِ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيِّ) كتبه على كثرة الانشغال بكسب الحلال، والنفقة على العيال، وكربة الاغتراب، ومفارقة الأهل والأحباب، في وقتٍ نشكوا فيه إلى الله ما آلت إليه البلاد اليمنية من حروب طائفية، وتناحرات سياسية، وبلاء وبلية، أدت إلى الرحيل عنها، واستوطان غيرها، ونسأل الله فرجاً عاجلاً لليمن الميمون وسائر بلاد المسلمين.

والناظم حفظه الله هو أحد طلبة دار الحديث بدماج وأحد شعراء أهل السنة والجماعة وأدبائها الذابين عنها الذين يُشار إليهم بالبنان لقوة شعره وسهولة لفظه وجزالة نظمه وفقنا الله وإياه وثبتنا جميعاً حتى نلقاه.

وختاماً: فهذا جهد المقل، وبضاعته المزجاة، وإني لأرجو أن أكون قد وُفِّقت في هذا الشرح، وأسأل الله أن ينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ولا أدعي فيه الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جهدي _ وهو جهد المقل _ فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وتوفيق من رب كريم، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأستغفر الله تعالى منه، وشكري موصول لمن للصواب أرشدني وللخطأ نبهني.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه الغفار

أبو عمران عاصم بن أحمد البيطار

ليلة الإثنين التاسع من جمادى الأولى

لعام ١٤٤٦ هجرية

بمحل الإقامة بالرياض حرسها الله وسائر بلاد المسلمين



المنظومة الحسنية

فِي السَّيِّرَةِ النَّبَوِيَّةِ

الْمَنْظُومَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ

- ١- الْحَمْدُ لِلْمَحْمُودِ الْوَاحِدِ الْمَعْبُودِ
- ٢- حَمْدًا يَدُومُ سِرْمَدًا وَلَيْسَ يُحْصَى عَدَدًا
- ٣- ثُمَّ الصَّلَاةُ دَائِمًا تَغْشَى النَّبِيَّ الْخَاتَمَا
- ٤- خَيْرَ الْوَرَى مُحَمَّدًا مَا طَارَ طَيْرٌ وَشَدَا
- ٥- وَبَعْدَ هَذَا سَيْرُهُ مُوجَّزٌ يَسِيرُهُ
- ٦- وَاعْلَمْ بَأَنَّا نَقْتَصِرُ عَلَى أَهَمِّ مَا أُثِرُ
- ٧- وَمَا أَذِيعَ وَأَشْتَهَرُ فِي كُتُبِ أَصْحَابِ السَّيْرِ
- ٨- فَمَوْلِدُ الرَّسُولِ كَانَ بَعَامِ الْفَيْلِ
- ٩- وَفِي رَبِيعِ اشْتَهَرُ فِي غُرَّةِ الثَّانِي عَشْرِ
- ١٠- وَقَبْلَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ بَأَشْهُرٍ مَوْتُ الْأَبِ
- ١١- وَالْحِضْنُ لَأُمَّ أَيْمَنَ وَمَرْضِعَاتُ اللَّبَنِ
- ١٢- تُؤَيِّدُهُ: حَلِيمَةُ الرَّائِثُ الرَّحِيمُ
- ١٣- وَكَانَ شَقُّ صَدْرِهِ فِي أَرْبَعِ مِنْ عُمْرِهِ
- ١٤- وَبَعْدَ مَا تَتِ أُمُّهُ فَزَادَ فِيهَا يُتْمُهُ

- ١٥- لَكِنَّ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ رَعَى رِعَايَةَ الْمُحِبِّ
- ١٦- وَعَـمُّهُ مِنْ وَدَّةِ رَعَاهُ بَعْدَ جَدِّهِ
- ١٧- وَكَانَ نِعَمَ الْوَالِدِ الَّذِي دَفَعَ الْمَسْـانِدَ
- ١٨- فَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ مُتَجَرِّباً فِي عَامِ
- ١٩- وَمَعَهُ مُحَمَّدٌ يَحْفَظُهُ وَيُسَعِّدُ
- ٢٠- سَارَ بِهِ لَمَّا رَحَلَ يُنْزِلُهُ حَيْثُ نَزَلَ
- ٢١- فَأَبْصَرُوا السَّحَابَا تَظَلُّلَ الرِّكَابَا
- ٢٢- وَصَادَفُوا بَـحِيرَا الْعَالَمِ النَّحْرِيَّ رَا
- ٢٣- فَقَالَ رُدَّ أَحْسَدَا أَخْشَى عَلَيْهِ الْحَسَدَا
- ٢٤- وَكَانَ أَشْرَفُ الْوَرَى فِي عُمْرِهِ اثْنَيْ عَشَرَ
- ٢٥- وَسَارَ لِلتَّجَارَةِ لِلْحُرَّةِ الْمُخْتَارَةِ
- ٢٦- خَدِيجَةَ ذَاتِ الْحَسَبِ شَرِيفَةَ جَدِّ وَأَبِ
- ٢٧- وَكَانَ عُمْرُ الْمُصْطَفَى خَمْسًا وَعِشْرِينَ وَفِي
- ٢٨- ثُمَّ قَضَى تَزْوِيجَهُ بِأُمَّنَا خَدِيجَةَ
- ٢٩- فَكَانَ مِنْهَا الْقَاسِمُ وَزَيْنَبُ وَفَاطِمُ
- ٣٠- كَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ رَبُّ الْجَبِينِ الزَّاهِي
- ٣١- وَأُمُّ كُلُّهُمُومٌ كَذَا رُقِيَّةً نَفَحَ الشَّدَا
- ٣٢- فِي مَكَّةَ نَشَأَتْهُ وَذَاعَ فِيهَا صَيْتُهُ
- ٣٣- سَمَّوْهُ عَنْ يَقِينِ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ

- ٣٤- وَمَشْهُدُ الرَّسُولِ
بِهَذَا حِلْفُ الْفُضُولِ
- ٣٥- أَعَانَ فِي الْبِنَاءِ
لِلْكَعْبَةِ الْغُرَاءِ
- ٣٦- وَحَكْمُوهُ فِي الْحَجَرِ
كَمَا بَدَا صَحَّ الْخَبَرِ
- ٣٧- وَعُومَرُهُ خَمْسٌ مَضَتْ
بَعْدَ ثَلَاثِينَ انْقِضَتْ
- ٣٨- وَكَأَن يَخْلُو فِي حِرَا
يَعْبُدُ خَلَّاقَ النُّورِ
- ٣٩- وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ
فِيهِ التَّقَى الْأَمِينَا
- ٤٠- فَكَأَن بَدَأَ مَا نَطَقَ
بِهِ أَوَائِلَ الْعَلَقِ
- ٤١- فَارْجَعَ الرَّسُولُ
لِزَوْجِهِ يَهُودُ
- ٤٢- قَدْ كَذْتُ يَوْمِي أَهْلِكَ
لَمَّا أَتَانِي الْمَلِكُ
- ٤٣- فَإِذْ بِهَا مُنْطَلِقُهُ
إِلَى الْكَرِيمِ وَرَقَهُ
- ٤٤- أَخْبَرَهُ بِمَا حَصَلَ
وَمَا عَلَيْهِ قَدْ نَزَلَ
- ٤٥- فَقَالَ بَعْدَ مَا اسْتَمَعَ
يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعُ
- ٤٦- ثُمَّ دَعَا سِرًّا إِلَى
دِينِ الْهُدَى مُمْتَثِلَا
- ٤٧- وَكَأَن بِالْتَّمَامِ
ثَلَاثَةَ الْأَعْوَامِ
- ٤٨- أُبِيدَ بِالْأَيَّامِ
خَوَارِقِ الْعَادَاتِ
- ٤٩- وَأَسْلَمَ الْجِنُّ عَلَى
نَخْلَةٍ لَمَّا أَنْ تَلَا
- ٥٠- وَرَجَعُوا فِي عَجَلِ
يَدْعُونَ لِلْمُنْزَلِ
- ٥١- ثُمَّ دَعَا جَهَارًا
وَأَنْذَرَ الْكُفَّارَا
- ٥٢- فَارْدَّ قَوْمٌ دَعْوَتَهُ
وَأَكْمَرُوا أَدِيَّتَهُ

- ٥٣- وَعَذَّبُوا مَنْ أَسْلَمَا
وَبَعْضُهُمْ قَدْ أَغْدِمَا
٥٤- وَحَفِظَ اللَّهُ النَّبِيَّ
بِعَمِّهِ ذِي الْحَسَبِ
٥٥- وَسَالَاؤُهُ آيَةً
تَدْعُو إِلَى الْهَدَايَةِ
٥٦- فَكَانَ شَقُّ الْقَمَرِ
وَعِبْرَةُ الْمُتَعَبِّرِ
٥٧- فَلَمْ يُطِيعُوا أَمْرَهُ
وَقَدْ أَرَادُوا ضَرْهَهُ
٥٨- فَفَرَّ بِغَضِّ الصَّحْبِ
مَنْ نَصَبٍ وَكَرْبِ
٥٩- مِنْ مَكَّةَ الْمُسْتَوْحِشَةِ
إِلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ
٦٠- فَكَانَ كُلُّ مَنْ هَجَرَ
مِنَ الرَّجَالِ اخْدَى عَشْرَ
٦١- أَمَّا النِّسَاءُ أَرْبَعُ
لَمَّا تَنَاهَى الْوَجَعُ
٦٢- وَابْنُ أَبِي قُحَافَةَ
هَاجَرَ مِنْ مَخَافَتِهِ
٦٣- وَعَادَ فِي الْجَوَارِ
مِنْ بَعْدِ هَجْرِ الدَّارِ
٦٤- وَهَذِهِ أَوْلَاهُمَا
وَتَلَكُمُ إِخْوَاهُمَا
٦٥- ثُمَّ تَلَا التَّجْمَ وَقَدْ
فِي آخِرِ النَّجْمِ سَجْدُ
٦٦- فَسَجَدَ الْكُلُّ مَعَهُ
وَكُلُّ مَنْ قَدْ سَمِعَهُ
٦٧- فَعَادَ بَعْضُ مَنْ هَجَرَ
إِذْ أَنَّهُ زَالَ الْخَطَرُ
٦٨- ظَنُّوا قُرَيْشًا أَسْلَمُوا
وَبِالْكِتَابِ اعْتَصَمُوا
٦٩- لَكِنَّهُ وَبِعَدَا
زَادَ عَلَيْهِمُ الْإِدَى
٧٠- فَهَاجَرُوا فِي الثَّانِيَةِ
نَحْوَ الْقُلُوبِ الْحَانِيَةِ
٧١- وَكَانَ كُلُّ الْعَدَدِ
عَلَى الثَّمَانِينَ زِدَ

جَهْرًا وَلِلدَّيْنِ نَصْرًا

مِنْ أَكْلِهِمْ وَالشُّرْبِ

ذَاقُوا الضُّعْفَ وَالْوَجْعَا

فَزَادَ فِيهِ عَمُّهُ

يَحْمِيهِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ

فِي عَامِهِ تُؤْفِتُ

مِنْ بَعْدِهَا بِسُودَةٍ

يَطْلُبُ أَمِنْ الْخَائِفِ

بَغِيًّا وَأَذَمُوا قَدَمَهُ

سَلَاةً بِالْإِنْشَاءِ

بِهِ تَرْقَى وَسَمَا

خَمْسِينَ ثُمَّ خُمُفَتْ

يَدُورُ بَيْنَ الْخِيَمِ

مِنْ أَلْعَدَا يَكْفِينِي

السَّيْدُ إِلَيَّ كَمَا نِي

لِمَنْ وَرَائِي أَسْأَلُ

يَا أَشْرَفَ الْأَنْبَامِ

الْقَلْعَةِ الْحَصِينَةِ

وَحَيْزَةِ الْأَخْيَارِ

٧٢- وَأَسْلَمَ الْفَذُّ عُمُرُ

٧٣- ثُمَّ حَصَارُ الشُّعْبِ

٧٤- فَدَامَ عَامَيْنِ مَعَا

٧٥- وَمَاتَ بَعْدُ عُمُّهُ

٧٦- إِذْ أَتَاهُ كَانَ السَّيْنَدُ

٧٧- ثُمَّ خَدِجَةُ قَضَتْ

٧٨- وَقَدْ أَتَمَّ عَقْدَهُ

٧٩- ثُمَّ مَضَى لِلطَّائِفِ

٨٠- فَحَرَّضُوا مَنْ رَجَمَهُ

٨١- وَبَعْدَ ذَلِكَ الْعَنَاءِ

٨٢- ثُمَّ الْعُرُوجُ لِلسَّامَا

٨٣- فِيهَا الصَّلَاةُ فَرَضَتْ

٨٤- وَكَانَ وَقْتُ الْمَوْسِمِ

٨٥- يَقُولُ مَنْ يُؤْوِينِي

٨٦- فَوَأَقَّ اللَّهُمَّ دَانِي

٨٧- وَقَالَ سَوْفَ أَعْجَلُ

٨٨- وَالْوَعْدُ بَعْدَ عَامِ

٨٩- فَجَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ

٩٠- وَفَدَّ مِنَ الْأَنْصَارِ

- ٩١- وَكَانَ ذَا فِي رَجَبٍ
بِعَمَلُهُ وَفَدِيَتْهُ رِبِ
٩٢- فِي سَنَةِ الْحَادِي عَشَرَ
مَنْ بَعَثَ أَشْرَفَ الْبَشَرِ
٩٣- وَالْعَدَدُ اثْنَا عَشَرَ
فَبَايَعُوا الْمُبَشَّرَا
٩٤- وَمَرَّ عَامٌ وَاحِدٌ
حَتَّى إِلَى إِلَيْهِ عَاوَدُوا
٩٥- وَبَايَعُوهُ الثَّانِيَهُ
أَهْلُ الْقُلُوبِ الْحَايِيَهُ
٩٦- سَبْعِينَ كَانَ الْعَدَدُ
وَمَا تَوَانَى أَحَدٌ
٩٧- كَلَامُهُمَا فِي الْعَقَبَةِ
وَنَفَّذُوا مَا طَلَبَهُ
٩٨- ثُمَّ إِلَيْهِمْ هَاجَرَتْ
جَمَاعَتُهُ وَسَافَرَتْ
٩٩- عَشْرُونَ شَخْصًا قَدْ هَجَرُوا
مِنْهُمْ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ
١٠٠- وَالْإِذْنَ بَعْدَ نَزَلَا
لِلْمُصْطَفَى أَنْ يَرْحَلَا
١٠١- فَجَاءَ وَقَتَ الظُّهْرِ
مُلْتَمِعَةً فِي سِيَرِ
١٠٢- إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَتَى
وَلِلرَّحِيلِ وَقَاتَا
١٠٣- فَدَخَلَا فِي الْغَارِ
إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَتَى
١٠٤- أَوَى ثَلَاثًا فِيهِ
فَدَخَلَا فِي الْغَارِ
١٠٥- وَالْمُشْرِ كُنْ أَجْتَمَعُوا
فَدَخَلَا فِي الْغَارِ
١٠٦- مَا لَمْ يَنْقُتْ لَهُ
وَالْمُشْرِ كُنْ أَجْتَمَعُوا
١٠٧- فَاقْتَصَّ هُمْ سُورَاقَهُ
وَالْمُشْرِ كُنْ أَجْتَمَعُوا
١٠٨- حَتَّى إِذَا مَا أَوْشَكََا
وَالْمُشْرِ كُنْ أَجْتَمَعُوا
١٠٩- فَسَاحَ سَاقُ الْفَرَسِ
وَالْمُشْرِ كُنْ أَجْتَمَعُوا

وَسَوْفَ أَخْفِي أَمْرَكُمْ

خَرَيْتَ لَمْ يُفْرِطِ

ضَحَى عَلَى أَرْضِ قُبَا

مَنَارَ خَيْرٍ وَهُدَى

إِلَى أَبِي أَيُّوبِ

وَلِلصَّالَةِ شَرَّعَا

بِالثَّمَنِ الْمُحَدَّدِ

وَبَدَأَ الْإِخَاءَ

وَمَنْ إِلَيْهِمْ هَاجَرُوا

جَاءَ بِهِ الْبَيَانُ

بِالْمُفْرَدَاتِ نَاطِقَهُ

وَأَكَّادَ الْعُهُودَا

عَائِشَةَ الْبِكْرِ تَلَا

بِذُلِّ لَقَا الْأَعْدَاءَ

لِسَلْبِ مَالِ الْكُفْرِ

عُبَيْدَةَ ابْنَ الْحَارِثِ

فِي أَوَّلِ الصَّوْلَاتِ

أَوَّلَ رَمْيِ الْجُنْدِ

وَأَهْلَهَا أَحَاطَا

١١٠- فَقَالَ لَنْ أَضْرَّكُمْ

١١١- وَاسْتَأْجَرُوا ابْنَ أَرْقَطِ

١١٢- وَقَدْ أَنَاخَ الْمَرْكَبَا

١١٣- أَشَسَ فِيهَا الْمَسْجِدَا

١١٤- وَسَارَ بِالرَّكُوبِ

١١٥- وَفِي الطَّرِيقِ جَمَعَا

١١٦- وَابْتِغَاءَ أَرْضِ الْمَسْجِدِ

١١٧- فَشَيَّ دَ الْبِنَاءَ

١١٨- بَيْنَ الَّذِينَ نَاصَرُوا

١١٩- وَشُرِعَ الْأَذَانُ

١٢٠- رُؤْيَا رَأَوْهَا صَادِقَهُ

١٢١- وَوَادَعَ إِلَيْهِ هُودَا

١٢٢- ثُمَّ زَوَّجَهُ عَلَى

١٢٣- وَغَزَا زَوْءَ الْأَبْوَءِ

١٢٤- ثُمَّ لِسَيْفِ الْبَحْرِ

١٢٥- وَخَصَّ خَيْرُ بَاعِثِ

١٢٦- بِأَوَّلِ الرَّايَاتِ

١٢٧- فَكَانَ سَهْمُ سَعْدِ

١٢٨- وَقَدْ أَتَى بَوَاطَا

- ١٢٩- ثُمَّ إِلَى الْعَشِيرَةِ جَدَّ إِلَيْهَا سَاسِيرَهُ
١٣٠- وَبَعْدَهَا لَبَدْرٍ يَطْلُبُ كُرْزَ الْفَهْرِ
١٣١- فَفَاسَاتُهُمْ وَفَرَّ وَتَلَّكَ بَدْرُ الصُّغْرَى
١٣٢- وَبَعْدَ غَزْوِ نَخْلَةٍ تَحْوِيْلُ أَمْرِ الْقِبْلَةِ
١٣٣- وَذَا بَعَامِ اثْنَيْنِ فِي أَصْرَحِ الْقَوْلَيْنِ
١٣٤- وَفِي ثَنَائِهَا الْعَامِ الْأَمْرُ بِالصَّيَامِ
١٣٥- وَكَانَ خَيْرُ شَهْرِ مَوْعِدِ يَوْمِ النَّصْرِ
١٣٦- فَفَقَدْ أَذَلَّ الْكُفْرَا رَبِّي بِبَدْرِ الْكُبْرَى
١٣٧- وَضَمَّنَ أَشْرَى الْكُفْرِ عَمُّ الرُّسُولِ الْبَرِّ
١٣٨- وَالْقَتْلُ بَعْدَ الْأَسْرِ لِعُقْبَةِ وَالنَّضْرِ
١٣٩- ثُمَّ سُلَيْمًا قَدْ غَزَا بِنَفْسِهِ تَجَهَّزَا
١٤٠- وَقَيْنَقَاعَ بَعْدَهَا لَمَّا أَصْبَحَتْ عَنْهَا
١٤١- وَبَعْدَ ذَلِكَ الْأَمْرِ يَلِي فَاطِمَةُ الزَّهْرَا عَلِي
١٤٢- ثُمَّ غَدَا وَضَحَى فِي يَوْمِ عِيدِ الْأَضْحَى
١٤٣- وَبَعْدَ كَشْفِ الْكَرْبِ دَعَا لِقَتْلِ كَعْبِ
١٤٤- ثُمَّ السُّوَيْقُ حَيْثُ فَرَّ صَخْرٌ وَبَعْدُ ذِي أَمْرِ
١٤٥- وَبَعْدَ ذَلِكَ قَرْقَرَهُ يَطْلُبُ جَمْعَ الْكَفَرِ
١٤٦- ثُمَّ إِلَى بُحْرَانَ وَمَا التَّقَى الْجَيْشَانِ
١٤٧- وَالْغَزْوَةُ الْمُسَدَّدَةِ عَلَى نَوَاحِي قَرَدَهُ

- ١٤٨- ثُمَّ تَزَوَّجَ الْأَعْرُ
بِحَفْصَةِ بَنَاتِ عَمْرِ
١٤٩- وَيَعْدُ تِلْكَ زَيْنَبُ
إِلَى هَلَالٍ تُنْسَبُ
١٥٠- وَالْكَفْرُ بَعْدُ حَشْدًا
وَجَاءَ بَعِيًّا أَحَدًا
١٥١- فَكَانَ مَقْتُلُ الْأَسَدِ
حَمْزَةَ ذِي الْبَأْسِ الْأَسَدِ
١٥٢- وَجُورِ الرُّسُولِ
وَهُوَ وَبِهِ يَصْطُولُ
١٥٣- وَجَاءَ حَمْرَاءُ الْأَسَدِ
فَلَمْ يُقَابِلْهُ أَحَدٌ
١٥٤- ثُمَّ ابْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ
سَارَ لِحَمْعِ الْأَسَدِ
١٥٥- كَذَا أَنْيْسُ رَحَلًا
إِلَى هَذَا ذَيْلٍ عَجَلًا
١٥٦- ثُمَّ عَلَى الرَّجِيْعِ
الْغَنَاءُ بِالْجَمْعِ
١٥٧- فِي عَضَلٍ وَالْقَارَةِ
الْفِئَةِ الْغَدَارَةِ
١٥٨- وَغَدَرَةُ الْأَعْدَاءِ
بِخَيْرَةِ الْقُرَاءِ
١٥٩- عَادَا عَلَيْهِمْ غَادِرُ
ابْنُ الطُّفَيْلِ عَامِرُ
١٦٠- وَالْأَمْرُ لِلنَّذِيرِ
يُجْلِي بَنِي النَّضِيرِ
١٦١- وَيَعْدُ أَنْ قَدْ تَمَمَهُ
بَنِي بِأَمِّ سَلَمَةَ
١٦٢- ثُمَّ عَلَى الْوَعْدِ أَتَى
بَذَرًا عَلَى مَا وَفَّتَا
١٦٣- وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَا
جَيْشًا يَهْزُ الْأَسَلَا
١٦٤- لَطِيئِي وَأَسَدِ
فَلَمْ يَجِدْ مِنْ أَحَدٍ
١٦٥- وَدُومَةَ الْجَنْدَلِ قَدْ
جَاءَ فَفَرَّقَ الْعَدَدُ
١٦٦- وَادَعَ بَعْدَ الْأَمْنِ
عَيْنَةَ بَنِي حِصْنِ

- ١٦٧- وَالْحَمَرُ حَرَّمَ النَّبِي
ثُمَّ زَوَّجَ زَيْنَبَ
- ١٦٨- وَالْأَمْرُ بِالْحِجَابِ
كَانَ عَلَى الصَّوَابِ
- ١٦٩- فِي رَابِعِ السَّنِينَ
مِنْ هِجْرَةِ الْأَمِينِ
- ١٧٠- وَفِي الْمَرْسَعِ النَّقِيِّ
عَزَابَتِي الْمُصْطَلِقِ
- ١٧١- وَفِي السَّبَايَا الْمُغْرِيَةِ
زَوَّجْتُهُ جُـ وَوَيْرِيَةِ
- ١٧٢- وَقَامَ أَهْلُ الشَّكِّ
فِيهَا بَنَشْرِ الْإِفْكِ
- ١٧٣- وَعَزَوْتُ الْأَخْزَابِ
صَائِقَةُ الْأَصْحَابِ
- ١٧٤- ثُمَّ قُرِيطَةَ الْيَهُودِ
النَّاكِثِينَ لِلْعُهُودِ
- ١٧٥- ثُمَّ اصْطَفَى رِيحَانَهُ
رَفِيعَةَ الْمَكَائِنِ
- ١٧٦- ثُمَّ مَضَى الْعَدْنَانِي
إِلَى بَنِي لَحْيَانِ
- ١٧٧- غَزَاهُمْ وَعَادَا
وَذَاكَ فِي بَنِي جَمَّادَى
- ١٧٨- وَبَعْدَهَا جَيْشُ الْخَبْطِ
لِسَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَطِ
- ١٧٩- ثُمَّ إِلَى الْحُدَيْيَةِ
صُلِحَ الشَّرُوطِ الْمُنْكَيَةِ
- ١٨٠- وَبَيَعَهُ الرِّضْوَانِ
عِنْدَ اخْتِفَا عُثْمَانِ
- ١٨١- وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَا
إِلَى الْمُلُوكِ الرُّسُلَا
- ١٨٢- وَنَالَ فِي الْهَدْيَةِ
مَارِيَةَ الْقَبْطِيَّةِ
- ١٨٣- لَهُ مِنْهَا الْكَرِيمُ
الْأَبْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمِ
- ١٨٤- وَبَعْدَهَا ذِي قَرْدٍ
عِنْدَ فِرَارِ الْمُعْتَدِي
- ١٨٥- وَبَعْدَ ذَلِكَ عُرَيْنَةُ
وَعُكْلُ الْمَهِينَةِ

- ١٨٦- وَبَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ
 ١٨٧- وَوَضَعُوا السُّمَّ لَهُ
 ١٨٨- ثُمَّ اضْطَفَى صَفِيَّةَ
 ١٨٩- وَحُزِرَ التَّمَتُّعُ
 ١٩٠- وَخِطْبَةُ الْعَدْنَانِي
 ١٩١- وَكَانَ قَدْ أَمَّهَرَهَا
 ١٩٢- خَيْرُ الْمُلُوكِ أَصْحَمَهُ
 ١٩٣- وَبَعْدَهَا فَتَحَ فَدَكَ
 ١٩٤- ثُمَّ إِلَى وَادِي الْقُرَى
 ١٩٥- وَصَالَحَتْ تَيْمَاءُ
 ١٩٦- ثُمَّ إِلَى ذَاتِ الرِّقَاعِ
 ١٩٧- بِهَا صَلَاةُ الْخَوْفِ
 ١٩٨- ثُمَّ لِعُمْرَةِ الْقَضَا
 ١٩٩- وَضَمَّ أَكْرَمَ الْبَشَرِ
 ٢٠٠- ثُمَّ إِلَى مُؤْتَةِ قَدْ
 ٢٠١- وَبَعْدَهَا السَّلَاسِلُ
 ٢٠٢- وَمَكَّةَ قَدْ فَتَحَا
 ٢٠٣- ثُمَّ إِلَى الْعُزَى مَضَى
 ٢٠٤- وَجَاءَ عَمْرُو بَعْدَهَا
- كَانَ مَجْحِيءٌ جَعْفَرُ
 فِي الشَّاةِ كَيْ يَقْتُلَهُ
 الْبَرَّةَ التَّقِيَّةَ
 وَلَحْمَ حُمُرٍ مُنْعُوا
 بَنَاتِ أَبِي سُفْيَانَ
 وَلِلنَّاسِ سَيِّرَهَا
 ذُو السَّيْرِ الْمَكْرَمَهُ
 أَحْرَزَهَا مِنْ دُونِ شَاكٍ
 غَادَرَهُ مُتَصِصًا رَا
 لِتُحْفَظَ الدَّمَاءُ
 وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قِرَاعُ
 وَاضِحَةً فِي الْوَضْفِ
 فِي سَابِعِ الْعَامِ مَضَى
 مَيْمُونَةً فِي ذَا السَّفَرِ
 وَجَّهَهُ جَيْشًا ذَا عَدَدُ
 وَالنَّصْرُ فِيهَا نَازِلُ
 فَأَشْرَقَ النَّصْرُ ضَحَى
 خَالِدٌ حَيْثُ قَوَّضَا
 سُوَاعَ حَتَّى هَدَّهَا

- ٢٠٥- وَهَدَّ سَعْدُ الْأَشْهَلِي
مَنَاةَ بِالْمُشَلَّلِ
- ٢٠٦- وَالْوَقْعَةُ الْأَلِيمَةُ
عَلَى بَنِي جَذِيمَةَ
- ٢٠٧- ثُمَّ حَنَيْنٌ: وَأَنْتَ صَرُ
بَعْدَ عَنَاءٍ وَخَطَرُ
- ٢٠٨- ثُمَّ إِلَى ثَقِيفِ
بِحَبْلِهِ الْكَثِيفِ
- ٢٠٩- حَاصِرَهَا ثُمَّ رَجَعَ
يُقْسِمُ مَا كَانَ جَمْعُ
- ٢١٠- ثُمَّ مَضَى مُعْتَمِرًا
مُتَلَبِّيًا مَوْقِرًا
- ٢١١- وَجَدَّ فِي الْمَسِيرِ
وَالسَّيْرِ الْعَسِيرِ
- ٢١٢- إِلَى تَبُوكَ عَازِيَا
وَلِلْأَلَا دَاعِيَا
- ٢١٣- وَالْمَسْجِدُ الضَّرَارُ
هَدَمَهُ الْمَخْتَارُ
- ٢١٤- ثُمَّ ثَقِيفُ بَعَثَتْ
بِوَفْدِهَا وَأَسْلَمَتْ
- ٢١٥- وَهَدَمَ الْمُغِيرَةُ
الصَّامِتَ الشَّهِيرَةَ
- ٢١٦- ثُمَّ وَفُودُ الْعَرَبِ
جَاءَتْ شَرِيفَ النَّسَبِ
- ٢١٧- وَفِي تَمَامِ تَسْعِ
حَاجَّ بِكُلِّ الْجَمْعِ
- ٢١٨- الصَّاحِبُ الرَّفِيقُ
النَّاسِكُ الصَّدِيقُ
- ٢١٩- وَقَالَ تَمَّ النُّسْكُ
فَلَا يَحْجُجُ مُشْرِكُ
- ٢٢٠- وَلَا يَطُوفُ عَارِي
مَنْ مَعَشَرَ الْكُفَّارِ
- ٢٢١- وَالْخُطْبُ الشَّهِيرُ
فِي الْحَجَّةِ الْأَخِيرَةِ
- ٢٢٢- لَمْ يَحْ بِالْوَدَاعِ
فِي أَطْهَرِ الْبِقَاعِ
- ٢٢٣- ثُمَّ إِلَى الرُّومِ أَمْرُ
جَيْشًا يَلَاقِي مَنْ كَفَرُ

- ٢٢٤- أَمِيرُهُ أَسَامَةٌ ذُو الْقَلْبِ وَالْإِمَامَةِ
- ٢٢٥- وَمَاتَ خَيْرُ الْبَشَرِ مِنْ قَبْلِ بَدْءِ السَّفَرِ
- ٢٢٦- وَالْعُمُرُ عَنْ يَقِينِ ثَلَاثُ مَعِ سِتِينَ
- ٢٢٧- صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا سَحَّحَ الْمِيَاهُ
- ٢٢٨- مِنْ وَاحِفِ السَّحَابِ وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ
- ٢٢٩- وَتَمَّ نَظْمُ الْحَسَنِی بِفَضْلِ مُسَدِّي الْمَنَنِ
- ٢٣٠- أَرْجُو بِهِ السَّلَامَةَ مِنْ كُرْبِ الْقِيَامَةِ

تم الفراغ منها يوم الأربعاء ٢٩ / ٧ / ١٤٤٣ هـ



A decorative black floral border with intricate scrollwork and leaf patterns, framing the central text.

فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ

بِشْرَحِ الْمَنْظُومَةِ الْحَسَنِيَّةِ

فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

المقدمة

قال الناظم وفقه الله:

- ١- الْحَمْدُ لِلْمَحْمُودِ الْوَاحِدِ الْمَعْبُودِ
 ٢- حَمْدًا يَدُومُ سَرْمَدًا وَلَيْسَ يُحْصَى عَدَدًا
 ٣- ثُمَّ الصَّلَاةُ دَائِمًا تَغْشَى النَّبِيَّ الْحَاتِمًا
 ٤- خَيْرَ الْوَرَى مُحَمَّدًا مَا طَارَ طَيْرٌ وَشَدَا
 ٥- وَبَعْدُ هَذَا السَّيْرِ مُوجَزَةٌ يَسِيرَةٌ
 ٦- وَاعْلَمْ بَأَنَّا نَقْتَصِرُ عَلَى أَهَمِّ مَا أَثَرُ
 ٧- وَمَا أَذِيعَ وَأَشْتَهَرُ فِي كُتُبِ أَصْحَابِ السَّيْرِ

الشرح

بدأ الناظم وفقه الله منظومته بالحمد والثناء اقتداءً بالكتاب العظيم لأن أول الفاتحة وهي أول سورة في القرآن فيها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. والحمد في اللغة هو: نقيض الذم.

قال ابن فارس رحمه الله: الحاء والميم والdal كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم، يقال: حمدت فلانا أحمده، ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة.. ولهذا الذي ذكرناه سمي نبينا محمدا ﷺ. ^(١)

وفي الاصطلاح: وصف المحمود بالكمال على وجه المحبة والتعظيم، فإن كرر الوصف صار ثناء، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن الله تبارك وتعالى يقول:

(١) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠)

قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثني علي عبدي. ^(١)
قوله: للمحمود.

أي المستحق للحمد والمحمود على كل حال فاللام هنا للتخصيص ولا يعلم أنه اسم لله سبحانه وتعالى وهو من معاني الحميد.
قال ابن كثير رحمه الله: الحميد، أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره. ^(٢)

قوله: الواحد.
الواحد اسم من أسماء الله تعالى ودليله قوله تعالى: ﴿وَالْأَلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

قال السعدي رحمه الله: أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفؤ له، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه. ^(٣)

قوله: المعبود: أي من يعبد الخلق سبحانه ولا يعلم أنه اسم لله ولكن يجوز الاخبار عن الله بذلك.

قال العلامة عبد العزيز الراجحي: أما لفظ المعبود فلا يظهر لي أنه من أسماء الله، وإنما يخبر به عن الله، فيقال بأنه المعبود؛ لأنه المعبود بحق، وإلا فهناك معبودون

(١) شرح العقيدة السفارينية للعثيمين (١/ ٣٣) والحديث المشار إليه رواه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩٩)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٧)

غيره، لكن عبدوا بالباطل، فالله تعالى هو المعبود بحق، ومما يؤخذ على التسمية بعبد المعبود أن الله تعالى معبود وغيره معبود، فالنار معبودة، أي: عبدت من دون الله، والشمس كذلك عبدت من دون الله، والآدمي عبد، والملائكة عبدت، فالله هو المعبود بحق وغيره معبود بالباطل، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] ^(١)

قوله:

حَمْدًا يَدُومُ سَرْمَدًا وَلَيْسَ يُحْصَى عَدَدًا

أي: أحمده سبحانه حمدًا يدوم بلا انقطاع ولا يحصى ولا يعد لكثرتة ومن ذلك قول النبي ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». ^(٢)

قوله:

ثُمَّ الصَّلَاةُ دَائِمًا تَغْشَى النَّبِيَّ الْخَاتِمًا
خَيْرَ الْوَرَى مُحَمَّدًا مَا طَارَ طَيْرٌ وَشَدَا

بعد أن حمد الله وأثنى عليه أتبع ذلك بالصلاة على النبي ﷺ.
ومعنى الصلاة على النبي ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي العالية التابعي الجليل أنه قال: «صلاة الله على عبده ثناؤه عليه في الملائكة الأعلى». ^(٣)

قوله: النَّبِيُّ الْخَاتِمًا.

أي: من ختم الله به الرسالة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

قوله: خَيْرَ الْوَرَى مُحَمَّدًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من

(١) دروس في العقيدة (٤ / ٢٥)

(٢) رواه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر الشرح الممتع (٣ / ١٦٣، ١٦٤).

ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»^(١).

وقد فهم العلماء من هذا النص وغيره من النصوص الواردة في فضائل نبينا ﷺ أنه أفضل الخلق.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم لأن مذهب أهل السنة أن آدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفضل آدميين وغيرهم. اهـ^(٢)
وقد تتابع العلماء على وصف النبي ﷺ بأنه أفضل الخلق صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.^(٣)
وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وهو أفضل من جميع الخلق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين.^(٤)
قوله: مَا طَارَ طَيْرٌ وَشَدَا.

يعرف الطير بشدوه، والمرء بمنطقه - شدا العصفور: زقزق، غرد.^(٥)

قوله:

وَبَعْدُ هَذَا السَّيْرِ	مُوجَزَةً يَسِيرُهُ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّا نَقْتَصِرُ	عَلَى أَهَمِّ مَا أُثِرُ
وَمَا أُذِيعَ وَاشْتَهَرَ	فِي كُتُبِ أَصْحَابِ السَّيْرِ

(١) رواه مسلم (٤٢٢٣)

(٢) شرح النووي على مسلم (٣٧ / ١٥)

(٣) مجموع الفتاوى (٣١٣ / ١)

(٤) تفسير ابن كثير (٢٥٥ / ١)

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة (١١٧٩ / ٢)

بين الناظم في هذه الأبيات أنه أوجز في نظم سيرة النبي ﷺ واختصر في ذلك وأنه اقتصر على أهم الأحداث النبوية معتمداً على ما صح في ذلك وما اشتهر عند أهل السير.



مولده ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

٨- فَمَوْلَى الرُّسُلِ كَأَنَّ بَعَامَ الْفِيلِ

٩- وَفِي رَيْعٍ أَشْتَهَرَ فِي غُرَّةِ الثَّانِي عَشَرَ

الشرح

ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ عام الفيل»^(١).قال ابن القيم رحمته الله: لا خلاف أنه ولد ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل^(٢).

وحادثة الفيل ثابتة الوقوع بنص القرآن قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ ٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۚ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُولٍ ۚ ٥﴾ [الفيل: ١-٥]

قال السعدي رحمته الله: أي: أما رأيت من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق رسوله محمد ﷺ، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا إخراجه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم، أرسل الله

(١) صحيح: أخرجه البزار (٤٧٦٢) والطبراني (٤٧/١٢) (١٢٤٣٢) والحاكم (٤١٨٠) وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٦) رجاله موثقون. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٥٢) والوادعي في الصحيح المسند (٧٠٠)

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٦)

عليهم طيرا أبابيل أي: متفرقة، تحمل حجارة محماة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبع قاصيهم ودانيهم، فخدموا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، [وقصتهم معروفة مشهورة] وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، فصارت من جملة إرهابات دعوته، ومقدمات رسالته، فله الحمد والشكر. (١)

قوله:

وَفِي رَبِيعٍ أَشْتَهَرُ فِي غُرَّةِ الثَّانِي عَشَرَ

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا هو المشهور عند الجمهور. (٢)

وولد ﷺ يوم الاثنين لما ثبت عن أبي قتادة أن أعرابيا قال: يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين؟ فقال: ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه. (٣)
وقد ظهر عند ولادته نور من أمه ﷺ أضاءت منه قصور الشام.

عن العرياض بن سارية الفزاري رحمه الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني - عند الله - مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طيئته وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت - حين وضعتني - أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام. (٤)

وعن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ، أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، فقال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت

(١) تفسير السعدي (ص ٩٣٥)

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٣٧٥)

(٣) رواه مسلم (١١٦٢)

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٧١٦٣) - وابن حبان (٦٤٠٤) - والحاكم (٤٢٣٠) وحسنه بن تيمية في الرد على البكري (٦١) وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٦) والألباني في هداية الرواة (٥٦٩١) والصحيحة (١٥٤٦ و ١٩٢٥)

بي أنه خرج منها نور أضاءت له بصرى وبصرى من أرض الشام. ^(١)



(١) جيد: رواه الحاكم (٤١٧٤) وقال: خالد بن معدان من خيار التابعين، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة فإذا أسند حديثا إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وجود إسناده ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٩٩) والألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ١٦)

موت أبيه ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

١٠- وَقَبْلَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ بِأَشْهُرٍ مَمْنُوتُ الْأَبِ

الشرح

قال ابن القيم رحمه الله: واختلف في وفاة أبيه عبد الله: هل توفي ورسول الله ﷺ حمل، أو توفي بعد ولادته؟ على قولين أصحهما: أنه توفي ورسول الله ﷺ حمل. (١)

وقال ابن كثير رحمه الله: والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه، على المشهور. (٢)

وقال: وهذا أبلغ اليتيم، وأعلى مراتبه. (٣)

وهذا هو المشهور الذي رجحه ابن إسحاق وابن سعد. (٤)

وروى الحاكم عن قيس بن مخرمة رضي الله عنه أنه ذكر ولادة رسول الله ﷺ قال: توفي أبوه وأمه حبلً به. (٥)



(١) زاد المعاد (١/ ٥٩)

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٣٨٢)

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٣٨٣)

(٤) انظر السير والمغازي لابن إسحاق (٤٥) والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٩٩ - ١٠٠)

(٥) ضعيف: رواه الحاكم (٤٢٤٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي مع أن في إسناده صدقة بن سابق والمطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة لم يخرج لهما مسلم شيئاً ولم يوثقهما سوى ابن حبان وهو متساهل في التوثيق. انظر السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (١/ ٩٥)

مسألة ختان النبي ﷺ

قد اختلف أهل العلم هل وُلد النبي ﷺ مختوناً أم أنه خُتن على عادة العرب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين صنف أحدهما مصنفاً في أنه ولد مختوناً، وأجلب فيه من الأحاديث التي لا خطام لها ولا زمام، وهو كمال الدين بن طلحة^(١)، فنقضه عليه كمال الدين بن العديم^(٢)، وبين فيه أنه ﷺ ختن على عادة العرب، وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنياً عن نقل معين فيها، والله أعلم.^(٣)

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: قلت: وهذا الذي ذهب إليه الكمال بن العديم رَحِمَهُ اللهُ، هو الذي تطمئن إليه النفس، وينشرح له الصدر، وهو الذي يبدو أنه مال إليه ابن عبد البر^(٤)؛ فإنه قال عقب الحديث المشار إليه: وفي حديث ابن عباس عن أبي سفيان في قصته مع هرقل - وهو حديث ثابت من جهة الإسناد - دليل على أن العرب كانت تختن، وأظن ذلك من جهة مجاورتهم في الحجاز اليهود. قلت: وحديث أبي سفيان في أول صحيح البخاري رقم (٧)، وفيه أن هرقل سأل أبا سفيان عن العرب؟ فقال: هم يختنون.^(٥)



(١) هو العلامة أبو سالم محمد بن طلحة القرشي الشافعي، مات سنة (٦٥٢) له ترجمة في سير الذهبي

(٢٣/ ٢٩٣ - ٢٩٤) انظر الضعيفة للألباني (١٣/ ٥٨٦)

(٢) هو العلامة أبو القاسم عمر بن أحمد الحلبي مؤلف "تاريخ حلب" في نحو ثلاثين مجلداً، توفي سنة

(٦٦٠) المصدر السابق

(٣) زاد المعاد (١/ ٨١)

(٤) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٥١)

(٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٣/ ٥٨٧)

حواضنه ومرضعاته ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

١١- وَالْحِضْنُ لَأُمِّ أَيْمَنَ وَمَرُضِعَاتُ اللَّيْمَنِ

١٢- ثَوَيِّبَةُ: حَلِيمَةُ الرَّائِثُ الرَّحِيمُ مَمَّةُ

الشرح

من حواضن النبي ﷺ أم أيمن الحبشية قيل اسمها بركة بنت ثعلبة بن حصن أسلمت قديما، وهاجرت إلى الحبشة، وإلى المدينة، زوّجها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه، فرزقت منه ابنها أسامة رضي الله عنه. (١)

وروى الإمام مسلم عن ابن شهاب الزهري قال: وكان من شأن أم أيمن، أم أسامة بن زيد، أنها كانت وصيفة -أي أمة- لعبد الله بن عبد المطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ، بعدما توفي أبوه، فكانت أم أيمن تحضنه، حتى كبر رسول الله ﷺ، فأعتقها. (٢)

قال القرطبي رحمه الله: وقد نسبها الناس فقالوا: أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان. وقد ذكر مسلم في الجهاد عن ابن شهاب: أن أم أيمن كانت من الحبش وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب: أبي النبي ﷺ، وقد ذكره الواقدي. وكانت للنبي ﷺ بركة أخرى حبشية، كانت تخدم أم حبيبة، فلعله اختلط اسمها على ابن شهاب، على أن أبا عمر قد قال في هذه: أظنها أم أيمن. أو لعل ابن شهاب نسبها إلى الحبشة؛ لأنها من مهاجرة الحبشة، والله تعالى أعلم. وقلت:

(١) انظر الإصابة (٨ / ٣٥٨)

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٧٧١)

هذا أظهر، وتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث، فولدت له أيمن، وتزوجها بعده زيد بن حارثة بعد النبوة، فولدت له أسامة. شهدت أحداً، وكانت تدوي الجرحى. وشهدت خيبر، وتوفيت في أول خلافة عثمان بعشرين يوماً. ^(١)

ومن مرضعاته ﷺ بعد أمه ثوية مولاة أبي لهب ودليل هذا حديث أم حبيبة رضي الله عنها
قالت: قلت: يا رسول الله، هل لك في بنت أبي سفيان قال: فأفعل ماذا؟ قلت: تنكح، قال: أتحبين. قلت: لست لك بمخلية، وأحب من شركني فيك أختي، قال: إنها لا تحل لي. قلت: بلغني أنك تخطب، قال: ابنة أم سلمة؟ قلت: نعم، قال: لو لم تكن ربيتي ما حلت لي، أرضعيني وأباها ثوية، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن. ^(٢)

قال ابن حجر رحمه الله: قوله: وثوية مولاة لأبي لهب. قلت ذكرها بن منده في الصحابة وقال اختلف في إسلامها وقال أبو نعيم لا نعلم أحداً ذكر إسلامها غيره والذي في السير أن النبي ﷺ كان يكرمها وكانت تدخل عليه بعد ما تزوج خديجة وكان يرسل إليها الصلة من المدينة إلى أن كان بعد فتح خيبر ماتت. ^(٣)

وقال في الإصابة: ثوية: التي أرضعت النبي ﷺ، وهي مولاة أبي لهب. ذكرها ابن مندة، وقال: اختلف في إسلامها. وقال أبو نعيم: لا أعلم أحداً أثبت إسلامها انتهى. وفي باب من أرضع النبي ﷺ من طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تسلم، ولكن لا يدفع قول ابن مندة بهذا. ^(٤)

وقال ابن الجوزي رحمه الله: فأما ثوية فهي مولاة أبي لهب ولا نعلم أحداً ذكر أنها

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤/ ٢٠٠)

(٢) أخرجه البخاري (٥١٠٦) ومسلم (١٩٣٩)

(٣) فتح الباري (٩/ ١٤٥)

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٦٠) وانظر معرفة الصحابة لأبي نعيم (٦/ ٣٢٨٤) وطبقات ابن سعد

أسلمت غير ما حكى أبو نعيم الأصفهاني أن بعض العلماء قال: قد اختلف في إسلامها. ^(١)

ومن مرضعته ﷺ: حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن حبان بن سعد ابن بكر من بني سعد بن بكر بن هوزان المعروفة بحليمة السعدية واختلف العلماء في إسلامها، وابن القيم رحمته الله توقف في ذلك، فقد قال في زاد المعاد: واختلف في إسلام أبويه يعني: النبي ﷺ من الرضاعة، فالله أعلم. ^(٢)

ولكن جزم كثير من الحفاظ بإسلامها وعدوها من الصحابة، فقد ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة، ^(٣) وابن عبد البر في الاستيعاب وقال: روت عن النبي ﷺ وروى عنها عبد الله بن جعفر. ^(٤)

قال الألباني معلقاً على كلام ابن عبد البر: يُستبعد جداً أن يدرك عبد الله بن جعفر حليلة مرضعة الرسول ﷺ؛ فإنه لما توفي النبي ﷺ كان عبد الله ابن عشر سنين، وهي وإن لم يذكروا لها وفاة فمن المفروض عادة أنها توفيت قبل رسول الله ﷺ. ^(٥)

واسترضع النبي ﷺ في بني سعد ثابت عن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك. قال: نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان - عليهما ثياب بيض - بطست من ذهب مملوء ثلجاً ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقا فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٦)

(٢) انظر زاد المعاد (١/ ٨١)

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٥٨٤)

(٤) انظر الاستيعاب (٢/ ٨٥)

(٥) انظر دفاع عن الحديث النبوي (ص/ ٣٩)

حتى أنقياه ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته. فوزني بهم فوزنتهم ثم قال: زنه بمئة من أمته. فوزني بهم فوزنتهم ثم قال: زنه بألف من أمته. فوزني بهم فوزنتهم فقال: دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها. ^(١)

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال له رجل كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: كانت حاضتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا، فقلت: يا أخي اذهب فأتنا بزد من عند أمنا، فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال الآخر: نعم، فأقبلا يتدراني فأخذاني فبطحاني للقفاء فشقا بطني، ثم استخرجوا قلبي فشقاه فأخرجوا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج، فغسل به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسل به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة، فذره في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة، واجعل ألفا من أمته في كفة، قال رسول الله ﷺ: فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخر علي بعضهم، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني قال رسول الله ﷺ: وفرقت فرقا شديدا ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها، بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون قد التبس بي، فقالت: أعيذك بالله فرحلت بغيرا لها فجعلتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي فقالت: أديت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك وقالت: إني رأيت خرج مني نورا أضاءت منه قصور الشام. ^(٢)

(١) صحيح: أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١/ ١٧٥) ومن طريقه الطبري (٢٠٧٠)، والحاكم (٢/ ٦٠٠) والبيهقي في الدلائل (١/ ٨٣) وقال الحاكم: صحيح الإسناد وإن لم يخرجاه، ووافقه الذهبي على تصحيحه. وقال الألباني في: صحيح السيرة النبوية (ص ١٧): إسناده جيد قوي.

(٢) حسن: رواه أحمد (١٧٦٤٨) واللفظ له، والدارمي (١٣) والطبراني (٣٢٣) والحاكم (٤٢٨٢) وحسنه لبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٧/ ١٤) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٤) والألباني

شق صدره ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

١٣- وَكَانَ شَقُّ صَدْرِهِ فِي أَزْبَعٍ مِنْ عُمْرِهِ

الشرح

ودليل شق صدره ﷺ ما تقدم من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال له رجل كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا، فقلت: يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال الآخر: نعم، فأقبلا يتدراني فأخذاني فبطحاني للقفأ فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقا فأخرجاه منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: ائتني بماء ثلج، فغسل به جوفي، ثم قال: ائتني بماء برد، فغسل به قلبي، ثم قال: ائتني بالسكينة، فذره في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: حصه، فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة، ثم قال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة، واجعل ألفا من أمته في كفة، قال رسول الله ﷺ: فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخر علي بعضهم، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني قال رسول الله ﷺ: وفرقت فرقا شديدا ثم انطلقت إلى أُمِّي فأخبرتُها، بالذي لقيت، فأشفقت أن يكون قد التبس بي، فقالت: أعيزك بالله فرحلت بعيرا لها فجعلتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أُمِّي فقالت: أدبت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها

في السلسلة الصحيحة (٣٧٣) وقال: ولهذا الحديث شواهد كثيرة. وذكره في صحيح السيرة النبوية

(ص ١٧)

ذلك وقالت: إني رأيت خرج مني نورا أضاءت منه قصور الشام. (١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء. (٢)

وذكر عمره حين شق صدره ﷺ ابن سعد، (٣) وأبو نعيم الأصبهاني (٤)

وقد وقع شق صدره ﷺ مرتين

الأولى وعمره أربع سنوات كما تقدم.

الثانية في ليلة الاسراء والمعراج كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان

أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا. (٥)

قال الألباني: ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين: مرة وهو صغير ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملاء الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثول بين يديه سبحانه وتعالى. اهـ (٦)

تنبيه: وردت روايات تفيد وقوع شق الصدر مرة ثالثة قبيل البعثة ساقها أبو نعيم

(١) حسن: رواه أحمد (١٧٦٤٨) واللفظ له، والدارمي (١٣) والطبراني (٣٢٣) والحاكم (٤٢٨٢) وحسنه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (١٤/٧) والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٢٤/٨) والألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٣) وقال: ولهذا الحديث شواهد كثيرة. وذكره في صحيح السيرة النبوية (ص ١٧)

(٢) رواه مسلم (٢٦١)

(٣) انظر الطبقات (١/ ١١٢)

(٤) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص ٤٩) وصحيح السيرة النبوية للألباني (ص ١٩)

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣)

(٦) صحيح السيرة النبوية للألباني (ص ١٩)

الأصبهاني. ^(١) والطيالسي في مسنده. ^(٢) وفي إسنادها داؤد بن المحبر وهو متروك فروايته ساقطة لا يعول عليها، كما ساق السيوطي ^(٣) روايتين تفيدان وقوع شق الصدر قبل البعثة في رؤيا منامية. ^(٤)



(١) دلائل النبوة ص (٦٩)

(٢) رقم الحديث (١٦٤٣)

(٣) (الخصائص الكبرى ١ / ٢٣٢)

(٤) انظر السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (١ / ١٠٣)

موت أمه ﷺ ورعاية جده له

قال الناظم وفقه الله:

١٤- وَبَعْدُ مَاتَتْ أُمُّهُ فَزَادَ فِيهَا يُتْمُهُ

١٥- لَكِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ رَعَى رِعَايَةَ الْمُحِبِّ

الشرح

ذكر ابن هشام رحمته الله أن أمه ماتت وعمره ﷺ ست سنين. ^(١)

وقال ابن القيم: ولا خلاف أن أمه ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء منصرفها من المدينة من زيارة أخواله، ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين. ^(٢)

وبعد موت أمه ﷺ كفله جده عبد المطلب. ^(٣)

وكان يحبه ويخاف عليه ويوليه غاية اهتمامه.

عن كندير بن سعيد، عن أبيه، قال: حججت في الجاهلية فإذا رجل يطوف بالبيت وهو يرتجز يقول:

رب رد إلى راكبي محمدا رده واصطنع عندي يدا

قلت: من هذا؟ قالوا: عبد المطلب بن هاشم، ذهبت إبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها ولم يرسله في حاجة قط إلا جاء بها، وقد احتبس عليه فما برحت حتى جاء النبي ﷺ وجاء بالإبل فقال: يا بني لقد حزنت عليك حزنا لا يفارقني أبدا. ^(٤)

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ١٥٥)

(٢) زاد المعاد (١/ ٦٠)

(٣) انظر الطبقات لابن سعد (١/ ٥٥) و تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٦) وزاد المعاد (١/ ٧٥)

(٤) **حسن:** رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٢٥٧) والطبراني في الكبير: (٥٥٢٤) والبيهقي في دلائل النبوة: (٢/ ٢٠ - ٢١) وابن سعد في الطبقات: (١/ ١١١) والحاكم في المستدرک: (٦٠٤) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع: (٨/ ٢٢٤): رواه أبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن. وصححه شيخنا سليم الهاللي في الصحيح المصنف (٣٩)

رعاية عمه أبي طالب له ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

- ١٦- وَعَـمُّهُ مِنْ وَدَّةٍ رَعَاهُ بَعْدَ جَدِّهِ
١٧- وَكَانَ نِعَمَ الْوَالِدِ الدَّفَاعُ الْمُسَانِدُ

الشرح

وبعد وفات جده ﷺ رعاه عمه أبو طالب وقد ذكر ابن سعد وابن كثير وابن القيم أن عمر النبي ﷺ حين وفاة جده كان ثمان سنين. ^(١)

فرعاه عمه أبو طالب ودافع عنه ونصره بعد بعثته واستمر في ذلك حتى مات وهو مشرك وإنما كان ذلك من دافع الحمية وقد خفف الله بذلك من عذابه.

فعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. ^(٢)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ، وذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه، يغلي منه دماغه. ^(٣)

(١) المصدر الذي قبل السابق وجزم بذلك ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٨٩/١) وتابعه ابن حجر في المواهب (١٨٩/١) والبيهقي في دلائل النبوة (١٦٨/١)

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٨) ومسلم (٢٠٩)

(٣) رواه البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢١٠)

رحلته ﷺ إلى الشام برفقة عمه

قال الناظم وفقه الله:

- ١٨- فَسَارَ نَحْوَ الشَّامِ مُتَاجِرًا فِي عَامِ
١٩- وَمَعَهُ مُحَمَّدٌ يَحْفَظُهُ وَيُسَعِدُ
٢٠- سَارَ بِهِ لَمَّا رَحَلَ يُنْزِلُهُ حَيْثُ نَزَلَ
٢١- فَأَبْصَرُوا السَّحَابَا تَظَلَّلُ الْوَرَكَابَا
٢٢- وَصَادَفُوا بَاحِيَا الْعَالِمِ النَّحْرِيَا
٢٣- فَقَالَ رُذَّأُ أَحْمَدَا أَخْشَى عَلَيْهِ الْحَسَدَا
٢٤- وَكَانَ أَشْرَفُ الْوَرَى فِي عُمُرِهِ اثْنِي عَشَرَا

الشرح

حادثة سفر النبي ﷺ مع عمه ابي طالب إلى الشام ولقاءهم بحيرا الراهب ثابتة ونصها:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين بيعته الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبى وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به

وكان هو في رعية الإبل قال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه قال فيينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم قالوا إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه وأقاموا معه قال أنشدكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت. ^(١)

وقد اختلف العلماء في تصحيح هذا الحديث، فقد حسنه الترمذي، وصححه الحافظ في الإصابة، والحاكم، والألباني، والوادعي رحمهم الله جميعاً.

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة. ^(٢)

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وقد وردت هذه القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه الترمذي وغيره، ولم يسم فيها الراهب، وزاد فيها لفظة منكرة، وهي قوله: وأتبعه أبو بكر بلالا، وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلاً، ولا اشترى يومئذ بلالا. إلا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة مقتطعة

(١) صحيح: رواها مسند الترمذي (٣٦٢٠) وحسنها وابن أبي شيبة في المصنف (١٧ / ٤٥١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٢٤)، والحاكم في المستدرک (٤٢٨١) والبزار (٣٠٩٦) والطبري في تاريخه (٨٠ / ١١) باختلاف يسير وصححها الألباني في صحيح الترمذي (٣٦٢٠) والوادعي في الصحيح المسند (٨٢٠).

(٢) دلائل النبوة (٢ / ٢٦).

من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث. وفي الجملة هي وهم من أحد رواته. ^(١)
وقال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: قلت: فيه من الغرائب أنه من مراسلات الصحابة فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خير سنة سبع من الهجرة فهو مرسل فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عن هم أو كان هذا مشهورا مذكورا أخذه من طريق الاستفاضة. ^(٢)

وقال الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: ذكر أبي بكر وبلال في الحديث وهم، كما قاله الحافظ في الإصابة في ترجمة بحيرى الراهب، وكما قاله الجزري كما في تحفة الأحوذى. ^(٣)
وضعفها الإمام الذهبي فقال رَحِمَهُ اللهُ: تفرد به قراد، واسمه عبد الرحمن بن غزوان، ثقة، احتج به البخاري والنسائي، ورواه الناس عن قراد، وحسنه الترمذي وهو حديث منكر جدا، وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ - بستين ونصف، وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد، وأيضا، فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظل الغمامة يعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها، ولم نر النبي ﷺ ذكر أبا طالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأسيخ، مع توفر همهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتها، ولبقي عنده - ﷺ حس من النبوة، ولما أنكر مجيء الوحي إليه، أولا بغار حراء وأتى خديجة خائفا على عقله، ولما ذهب إلى شواحق الجبال ليرمي نفسه - ﷺ. وأيضا فلو أثر هذا الخوف في أبي طالب ورده، كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤٧٦)

(٢) صحيح السيرة النبوية (ص ٣٠)

(٣) الصحيح المسند (٨٢٠)

إلى الشام تاجرا لخديجة وفي الحديث ألفاظ منكورة، تشبه ألفاظ الطريقة، مع أن ابن عائد قد روى معناه في مغازيه دون قوله: «وبعث معه أبو بكر بلالا» إلى آخره، فقال: ثنا الوليد بن مسلم، أخبرني أبو داود سليمان بن موسى، فذكره بمعناه. ^(١)

وللعلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ كَلام نفيس حول هذه القصة وتخريجها والرد على من أنكرها. ^(٢)



(١) تاريخ الإسلام (١ / ٥٧)

(٢) انظر جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة (٨ / ٢٤٤) وما بعدها وكذلك في كتابه: دفاع عن الحديث النبوي (ص ٦٢ - ٧٢)

تجارته مع خديجة وزواجه منها ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

- ٢٥- وَسَارَ لِلتَّجَارَةِ لِلْحُرَّةِ الْمُخْتَارَةِ
٢٦- خَدِيجَةَ ذَاتِ الْحَسَبِ شَرِيفَةَ جَدِّ وَأَبِ
٢٧- وَكَانَ عُمَرُ الْمُصْطَفَى خَمْسًا وَعِشْرِينَ وَفَى
٢٨- ثُمَّ قَضَى تَزْوِيجَهُ بِأَمَّا نَا خَدِيجَهُ

الشرح

أخرج قصة خروج الرسول ﷺ في مال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ابن سعد في طبقاته،^(١) وابن إسحاق في السيرة،^(٢) بدون إسناد - وأوردها الإمام الذهبي في سيرته،^(٣) من طريق المحاملي، عن عبد الله بن شبيب، وهو واه، ثم قال بعد أن ساق القصة: وهو حديث منكر.

ورغم أن هذه المعلومات لم تثبت حديثاً إلا أنها مشتهرة عند الإخباريين.^(٤)
ثم تزوجها ﷺ قال ابن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى مات، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.^(٥)
وقال ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وتزوجها رسول الله ﷺ سنة خمس وعشرين من مولده في قول

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٦١ - ٦٢)

(٢) المغازي (١/ ٢٢٤)

(٣) السيرة النبوية من تاريخ الإسلام (١/ ٦٢)

(٤) انظر السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (١/ ١١٣)

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ١٩٠)

الجمهور. (١)

وكان عمر النبي ﷺ حين تزوج خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خمسا وعشرين سنة، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وكان عمرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يومئذ أربعين سنة.

قال الإمام الصالحى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهو الصحيح الذي عليه الجمهور. (٢)

وقال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلما بلغ خمسا وعشرين سنة خرج إلى الشام في تجارة، فوصل إلى بصرى ثم رجع فتزوج عقب رجوعه خديجة بنت خويلد، وقيل تزوجها وله ثلاثون سنة، وقيل إحدى وعشرون، وسنها أربعون، وهي أول امرأة تزوجها، وأول امرأة ماتت من نساءه، ولم ينكح عليها غيرها، وأمره جبريل أن يقرأ عليها السلام من ربها. (٣)

وقال: فصل في أزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أولاهن خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم، وهي التي آزرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلام مع جبريل، وهذه خاصة لا تعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين. (٤)



(١) فتح الباري (٧/ ١٣٤)

(٢) السيرة الشامية (٢/ ١٦٦)

(٣) زاد المعاد (١/ ٧٦) وما أشار إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثابت كما أخرجه البخاري (٧٤٩٧) واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

(٤) زاد المعاد (١/ ١٠٢)

أولاده ﷺ من خديجة

قال الناظم وفقه الله:

- ٢٩- فَكَانَ مِنْهَا الْقَاسِمُ وَزَيْنَبُ وَفَاطِمُ
 ٣٠- كَـذَـاكَ عَبْدُ اللَّهِ رَبُّ الْجَبْرِينِ الزَّاهِي
 ٣١- وَأُمُّ كُلُّهُمُومٌ كَـذَـا رُقِيَّةٌ نَفْحُ الشَّاذَا

الشرح

ولدت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرسول الله ﷺ أولاده جميعا عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية

وهم:

القاسم: وكان أول من ولد لرسول الله ﷺ من خديجة قبل البعثة وبه يكنى ﷺ مات طفلا، وقيل: عاش إلى أن ركب الدابة وسار على النجبية. ^(١)

زينب: وهي أكبر بناته ﷺ، وأول من تزوج منهن، وتزوجها ابن خالتها أبو العاص ابن الربيع العبسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أمه هالة بنت خويلد أسلمت زينب، وهاجرت مع أبيها ﷺ، وماتت سنة ثمان من هجرته ﷺ. ^(٢)

رقية: ولدت رقية وعمر رسول الله ﷺ ثلاث وثلاثون سنة، وتزوجها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك ابنا فسماه: عبد الله، فكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكنى به، وماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يوم وقعة بدر، ودفنت يوم جاء زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشيرا بما فتح الله عليهم يوم بدر. ^(٣)

(١) انظر زاد المعاد (١/ ١٠٠)

(٢) انظر الإصابة (٨/ ١٥١)

(٣) انظر أسد الغابة (٥/ ٢٨٥)

أم كلثوم: وهي أكبر من فاطمة، وتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد وفاة أختها رقية، وهذا في جمادى الآخرة سنة ٣ هـ، ولم تلد من عثمان ولدا، وتوفيت سنة ٩ هـ، وصلى عليها رسول الله ﷺ. ^(١)

فاطمة: سيدة نساء العالمين في زمانها، وهي أصغر بنات رسول الله ﷺ، ولدت ﷺ سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وتوفيت ﷺ بعد وفاة أبيها ﷺ بستة أشهر، وكانت أول أهله لحوقا به، وصلى عليها على بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان عمرها لما توفيت تسعا وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين سنة، وقيل: خمسا وثلاثين سنة. ^(٢)

عبد الله: وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر؛ لأنه ولد بعد النبوة رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن القيم رحمته الله تعالى: ثم ولد له عبد الله، وهل ولد بعد النبوة أو قبلها؟ فيه اختلاف، وصحح بعضهم أنه ولد بعد النبوة، وهل هو الطيب والطاهر؟ أم هما غيره؟ على قولين: والصحيح أنهما لقبان له، والله أعلم. ^(٣)

فأما القاسم وعبد الله فماتا قبل الإسلام، وأدركت البنات الإسلام فأسلمن وهاجرن مع النبي ﷺ. ^(٤)

وكانت خديجة رضي الله عنها قد تزوجت قبل رسول الله ﷺ برجلين أولهما: عتيق بن عائد، فولدت له عبد الله، وجارية اسمها: هند، فتزوجها ابن عمها صيفي بن أمية من بني مخزوم، فولدت له محمدا، وثانيهما: أبو هالة بن مالك من بني تميم، واسمه هند،

(١) انظر الاستيعاب (٤ / ٥٠٦)

(٢) انظر الإصابة (٨ / ٢٦٢)

(٣) زاد المعاد (١ / ١٠١)

(٤) انظر البداية والنهاية (٣١٨ - ٣١٩ / ٢) وسيرة ابن هشام (١٢٢ - ١٢٣ / ١)

فولدت له ولدا اسمه هالة، وولدا اسمه هند أيضا، وجارية اسمها زينب. وقد ابتنى النبي ﷺ بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في البيت الذي كانت تسكنه، وفيه ولدت جميع أولادها، وفيه توفيت، ولم يزل النبي ﷺ ساكنا فيه حتى خرج إلى المدينة مهاجرا فأخذه عقيل بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ^(١)



(١) انظر تفاصيل زواج الرسول ﷺ من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في: سيرة ابن هشام (١ / ٢٢٤) والروض الأنف (١ / ٣٢٤) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٦٨ - وما بعدها) - والطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٦٢)

نشأته ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

٣٢- فِي مَكَّةَ نَشَأَتْهُ وَذَاعَ فِيهَا صَيْتُهُ

٣٣- سَمَّوْهُ عَن يَمِينٍ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ

الشرح

كانت حياته ﷺ قبل البعثة حياة فاضلة شريفة، لم تُعرف فيه هفوة، ولم تُحص عليه فيها زلة، فقد حفظه الله من أقذار الجاهلية؛ لما يريده له من كرامته ورسالته، حتى صار أفضل قومه مروءةً، وأحسنهم خلقاً، وأعظمهم جواراً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانةً، حتى عُرف بين قومه بالصادق الأمين. (١)

ومن حفظ الله له أنه لم يعمل أعمال الجاهلية فقد نشأ ﷺ سليم العقيدة، صادق الإيمان، عميق التفكير، غير خاضع لترهات الجاهلية، فما عرف عنه أنه سجد لصنم قط، أو تمسح به، أو ذهب إلى عراف أو كاهن، بل بغض إليه عبادة الأصنام، والتمسح بها.

روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن عروة بن الزبير قال: حدثني جار لخديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: أي خديجة، والله لا أعبد اللات، والله لا أعبد العزى أبداً. قال: فتقول خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: خل اللات، خل العزى. (٢)

وروى البيهقي عن زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كان صنم من نحاس يقال له: إساف،

(١) العسل المصطفى من سيرة النبي المصطفى للشيخ فيصل الحاشدي (٥٦)

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧٩٤٧) وهو في الصحيح المسند للوادعي (١٤٦٤)

أو نائلة، يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطففت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ: لا تمسه، قال زيد: فطففت، فقلت في نفسي: لأمنه حتى أنظر ما يكون، فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: ألم تنه؟، قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ما استلم صنما حتى أكرمه الله بالذي أكرمه، وأنزل عليه. (١)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَى﴾ [الضحى: ٦] وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل بعد أن ولد ﷺ ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تديره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به. (٢)

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في (٤٩٥٦) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٤) وصححه الألباني في صحيح

السيرة ص ٣٢ والوادعي في الصحيح المسند من دلائل النبوة (٢١٥)

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤١٣)

شهود النبي ﷺ حلف الفضول

قال الناظم وفقه الله:

٣٤- وَمَشَّ هَذَا الرَّسُولُ بِهَا حِلْفَ الْفُضُولِ

الشرح

قال الإمام السهيلي رحمه الله: كان حلف الفضول أكرم حلف سمع به، وأشرفه في العرب. (١)

وحلف الفضول كما قال ابن إسحاق: تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة ابن كلاب، وتيم بن مرة. فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلومه، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. (٢)

وقد شهد رسول الله ﷺ هذا الحلف ودليله قول النبي ﷺ: لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت. (٣)

(١) الروض الأنف (١/ ٢٤٢)

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ١٣٤)

(٣) حسن: قال الألباني: رواه ابن إسحاق في السيرة كما في ابن هشام: (١/ ٩٢) قال محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي: إنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله ﷺ... فذكره، قلت: وهذا سند صحيح لولا أنه مرسل، ولكن له شواهد تقويه، فرواه الحميدي بإسناد آخر مرسلا أيضا، كما في (البداية) ٢/ ٢٩؛ وأخرجه الإمام أحمد، رقم (١٦٥٥، ١٦٧٦) من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا دون قوله: ولو دعيت به في الإسلام لأجبت، وسنده صحيح. انظر تحقيق فقه السيرة (ص ٧٦) للألباني

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه بسند صحيح عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: شهدت حلف المطيعين مع عمومتي، وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وإني أنكته. ^(١)

والمراد بحلف المطيعين في الحديث حلف الفضول.

قال البيهقي رحمته الله: زعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول، وأن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيعين. ^(٢)

وعلق الحافظ ابن كثير رحمته الله على كلام البيهقي بقوله: وهذا لا شك فيه، وذلك أن قريشا تحالفوا بعد موت قصي، وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية، والرفادة، واللواء، والندوة، والحجابة، وقامت مع كل طائفة من قبائل قريش، وتحالفوا علي النصره لحزبهم، فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب، فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا، فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت، فسموا المطيعين، وكان هذا قديما. ^(٣)

قال ابن الأثير رحمته الله: وإنما سمى رسول الله ﷺ حلف الفضول بالمطيعين، مع أنه ﷺ لم يشهد حلف المطيعين؛ لأنه كان شبيها به في التناصح، والأخذ للضعيف من القوي، وللغريب من القاطن. ^(٤)

(١) صحيح: أخرجه الإمام أحمد (١٦٥٥) والبخاري في الأدب المفرد (٤٤١) - وابن حبان في صحيحه (٤٣٧٣) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٤١) وحاشية فقه السنة (٧٥).

(٢) دلائل النبوة (٣٩ / ٢)

(٣) البداية والنهاية (٦٩٦ / ٢)

(٤) النهاية (٤٠٨ / ٣)

مشاركته ﷺ في بناء الكعبة

قال الناظم وفقه الله:

- ٣٥- أَعَانَ فِي الْبِنَاءِ لِلْكَعْبَةِ الْغُرَاءِ
 ٣٦- وَحَكْمُوهُ فِي الْحَجَرِ كَمَا بِذَا صَحِّ الْحَبْرِ
 ٣٧- وَعُمُرُهُ خَمْسٌ مَضَتْ بَعْدَ ثَلَاثِينَ انْقَضَتْ

الشرح

شارك النبي الله ﷺ مع أعمامه في البناء، ونقل الحجارة، وكان عمره ﷺ إذ ذاك خمسا وثلاثين سنة. (١)

ودليله حديث جابر بن عبد الله: لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة فقال العباس لرسول الله ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة. ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال: إزاري إزاري. فشد عليه إزاره. (٢)

وعن أبي الطفيل رحمه الله: كانت الكعبة مبنية بالرضم ليس فيها مدر وكانت قدر ما يقتحمها العناق وكانت غير مسقفة إنما كان يوضع ثيابا عليها يسدل سدلا وكان الركن موضوعا على سورها باديا وكانت ذات ركنين كهيئة الحلقة مربعة من جانب ومدورة من جانب فأقبلت سفينة من الروم حتى إذا كانوا قريبا من جدة انكسرت فخرجت قريش ليأخذوا الخشب وكانت السفينة تريد الحبشة فوجدوا فيها رجلا

(١) سيرة ابن هشام (١/ ١٩٢) واختلف في وقت بناء الكعبة، والذي جزم به ابن إسحاق أن ببيان الكعبة كان قبل المبعث بخمس سنين. قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٣٣): وقول ابن إسحاق أشهر، ويمكن الجمع بينهما بأن يكون الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٩) ومسلم (٣٤٠)

روميا فأخذوا الخشب فأعطاهم إياها وكان تاجرا فأقبلوا بالخشب وبالرجل الرومي الذي كان في السفينة فقالوا نبني بهذا الخشب بيت ربنا فلما أرادوا هدمه فإذا هم بحية على سور البيت بيضاء البطن سوداء الظهر فجعلت كلما دنا أحد منهم إلى البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارته فتحت فاهها وسعت نحوه فخرجت قريش حتى أتوا المقام فعبجوا إلى الله عز وجل فقالوا ربنا لن نرع إنما أردنا تشريف بيتك وتزيينه فإن كان ذلك وإلا فما بدا لك فافعل فسمعوا جوابا في السماء فإذا هم بطائر أعظم من النسر أسود الظهر أبيض البطن والرجلين فغرز بمخالبه في قفا الحية فانطلق بها يجرها ساقط ذنبها حتى انطلق بها نحو أجياد فهدمتها قريش وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي وكانت قريش تحملها على رقابها فرفعه في السماء عشرين ذراعا وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما هو يحمل حجارة إذ سقط الحجر وضاعت عليه النمرة فذهب يضعها فبدا عورته من صغر النمرة فنودي يا محمد خمر عورتك وكان بين بنيانها وبين ما أنزل عليه الذكر خمس عشرة سنة. ^(١)

فلما وصلت قريش في بناء الكعبة إلى موضع الحجر الأسود اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه؟ فقالت كل قبيلة: نحن نضعه ثم اتفقوا على أن يضعه أول داخل عليهم فكان رسول الله ﷺ فقالوا: جاء الأمين فرضوا به فأمر بثوب، فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر فوضعه مكانه ﷺ.

عن مجاهد، عن مولاه أنه حدثه أنه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية، قال: ولي حجر أنا نحته بيدي، أعبدته من دون الله تبارك وتعالى، فأجىء باللبن الخاثر الذي أنفسه

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٣٨٠٠) واللفظ له، وعبدالرزاق (١١٠٥) والحاكم (٧٣٥٧) بنحوه وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام (٧٥ / ١) والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٩٢ / ٣) والألباني في الصحيحة (٢٣٧٨) والوادعي في الصحيح المسند (٥٣٢)

على نفسي، فأصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يشغر، فيبول، فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر، وما يرى الحجر أحد، فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يترأى منه وجه الرجل. فقال بطن من قريش: نحن نضعه. وقال آخرون: نحن نضعه فقالوا: اجعلوا بينكم حكما، قالوا: أول رجل يطلع من الفج. فجاء النبي ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين. فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه هو ﷺ (١)



(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٠٤) وقال محققوا المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هلال بن خباب، فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة. عبد الصمد: هو ابن عبد الوارث بن سعيد، وثابت أبو زيد: ومولى مجاهد: هو قيس بن السائب كما نص على ذلك ابن سعد، ووقع التصريح بذلك في بعض الروايات عن مجاهد، انظر طبقات ابن سعد (٥ / ٤٤٦) والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٧٢٧) ومعجم الطبراني الكبير (١٨ / ٩٣١).
ورواه الحاكم في المستدرک (١٧٢٧) من حديث عبد الله بن السائب المخزومي وصححه وأقره الذهبي. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨ / ٢٢٩) وحسنه الألباني في تحقيق فقه السيرة للغزالي (ص ٨٤ - ٨٥)

تَعْبُدُهُ ﷺ فِي غَارِ حِرَاءَ

قال الناظم وفقه الله:

٣٨- وَكَانَ يَخْلُو فِي حِرَاءَ يَعْبُدُ خَلْقَ الْوَرَى

الشرح

لما تقاربت سن النبي ﷺ الأربعين حبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده، فكان رسول الله ﷺ يهجر مكة كل عام ليقضي شهر رمضان في غار حراء.

روى الشيخان في صحيحهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم... ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد. ^(١)

قال ابن حجر رحمته الله: قوله يأتي حراء. قال بن أبي جمرة: الحكمة في تخصيصه بالتخلي فيه أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة والتعبد والنظر إلى البيت. قلت: وكأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع على سنن الاعتكاف وقد تقدم أن الزمن الذي كان يخلو فيه كان شهر رمضان وأن قريشا كانت تفعله كما كانت تصوم عاشوراء ويزاد هنا أنهم إنما لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه فتبعه على ذلك من كان يتأله فكان ﷺ يخلو بمكان جده وسلم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم. ^(٢)

وقال رحمته الله: وهذا يلتفت إلى مسألة أصولية، وهو أنه ﷺ هل كان قبل أن يوحى

(١) أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠)

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٥٥)

إليه متعبدا بشريعة نبي قبله؟ قال الجمهور: لا؛ لأنه لو كان تابعا لاستبعد أن يكون متبوعا، ولأنه لو كان لنقل من كان ينسب إليه، وقيل: نعم، واختلفوا في تعيينه على ثمانية أقوال: أحدها آدم عليه السلام، والثاني نوح عليه السلام، والثالث إبراهيم عليه السلام ذهب إليه جماعة واستدلوا بقوله تعالى في سورة النحل ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، والرابع موسى عليه السلام، والخامس عيسى عليه السلام، والسادس بكل شيء بلغه عن شرع نبي من الأنبياء وحجته قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، والسابع الوقف، ولا تخفى قوة الثالث، ولا سيما مع ما نقل من ملازمته عليه السلام الحج والطواف، ونحو ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام، والله أعلم. ^(١)

وقال ابن كثير رحمه الله: وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والانفراد عن قومه، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلو عند مقارنة إحياء الله إليه صلوات الله وسلامه عليه. ^(٢)



(١) فتح الباري (٨ / ٧١٧)

(٢) البداية والنهاية (٣ / ٩)

مقدمات الوحي

الرؤيا الصادقة

ومن أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من النبوة الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ^(١)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: بُدئ بالرؤيا الصادقة ليكون تمهيدا وتوطئة لليقظة. ^(٢)



(١) رواه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠)

(٢) فتح الباري (١/ ٣٤)

تسليم الحجر والشجر على النبي ﷺ

ومما حصل له قبل مبعثه ﷺ تسليم الحجر والشجر عليه.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني

لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن. ^(١)

قال القرطبي رحمته الله: قوله: إني لأعرف حجرا كان يسلم علي قبل أن أبعث. يعني:

أنه كان يسلم عليه بالنبوة والرسالة قبل أن يشافهه الملك بالرسالة. ذكر العلماء بسيرة النبي ﷺ وأحواله: أنه كان من لطف الله بنبيه ﷺ أن قدم له مقدمات، وخصه ببشائر وكرامات، درجه بذلك إلى أطوار، لينقطع بذلك عن مألوفات الأغمار، ويتأهل على تدريج لقبول ما يلقي إليه، ولتسهيل مشافهة الملك عليه، فكان ﷺ يرى ضياء وأنوارا، ويسمع تسليما وكلاما، ولا يرى أشخاصا، فيسمع الحجارة والشجر تناديه، ولا يرى أحدا يناجيه، إلى أن استوحش من الخلق، ففر إلى الحق، فحببت إليه الخلوة، فكان سبب هذه الحبوّة، مشافهة الملك فقبل فملك. ^(٢)



(١) رواه مسلم (١٦٠)

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥١ / ٦)

سَمَاعُ النَّبِيِّ ﷺ الصَّوْتُ وَرُؤْيَتُهُ الضَّوْءُ

ومما حصل للنبي ﷺ قبل مبعثه سماعه للصوت ورؤيته للضوء.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة، يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئاً، وثمان سنين يوحى إليه. ^(١)

قال القاضي عياض رحمته الله: وقوله: يسمع الصوت. أي صوت الهاتف به من الملائكة. ويرى الضوء. أي نور الملك وأنوار آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافهه بوحي ربه. قوله في بعض الروايات. ^(٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن النبي ﷺ قال لخديجة: إني أرى ضوءاً، وأسمع صوتاً، وإني أخشى أن يكون بي جنن قالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله. ثم أت ورقة بن نوفل، فذكرت ذلك له، فقال: إن يك صادقاً، فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي، فسأعزره، وأنصره، وأومن به. ^(٣)



(١) رواه مسلم (٢٣٥٣)

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٣١٩)

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٨٤٥) واللفظ له، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٦٦) والطبراني (١٢٨٣٩) وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند (٣٠٤/ ٤) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٨) والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٧/ ٢٤٦) ومحققوا المسند.

بدا نزول الوحي عليه ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

- ٣٩- وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ أَمْسًا
فِيهِ التَّقَى الْأَمِينَا
٤٠- فَكَانَ بِدَأْمَانِ طَقْ
بِهِ أَوَائِلَ الْعَلَقِ
٤١- فَجَرَعَ الرَّسُولُ
لِزَوْجِهِ يَقُولُ
٤٢- قَدْ كُنْتُ يَوْمِي أَهْلِكُ
لَمَّا أَتَانِي الْمَلِكُ
٤٣- فَإِذْ بِهَا مُنْطَلِقُهُ
إِلَى الْكَرِيمِ وَرَقَهُ
٤٤- أَخْبَرَهُ بِمَا حَصَلَ
وَمَا عَلَيْهِ قَدْ نَزَلَ
٤٥- فَقَالَ بَعْدَمَا اسْتَمَعَ
يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعُ

الشرح

لما بلغ النبي ﷺ سن أربعين سنة خرج في رمضان إلى غار حراء كما كان يخرج
أتاه جبريل عليه السلام، بأمر الله عز وجل، وبعثه سبحانه وتعالى رحمة للعالمين، وكافة
للناس بشيرا ونذيرا.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ
لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر
سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين. (١)

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا
بالأبيض الأمهق، وليس بالآدم، وليس بالجعد القطط، ولا بالسبط، بعثه الله على

رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، فتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. ^(١)

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: والصحيح أَنَّهُ ﷺ بعث على رأس الأربعين سنة، هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء. ^(٢)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فلما كمل له أربعون، أشرق عليه نور النبوة، وأكرمه الله تعالى برسالته، وبعثه إلى خلقه، واختصه بكرامته، وجعله أمينه بينه وبين عباده. ^(٣)

وكان أول ما نطق به ﷺ من الوحي أوائل سورة العلق.

ودليله حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنهَا قَالَتْ: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة، فجاءه الملك، فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝﴾ ^(٤) [العلق: ١-٣].

وقصة النبي ﷺ في الغار ورجوعه إلى خديجة رضي عنها وذهابهما إلى ورقة بن نوفل ثابتة في الصحيحين.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم (٢٣٣٧)

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ / ٨١)

(٣) زاد المعاد (١ / ٧٦)

(٤) رواه البخاري (١٦٠)

الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أومخرجي هم؟! قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي. ^(١)



ذِكْرُ فَتُورِ الْوَحْيِ عَنْهُ ﷺ

المراد بفتور الوحي انحباسه، وعدم تتابعه وتواليه في النزول، والصحيح أن هذه الفترة لم تتعدَّ شهراً. ^(١)

وقد جاء ذلك مصرحاً في حديث جابر رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ:
جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحداً، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء، - يعني: جبريل عليه السلام - فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ [المدثر: ١-٤]. ^(٢)

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وكان ذلك - أي فتور الوحي - ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلى العود. ^(٣)

وقال شيخنا سليم الهلالي حفظه الله: فيكون أول ما نزل من القرآن ابتداءً ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وأول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي وعودة جبريل للنزول على النبي ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] فكانت الحالة الأولى حال نبوة وإيحاء والثانية إرسال وبلاغ. ^(٤)

(١) العسل المصطفى من سيرة النبي المصطفى للشيخ فيصل الحاشدي (٩٩)

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٤) ومسلم (١٦١)

(٣) فتح الباري (١/ ٤٠)

(٤) الصحيح المصطفى من سيرة النبي المصطفى للهلالي (٦١)

الدعوة السرية للنبي ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

- ٤٦- ثُمَّ دَعَا سِرّاً إِلَى دِينِ الْهُدَى مُمْتَثِلاً
 ٤٧- وَكَأَنَّ بِالْتَّمَامِ ثَلَاثَةُ الْأَعْوَامِ
 ٤٨- أُيِّدَ بِالْآيَاتِ خَوَارِقُ الْعَادَاتِ

الشرح

بعد فتور الوحي ولقاء النبي ﷺ بجبريل المرة الثانية ورجوعه ﷺ إلى خديجة يقول دثروني أنزل الله عليه ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ١ فَمُفَانِذِرُ ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيرُ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرُ ٤ [المدثر: ١-٤]

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت النبي ﷺ، وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: بينا أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئْتُ منه رعباً، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] إِلَى ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرُ﴾ [المدثر: ٥] قبل أن تفرض الصلاة، وهي الأوثان. (١)

فقام رسول الله ﷺ بما أمره الله في هذه الآيات أتم القيام، وكانت دعوته سرية. (٢)
 فبدأ بأهل بيته وأقرب الناس إليه، فكانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أول من آمن به ﷺ.

(١) أخرجه بهذا اللفظ البخاري (٤٩٢٥)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٢) وطبقات ابن سعد (١/ ١٩٩) ومما يدل على أن الدعوة أول ما بدأت كانت سرية، ما رواه الإمام مسلم (٨٣٢) عن عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ... سمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة. ^(١)

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي ﷺ، وأول من صدقت بيعته مطلقاً. ^(٢)

كذلك سارع إلى الإسلام بنات النبي ﷺ، لأنه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بما كان عليه أبوهن من الاستقامة، وحسن السيرة، والتزهد عما كان يفعلُه أهل الجاهلية من عبادة الأصنام، والوقوع في الآثام، وفي اقتدائهن بأمهن في المسارعة إلى الإيمان.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ: وأما بناته رَحِمَهُ اللهُ فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه ﷺ. ^(٣)

ثم أسلم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو في سن العاشرة وهو أول من أسلم من الغلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ^(٤)

ثم أسلم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو أول من أسلم من الرجال.

قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ... وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه، محبوباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما، كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه، ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله تعالى، وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه، ويجلس إليه. ^(٥)

(١) أسد الغابة (٥ / ٢٦٠)

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٨ / ٩٩)

(٣) انظر سيرة ابن هشام (١ / ٢٢٧)

(٤) قال الحافظ في الفتاح (٧ / ٥٦٦): الأصح في سن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين المبعث كان عشر سنين.

(٥) انظر سيرة ابن هشام (١ / ٢٨٦)

وأسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو أول من أسلم من الموالي.

قال ابن كثير رحمته الله: خديجة أول من أسلم من النساء، وقبل الرجال أيضا. وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب فإنه كان صغيرا دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم؛ إذ كان صدرا معظما، ورئيسا في قريش مكرما، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محببا متألفا يبذل المال في طاعة الله ورسوله. ^(١)

وقال الألباني رحمته الله: قام رسول الله ﷺ في الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد والأحرار والعبيد فأمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ومن الغلمان علي بن أبي طالب ومن النساء خديجة بنت خويلد وزوجته عليها السلام ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم. ^(٢)

ومن أوائل من أسلم عمار بن ياسر رضي الله عنه فقد قال عن نفسه: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر. ^(٣)

قال ابن حجر رحمته الله: الأعبد المذكورون هم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة وياسر والد عمار والمرأتان خديجة وسمية والدة عمار أو أم أيمن. ^(٤)

(١) البداية والنهاية (٤ / ٦٧)

(٢) صحيح السيرة النبوية للألباني (ص ٩٩)

(٣) رواه البخاري (٣٨٥٧)

(٤) فتح الباري (١ / ٣٠٠)

قوله:

أُيِّدَ بِالْآيَاتِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ

أي أن الله أيد نبيه ﷺ بالآيات والمعجزات وخوارق العادات التي لا يُتصور وقوعها إلا بأمر الله وإذنه للدلالة على صدق نبوته ﷺ وسيأتي معنا إن شاء بعض من ذلك في سياق أحداث سيرته العطرة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إسلام الجن

قال النازم وفقه الله:

٤٩- وَأَسْلَمَ الْجِنُّ عَلَيَّ نَخْلَةً لَمْ أَنْ تَلَا

٥٠- وَرَجَعُوا فِي عَجَلٍ يَدْعُونَ لِلْمُنَزَّلِ

الشرح

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۖ﴾ (٢٩) قَالُوا يَقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَقَوْمُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَعَامِنُوا بِهِ ۖ يَعْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٣].

وقد ذكر ابن إسحاق رحمته الله (١) أن إسلام الجن والتقائهم بالنبي ﷺ وهو يقرأ القرآن - لأول مرة - كان بعد رجوعه ﷺ من الطائف بعد وفاة أبي طالب، وخديجة رضي الله عنها وقد تعقبه ابن كثير.

قال ابن كثير رحمته الله: ذكر محمد بن إسحاق في السيرة قصة خروج النبي ﷺ إلى الطائف، ودعائه إياهم إلى الله عز وجل، وإبائهم عليه، فذكر القصة بطولها، وأورد ذلك الدعاء الحسن: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي.. إلى آخره (٢) قال:

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٥)

(٢) ضعيف: رواه أخرجه الطبراني (١٤٧٦٤) وابن عدي في الكامل في الضعفاء (١١١/ ٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٢/ ٤٩) وضعفه ابن باز كما في التعليقات البازية على زاد المعاد (٢٢) والألباني في السلسلة الضعيفة (٢٩٣٣) وفي ضعيف الجامع (١١٨٢) وغيرهما.

فلما انصرف عنهم بات بنخلة، فقرأ تلك الليلة من القرآن، فاستمعه الجن من أهل نصيبين. وهذا صحيح، ولكن قوله: إن الجن كان استماعهم تلك الليلة، فيه نظر، لأن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء، كما دل عليه حديث ابن عباس. ^(١)

وحديث ابن عباس المشار إليه في كلام ابن كثير هو ما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان الجن يستمعون الوحي فيستمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا، فيكون ما سمعوا حقا، وما زادوه باطلا، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث. فبث جنوده، فإذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض. قل الترمذي عقبه: حسن صحيح. ^(٢)



(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٩٠)

(٢) رواه الترمذي (٣٣٢٤) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى (١١٦٢٦) وأحمد (٢٤٨٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٣٢٤)

بدا الدعوة الجهرية للنبي ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

٥١- ثُمَّ دَعَا جِهَارًا وَأَنْذَرَ الْكُفَّارًا

الشرح

استمرت دعوة النبي ﷺ سرية حتى أنزل الله عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فجهر النبي ﷺ بدعوته.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، فاجتمعوا إليه، فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال: فقال أبو لهب: تبا لك، أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].^(١)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت رسول الله، سليمان بما شئت لا أغني عنك من الله شيئا.^(٢)

(١) رواه مسلم (٢٠٨) والبخاري (٤٧٧٠) باختلاف يسير

(٢) رواه البخاري (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٦)

وفي رواية لمسلم: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشا، فاجتمعوا، فعم وخص، فقال: "يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها. (١)

قال ابن حجر رحمه الله: والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولا أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع وألا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحاسبهم في الدعوة والتخويف فلذلك نص له على إنذارهم. (٢)



(١) رواه مسلم (٢٠٤)

(٢) فتح الباري (٨/ ٥٠٣)

أَذِيَّةُ الْمُشْرِكِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ مَعَهُ

قال الناظم وفقه الله:

- ٥٢- فَرَدَّ قَوْمٌ دَعْوَتَهُ وَأَكْبَرُوا أَذِيَّتَهُ
 ٥٣- وَعَذَّبُوا مَنْ أَسْلَمَا وَبَعْضُهُمْ قَدْ أَغْدِمَا
 ٥٤- وَخَفِيَ ظِلُّ اللَّهِ النَّبِيِّ بَعَمِّ ذِي الْأَحْسَبِ

الشرح

بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بإظهار دعوته استمر ﷺ يدعو قومه ليلاً ونهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصدّه عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي مواسم الحج، ويدعو من لقيه من حر وعبد، وضعيف وقوي، وغني وفقير وجميع الخلق في ذلك عنده سواء. فتنوع أذى قريش، واستخدمت أساليب كثيرة لمنع رسول الله ﷺ من تبليغ دعوته، وإظهار رسالته.

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يوم، وهو جالس حزينا قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة، قال: فقال له: مالك؟ قال: فقال له: فعل بي هؤلاء وفعلوا قال: فقال له جبريل عليه السلام: أتحب أن أريك آية؟ قال: نعم قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: ادع بتلك الشجرة. فدعاها فجاءت تمشي، حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع، فأمرها فرجعت إلى مكانها، فقال رسول الله ﷺ: حسبي. ^(١)

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٨) وأحمد (١٢١١٢) واللفظ له وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٧٠) وصحيح السيرة النبوية (ص ١٣٩)

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن طارق المحاربي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مر في سوق ذي المجاز وعليه حلة حمراء وهو يقول: يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا. ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب فقلت: من هذا؟ قالوا: غلام بني عبد المطلب فقلت: من هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟ قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب. ^(١)

ويحكي شاهد عيان هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، وجمع قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجنيء به، ثم يمهله، حتى إذا سجد، وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاها، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام، وهي جويرية، فأقبلت تسعى، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا، حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة، قال: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش. ثم سمي: اللهم عليك بعمر بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد. قال عبد الله: فوالله، لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأُتبع أصحاب القليب لعنة. ^(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن

(١) صحيح: رواه ابن خزيمة (١٥٩) وغيره وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٥٢٠)

(٢) رواه لبخاري (٥٢٠) ومسلم (١٧٩٤) باختلاف يسير

وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليظاً على رقبتة. قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه. قال: ف قيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخذفاً من نار، وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاخطفتة الملائكة عضوا عضوا. ^(١)

وعن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]. ^(٢)

ولم يقتصر أذى قريش على الاتهام الباطل، والتكذيب السافر والسخرية المرة، والأذى لرسول الله ﷺ، بل تصاعد إلى ذروة العنف وخاصة في معاملة المستضعفين من المسلمين. فنكلت بهم لتفتنهم عن دينهم، ولتجعلهم عبرة لسواهم، ولتنفس عن غضبها بما تصبه عليهم من العذاب.

قال ابن إسحاق: فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب، والجوع، والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر. ^(٣)

وقد مات ياسر والد عمار بن ياسر رضي الله عنه في العذاب، وطعن أبو جهل -لعنه الله- سمية أم عمار بحربة في قبلها فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام. ^(٤)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله

(١) رواه مسلم (٢٧٩٧)

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٨)

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٤)

(٤) انظر البداية والنهاية (٣/ ٦٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٨٢) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٥٧)

فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ
 الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَذْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا
 وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ،
 فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوُلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شَعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ.^(١)



(١) حسن: أخرجه ابن ماجه (١٥٠) وأحمد (٣٨٣٢) وابن حبان (٧٠٨٣) والحاكم (٥٢٣٨) باختلاف يسير
 وحسنه الألباني في صحيح الموارد (١٨٦٥) وصحيح ابن ماجه (١٢٢) والوادعي في الصحيح المسند
 (٨٤٧)

لجوء المشركين إلى المطالبة بالمعجزات لإثبات النبوة

قال الناظم وفقه الله:

- ٥٥- وَسَأَلُوهُ آيَةً تَدْعُو إِلَى الْهَدَايَةِ
٥٦- فَكَانَ شَقُّ الْقَمَرِ وَعَبْرَةُ الْمُعْتَبِرِ
٥٧- فَلَمْ يُطِيعُوا أَمْرَهُ وَقَدْ أَرَادُوا ضَرَّهُ

الشرح

أخذ عناد المشركين يقوى ولجاجتهم تشتد، وقد أرادوا إخراج الرسول وتحديه بمطالبته بالإتيان بمعجزات تثبت نبوته.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: قالت قريش للنبي: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً. فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت لهم باب التوبة والرحمة؟ قال: بل باب التوبة والرحمة. قال ابن عباس: فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَآتَيْنَا مُوَدَّ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] ^(١)

ولكن أمام إلحاح المشركين وعنادهم استجاب لهم -وقد سألوه آية- فأراهم القمر شقوتين، كما ثبت عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢١٦٦) واللفظ له، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٦١٧) والطبراني (١٥٢/١٢) (١٢٧٣٦) وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٨٨) صحيح على شرط مسلم

يريههم آية فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما. (١)

وقد أخبر الله بذلك فقال سبحانه: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أي انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. (٢)

فعللوا رؤيتهم لانشقاق القمر بالسحر، وكانوا يتهمون به الرسول ﷺ. وتحققت فيهم سنة السابقين مع المعجزات الحسية كما أخبر القرآن.

ومما سألوا النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، ف قيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم. قال: لا، بل أستأني بهم. فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَعَاتَيْنَا ثُمَّودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩]. (٣)

قال ابن كثير رحمه الله: ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الربانية ألا يجابوا لي ما سألوا؛ لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك، فيعاجلهم بالعذاب. (٤)

(١) رواه البخاري (٣٦٥٥)

(٢) تفسير ابن كثير (٤٧٢ / ٧)

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٣٣٣) والبخاري في مسنده (٥٠٣٦) والنسائي في الكبرى (١١٢٩٠) وصححه ابن كثير في البداية والنهاية (١٣١ / ٤) والهيتمي في مجمع الزوائد (٥٣ / ٧) وأحمد شاكر في تخريج المسند (٩٦ / ٤) والألباني في الصحيحة (٣٣٨٨) والوادعي في الصحيح المسند (٦٧٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٤) البداية والنهاية (١٣٠ / ٤)

الهجرة الأولى إلى الحبشة

قال الناظم وفقه الله:

- ٥٨- فَقَرَّ بَعْضُ الصَّحْبِ مِنْ نَصَبٍ وَكَرْبِ
 ٥٩- مِنْ مَكَّةَ الْمُسْتَوْحِشَةِ إِلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ
 ٦٠- فَكَانَ كُلُّ مَنْ هَجَرَ
 ٦١- أَمَّا النِّسَاءُ أَرْبَعُ لَمَّا تَنَاهَى الْوَجْعُ
 ٦٢- وَابْنُ أَبِي قُحَافَةَ هَاجَرَ مِنْ مَخَافَةِ
 ٦٣- وَعَادَ فِي الْجَوَارِ مِنْ بَعْدِ هَجْرِ الدَّارِ
 ٦٤- وَهَذِهِ أَوْلَاهُمَا وَتَلَكُّهُمْ إِخْدَاهُمَا

الشرح

لما اشتد البلاء بالمسلمين أذن الله لهم بالهجرة إلى الحبشة، والثابت أنهم هاجروا مرتين وكانت الهجرة الأولى في شهر رجب من سنة خمس من المبعث، وكان عدد من هاجر أحد عشر رجلاً وخمس نسوة. ^(١)

وقد صورت أم سلمة زوج النبي ﷺ - وهي ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى - الظروف التي أحاطت بهذه الهجرة قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منعة من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما

(١) انظر طبقات بن سعد (١/ ٢٠٤) وتاريخ الطبري (٢/ ٣٢٩) والسيرة لابن إسحاق (١/ ٢٢٣)

ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار وإلى خير جار آمننا على ديننا، ولم نخش منه ظلما. (١)

وممن خرج مهاجرا إلى الحبشة أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيع في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج، فإنك تسكب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك. فرجع أبو بكر مع ابن الدغنة الذي أعلن في قريش جواره له. فوافقت قريش على أن يعبد أبو بكر ربه في داره ولا يستعلن، فمضى وقت على ذلك ثم أخذ أبو بكر يجهر بقراءة القرآن في فناء داره فيجتمع نساء وأبناء المشركين يعجبون وينظرون إليه "وكان رجلا بكاء لا يملك دمه حين يقرأ القرآن" فأفزع ذلك قريشا، وطلبوا من ابن الدغنة أن يكفه، فخيره ابن الدغنة بين الإسرار بعبادته أو أن يرد عليه جواره، فرد أبو بكر عليه جواره قائلا: إني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله. (٢)

وكانت هذه هي الهجرة الأولى إلى الحبشة كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله:

وَهَـذِهِ أَوَّلُهُمْ أ _____ وَتَلَكُمُ إِيَّاهُمَا

(١) صحيح: أخرجه ابن هشام (١ / ٣٣٤) مطولا، وأبو نعيم في الحلية (١ / ١١٥) والبيهقي في السنن (٩ / ٩) وفي الدلائل (٢ / ٣٠١) وسنده صحيح. انظر سير أعلام النبلاء (١ / ٢٠٨) بتحقيق شعيب. وتحقيق زاد المعاد (١ / ٨٥) وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة - رقم الحديث (٣١٩٠) وجود إسناده.

(٢) رواه البخاري (٢٢٩٧)

الهجرة الثانية إلى الحبشة

قال الناظم وفقه الله:

- ٦٥- ثُمَّ تَلَا النَّجْمَ وَقَدْ فِي آخِرِ النَّجْمِ سَجْدٌ
٦٦- فَسَجَدَ الْكُلُّ مَعَهُ وَكُلُّ مَنْ قَدْ سَمِعَهُ
٦٧- فَعَادَ بَعْضُ مَنْ هَجَرَ ظَنُّوا قُرَيْشًا أَسْلَمُوا
٦٨- وَبِالْكَتَابِ اعْتَصَمُوا زَادَ عَلَيْهِمُ الْأَدَى
٦٩- لَكِنَّهُ وَبِعَدَا فَهَاجَرُوا فِي الثَّانِيَةِ
٧٠- وَكَانَ كُلُّ الْعَدَدِ عَلَى الثَّمَانِينَ زِدْ

الشرح

في أعقاب الهجرة الأولى إلى الحبشة حدث أن صلى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام، فقرأ سورة النجم فسجد في موضع السجود وسجد كل من كان حاضراً إلا اثنين من المستكبرين، فشاع أن قريشاً قد أسلمت.

عبدالله بن عباس رضى الله عنه قال: نَ النَّبِيِّ ﷺ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ فَسَجَدَ فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا سَجَدَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ أَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصَى فَوَضَعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ يَكْفِينِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدُ قُتِلَ كَافِرًا. (١)

وترامت هذه الأخبار إلى مهاجرة الحبشة، ولكن في صورة تختلف تماماً عن صورتها الحقيقية، بلغهم أن أهل مكة أسلموا، وقد سجدوا مع النبي ﷺ، فقال المهاجرون: عشائرننا

(١) أخرجه البخاري (١٠٦٧) ومسلم (٥٧٦) باختلاف يسير

أحب إلينا، فخرجوا من الحبشة راجعين إلى مكة، وهذا في شوال من السنة الخامسة للبعثة، حتى إذا كانوا دون مكة بساعة تبينت لهم الحقيقة، وعرفوا أن المشركين أشد ما يكونون خصوما لله ورسوله وللمسلمين، فهموا بالرجوع إلى أرض الحبشة، فقالوا: قد بلغنا مكة، فدخلوا مكة، ولم يدخل أحد منهم إلا مستخفيا، أو في جوار رجل من قريش، وعاد بعضهم إلى الحبشة. ^(١)

وقد سرد ابن إسحاق أسماء أهل الهجرة الثانية وهم زيادة عن ثمانين رجلا. وقال ابن جرير: كانوا اثنين وثمانين رجلا سوى نسائهم وأبنائهم.. وقيل إن عدة نسائهم كانت ثماني عشرة امرأة. ^(٢)

وقال ابن إسحاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواتبوا على أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة. ^(٣)

وذكر ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عدد أصحاب الهجرة الثانية ثلاثة وثمانون. ^(٤)



(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٩٩ / ١) - البداية والنهاية (٧٤ / ٣) - زاد المعاد (٢١ / ٣) - سيرة ابن هشام (٤٠٢ / ١).

(٢) انظر فتح الباري (١٨٩ / ٧)

(٣) السير والمغازي لابن إسحاق ص (٢١٣)

(٤) زاد المعاد (٨٦ / ١)

وفد قريش إلى النجاشي

لما علمت قريش بهجرة المسلمين على الحبشة، جن جنونها، فأرسلت وفداً مؤلفاً من عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وأرسلت معهما الهدايا إلى النجاشي وبطارقته، بهدف أن يعيد إليهم من هاجر إليهم، لكنهم عادوا بخفي حنين.

عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله، لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جليدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلي كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قالت، فخرجا فقدموا على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، ثم قالوا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قربا هداياهن إلى النجاشي، فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم في آبائهم

وأعمامهم وعشائرهم فتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقه حوله: صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلي بلادهم وقومهم، قال: فغضب النجاشي ثم قال: لا ها الله، ايم الله، إذن لا أسلمهم إليهما ولا أكاد، قوما جاوروني نزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسن جوارهم ما جاوروني، قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ، كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاءه، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله، لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قال: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا

علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي. فقرأ عليه صدرا من {كهيعص} [مريم: ١]، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد، قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لأنبئنهم غدا عييبهم عندهم، ثم ستأصل به خضراءهم، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه؟ قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟! قالوا: نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله! اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، والسيوم: الآمنون، من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبرا ذهباً وأني آذيت رجلا منكم، والدبر بلسان الحبشة الجبل، ردوا عليهما

هداياهما فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطعهم فيه، قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جآ به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار، قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به، يعني، من ينازعه في ملكه، قالت: فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك، تخوفا أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه، قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سنا، قالت: فنفخوا له يربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده، واستوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة. (١)



(١) حسن: أخرجه أحمد (١٧٤٠) وغيره وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٨/٧) إسناده جيد وحسن إسناده الوادعي في الصحيح المسند (١٦٥١)

إسلام عمر رضي الله عنه

قال الناظم وفقه الله:

٧٢- وَأَسْلَمَ الْفَزْدُ عَمَرُ جَهْرًا وَلِلدِّينِ نَصْرُ

الشرح

لم تصح رواية في تحديد وقت إسلام عمر بن الخطاب بدقة، ولكن ابن إسحاق جعل إسلام عمر بعد هجرة الحبشة وذكر من وجه آخر إنه عقب هجرة الحبشة الأولى، أي في السنة الخامسة من البعثة.

قال ابن إسحاق رحمته الله: كان اسلام عمر بن الخطاب بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة. ^(١)

ثم ذكر بسنده حديث ليلي بنت أبي حثمة رضي الله عنها قالت: كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في اسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة، جاءني عمر بن الخطاب وأنا على بعيري نريد ان نتوجه، فقال: اين يا أم عبد الله؟ فقلت له: أذيتمونا في ديننا فنذهب إلى أرض الله عز وجل حيث لا نؤذى في عبادة الله، فقال: صحبكم الله، فذهب، ثم جاءني زوجي عامر ابن ربيعة، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال: أترجين يسلم؟ فقلت: نعم، فقال: والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب.

وفي رواية الحاكم: بنت أبي حثمة، قالت: والله إنا لنرحل إلى أرض الحبشة، فقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى وقف علي وهو على شركه، وكنا نلقى منه البلاء والشدة علينا، فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟ فقلت: نعم والله لنخرجن في أرض الله أذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا، فقال:

(١) سيرة ابن اسحاق (ص ١٨١)

صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا. قال: فجاء عامر بن ربيعة من حاجته تلك فقلت: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر أنفا ورقته وحزنه علينا، قال: فتطمعي في إسلامه؟ قلت: نعم، قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم جمل الخطاب، قال يائسا منه مما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام. ^(١) وليس فيه دليل على إسلامه في ذلك الحين وإنما رُقَّ قلبه لما رأى من مفارقة ليلى ومن معها ديارهم والله أعلم.

ووقع عند ابن سعد في طبقاته أن إسلام عمر رضي الله عنه كان في ذي الحجة من السنة السادسة للبعثة. ^(٢)

وهذا فيه نظر؛ لأن ابن عمر رضي الله عنه يوم أسلم أبوه عمر رضي الله عنه كان عمره ست سنين كما عند ابن سعد في طبقاته. ^(٣) وقد استصغر ابن عمر رضي الله عنه يوم غزوة أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وقبله في غزوة الخندق وهو ابن خمسة عشرة سنة. ^(٤) وكانت غزوة أحد سنة ثلاث من الهجرة، فعلى هذا يكون إسلام عمر رضي الله عنه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين وذلك في السنة التاسعة للبعثة، وكان رضي الله عنه في السادسة والعشرين من عمره يوم أسلم، والله أعلم. ^(٥)

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تعلم قريش بإسلامه،

(١) صحيح: رواه ابن إسحاق كما في المصدر السابق ورواه الحاكم (٦٨٩٥) والطبراني في الكبير (٤٧)

وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٨٣٢) وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٤) وهو في صحيح

السيرة النبوية للألباني (ص ١٨٩)

(٢) انظر الطبقات الكبرى (٣ / ٢٦٩)

(٣) انظر الطبقات الكبرى (٣ / ٢٧٠)

(٤) ثبت في البخاري (٤٠٩٧) ومسلم (١٨٦٨) أن ابن عمر رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ عرضني يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازني.

(٥) انظر فتح الباري (٧ / ١٨٣) وسيرة ابن هشام (١ / ٣٤٢) والبداية والنهاية (٣ / ٨٩) الطبقات الكبرى

لابن سعد (٣ / ٢٦٩)

فقال: أي أهل مكة أنقل للحديث؟، فقالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره، أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل، إني قد أسلمت، قال: فوالله ما رد عليه كلمة، حتى قام عامداً إلى المسجد، فنادى أندية قريش، فقال: يا معشر قريش، إن ابن الخطاب قد صبأ، فقال عمر: كذب، ولكنني أسلمت، وآمنت بالله، وصدقت رسوله، فثاوروه، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم، حتى فتر عمر وجلس، فقاموا على رأسه، فقال عمر: افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل، لقد تركتموها لنا، أو تركناها لكم، فبينما هم كذلك قيام عليه، إذ جاء رجل عليه حلة حرير، وقميص قومسي، فقال: ما بالكم؟، فقالوا: إن ابن الخطاب قد صبأ، قال: فمه؟، امرؤ اختار ديناً لنفسه، أفتظنون أن بني عدي تسلم إليكم صاحبهم؟، قال: فكأنما كانوا ثوبا انكشف عنه، فقلت له بعد بالمدينة: يا أبت، من الرجل الذي رد عنك القوم يومئذ؟، فقال: يا بني، ذاك العاص بن وائل السهمي.^(١)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عَقِبَ هَذَا الْحَدِيثِ: وهو يدل على تأخر إسلام عمر؛ لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة، وقد كان مميزاً يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو من تسع سنين. والله أعلم.^(٢)

وقد دعا له النبي ﷺ فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة.^(٣)
وكان إسلامه ﷺ عزة للمسلمين، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما زلنا أعزة منذ أسلم

(١) حسن: أخرجه البزار (١٥٦) والحاكم (٤٤٩٣) مختصراً باختلاف يسير، وابن حبان (٦٨٧٩) باختلاف يسير قال ابن كثير في البداية والنهاية (٧٩/٣) إسناده جيد قوي. وقوى إسناده أيضاً الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ١٩٢) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٧٧٤)
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٠٢) وبنحوه قال الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ١٩٢)
(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٠٥) وابن حبان (٦٨٨٢) والحاكم (٤٤٨٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا
وهو في السلسلة الصحيحة (٣٢٢٥)

عمر بن الخطاب. (١)

وقال ﷺ: إن إسلام عمر كان فتحاً وإن هجرته كانت نصراً وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه. (٢)



(١) رواه البخاري (٣٦٨٤)

(٢) حسن: قال شيخنا سليم الهاللي حفظه الله: إسناده حسن. أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٣٧٠) والطبراني في المعجم (٩ / ١٦٢ / ٨٨٠٦) والحاكم في المستدرک (٣ / ٩٠) وانظر صحيح السيرة النبوية (ص ١٨٨) لشيخنا الألباني رَحِمَهُ اللهُ. انتهى من حاشية الصحيح المصنف من سيرة النبي المصطفى (ص ١٠٦)

إسلام حمزة بنى عبد المطلب ﷺ

اختلف في سنة إسلامه ﷺ، فذكر ابن إسحاق أن إسلامه كان في السنة السادسة من النبوة. (١)

وقال ابن عبد البر رحمه الله: أسلم في السنة الثانية من المبعث، وقيل: بل كان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة من مبعثه ﷺ. (٢)

وجزم ابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أسد الغابة أنه أسلم في السنة الثانية من البعثة. (٣)

وهو عم الرسول ﷺ، وأخوة من الرضاعة، وكان ﷺ أسن من الرسول ﷺ بستين، وقيل بأربع سنين والأول أصح.

قال ابن عبد البر: قيل: إن حمزة ﷺ أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين، وهذا لا يصح عندي؛ لأن الحديث الثابت أن حمزة وأبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد، أرضعتهما ثوية مع رسول الله ﷺ، إلا أن تكون أرضعتهما في زمانين. (٤)

وقد أسلم حمزة في وقت اشتدت فيه جراءة قريش على رسول الله ﷺ ولكن تفاصيل قصة إسلامه لم تثبت من طريق صحيحة. (٥)



(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٦)

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٦٩)

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٠٥) وأسد الغابة (٢/ ٥٠)

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٦٩)

(٥) انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (١/ ١٤٦)

حصار الشعب

قال الناظم وفقه الله:

٧٣- ثُمَّ حَصَّارُ الشَّعْبِ مِنْ أَكْلِهِمْ وَالشُّرْبِ
٧٤- فَدَامَ عَامَيْنِ مَعَا ذَاقُوا الضَّنَّ وَالْوَجَعَا

الشرح

لما رأت قريش أن أمر الإسلام ينتشر ويعلو، وأن أساليبها كلها باءت بالفشل، ولم تمنع من انتشار الإسلام، وأن مساومتها لأبي طالب، وللنبي ﷺ من بعده قد قوبلت بالرفض، أجمعوا أمرهم على المقاطعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ بمنى: نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر. وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت علي بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ. يعني بذلك المحصب. (١)

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وقيل: كان ابتداء حصارهم في المحرم سنة سبع من المبعث. (٢)

وقال ابن إسحاق رحمته الله: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء، إلا سرا مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش. (٣)

وقال رحمته الله: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً، وأصابوا به

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٠) واللفظ له، ومسلم (١٣١٤)

(٢) الفتح (٧/ ١٩٣)

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٤)

أمنًا وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا واثتموا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، وأن يضيقوا عليهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل. فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم. وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. ^(١)

فائدة:

قال شيخنا سليم الهلالي حفظه الله في حاشية الصحيح المصنفى: واعلم أن ما ورد من تفاصيل أمر المقاطعة كله مراسيل لم تثبت رواية صحيحة في تفاصيلها؛ لكن أصل الحادثة ثابت؛ كما قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (١٩٣ / ٧): ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة؛ لأنه فيه دلالة على أصل القصة؛ لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك؛ كالشرح لقوله في الحديث: تقاسموا على الكفر. وانظر أخبار المقاطعة في الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٠٨ / ١) والسيرة النبوية (٣٨٨ / ١) وعيون الأثر (١ / ٢٢٢) والمواهب اللدنية (١ / ٢٤٧). ^(٢)

وذكر الإمام الذهبي رحمته الله أن ابن عباس رضي الله عنه، ولد في الشعب أثناء الحصار. ^(٣)



(١) انظر سيرة ابن هشام (١ / ٣٨٨)

(٢) الصحيح المصنفى من سيرة النبي المصطفى (ص ١٠٧). لشيخنا حفظه الله

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٣١)

موت أبي طالب

قال الناظم وفقه الله:

٧٥- وَمَاتَ بَعْدُ عَمُّهُ فَرَادَ فِيهِ عَمُّهُ
٧٦- إِذْ أَتَاهُ كَانَ السَّيْنَدُ يَحْمِيهِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ

الشرح

كان موت أبي طالب في آخر السنة العاشرة من المبعث بعد خروجهم من الشعب وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وهو يومئذ ابن سبع وثمانين سنة. (١)

قال الحافظ ابن حجر: أبو طالب، واسمه عند الجميع عبد مناف، ولد قبل النبي ﷺ بخمس وثلاثين سنة، وكان شقيق عبد الله والد رسول الله ﷺ، ولذلك أوصى به عبد المطلب عند موته فكفله إلى أن كبر، واستمر علي نصره بعد أن بعث إلى أن مات أبو طالب، وكان يذب عن النبي ﷺ، ويرد عنه كل من يؤذيه، وأخباره في حياته، والذب عنه معروفة مشهورة، ومما اشتهر من شعره في ذلك قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً
وهو مقيم مع ذلك علي دين قومه، وتوفي بعد خروجه ﷺ من الشعب في العام العاشر من المبعث. (٢)

وكانت قریش تحترمه، وقد جاء زعماءها حين حضرته الوفاة، فحرضوا أبا طالب على الاستمساك بدينه، وعدم الدخول في الإسلام.

عن المسيب بن حزن روى عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة. جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ: يا عم!

(١) انظر فتح الباري (٧/ ١٩٤) وزاد المعاد (١/ ٩٥) والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٥٩)

(٢) انظر الفتح (٧/ ٥٩١) والإصابة (٧/ ١٩٦)

قل: لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله" فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: "أما والله! لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الفصل: ٥٦].^(١)

وقد أفاض وأجاد الحافظ ابن حجر رحمته الله في الإصابة، في ترجمة أبي طالب في الرد على شبه الرافضة في دعوى إسلام أبي طالب.^(٢)

وقد تجرأ المشركون على رسول الله ﷺ بعد موت عمه أبي طالب.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ما زالت قريش كاعة^(٣) حتى توفي أبو طالب.^(٤)

قال ابن كثير رحمته الله: وعندي أن غالب ما روي من طرح الكفار سلا الجزور بين كتفيه ﷺ، وهو يصلي، وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم لرسول الله ﷺ خنقا شديدا، حتى حال دونه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكذلك عزم أبي جهل لعنه الله على أن يطأ على عنقه ﷺ، وهو يصلي، فحيل بينه وبين ذلك، مما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب، والله أعلم.^(٥)

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤)

(٢) انظر الإصابة (١١٢-١١٦)

(٣) كاعة، أي: جبانة.

(٤) صحيح: رواه الحاكم (٤٢٩٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وذكره الوادعي في الصحيح

المسند (١٦٣٧) وجود إسناده الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ٣١)

(٥) البداية والنهاية (٣/ ١٤٦)

موت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال الناظم وفقه الله:

٧٧- ثُمَّ خَدِيجَةُ قَضَتْ فِي عَامِهِ تُوُفِّيَتْ

الشرح

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين. ^(١)

ودفنت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالحجون في مقابر أهل مكة، وكانت مدة إقامة النبي ﷺ معها خمسا وعشرين سنة، فقد توفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولها من العمر خمس وستون سنة، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره. ^(٢)

واختلف في تعيين اليوم والشهر الذي توفت فيه، فقليل: بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام، وقيل: بشهر، وقيل: بشهرين. ^(٣)
وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من خيار نساء العالمين.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون. ^(٤)

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والقدر المشترك بين آسية، ومريم، وخديجة أن كلا منهن كفلت نبيا مرسلا، وأحسنّت الصحبة في كفالتها وصدقته، فأسية ربت موسى عَلَيْهِ السَّلَام،

(١) رواه البخاري (٣٨٩٦)

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/ ١١١ - ١١٢)

(٣) انظر اختلاف الروايات في موتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٥٢)

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٨٧٨) وأحمد (١٢٤١٤) باختلاف يسير، وابن حبان (٧٠٠٣) واللفظ له وهو في الصحيح المسند (٤١) للوادعي و صحيح الجامع (٣١٤٣) للألباني.

وأحسنَت إليه، وصدقته حين بعث، ومريم عليها السلام كفلت ولدها أتم كفالة، وأعظمها، وصدقته حين أرسل، وخديجة رضي الله عنها رغبت في تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، وبذلت في ذلك أموالها، وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل. ^(١)

وقال الإمام النووي رحمته الله: والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها. ^(٢)

ومما كافأ النبي صلى الله عليه وسلم به خديجة رضي الله عنها في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها. **روى الإمام مسلم في صحيحه من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، قالت:** لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت. ^(٣)

قال ابن حجر رحمته الله: وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين؛ لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة، ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها. ^(٤)

وقال ابن القيم رحمته الله تعالى: ومن خصائص خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها غيرها. **ومنها:** أن أولاده صلى الله عليه وسلم كلهم منها إلا إبراهيم عليه السلام، فإنه من سريته مارية رضي الله عنها. **ومنها:** أنها خير نساء الأمة.

ومنها: أنها رضي الله عنها لم تسؤه صلى الله عليه وسلم قط، ولم تغاضبه، ولم ينلها منه بلاء، ولا عتب قط،

(١) انظر البداية والنهاية (٣ / ١٤١)

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ / ١٦١).

(٣) رواه مسلم (٢٤٣٦)

(٤) فتح الباري (٧ / ١٣٧)

ولا هجر، وكفى بهذه منقبة وفضيلة.

ومن خواصها ﷺ: أنها أول امرأة آمنت بالله ورسوله ﷺ من هذه الأمة رضوان الله عليها.

ومنها: أن الله سبحانه وتعالى بعث السلام مع جبريل ﷺ، وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها، ﷺ. ^(١)

وكان النبي ﷺ يكثر من ذكرها حتى غارت من ذلك عائشة ﷺ.

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة ﷺ، قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: "إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد." ^(٢)



(١) انظر جلاء الأفهام (ص ٣٤٨)

(٢) رواه البخاري (٣٨١٨)

زواج النبي ﷺ من سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال الناظم وفقه الله:

٧٨- وَقَدْ أَتَمَّ عَقْدَهُ مَنْ بَعْدَهَا بِسَوْدَةَ

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وأمها الشموس بنت قيس بن عمرو بن زيد بن لبيد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار من الأنصار. (١)

وهي أول من دخل بها الرسول ﷺ بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وانفردت به نحواً من ثلاث سنين أو أكثر، حتى دخل على عائشة، وكانت سيدة جليلة نبيلة ضخمة. (٢)

قال ابن إسحاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة، وكانت قبله عند السكران بن عمرو، أخي سهيل بن عمرو، وكان ابن عمها تزوجها وهي بكر، فهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدما مكة فمات عنها مسلماً بمكة. فتزوجها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً حتى مات. (٣)

وتوفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شوال سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان. (٤)
وكان قد عقد على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكان عمرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما عقد عليها النبي ﷺ ست سنين، ودخل بها في المدينة بعد الهجرة، وعمرها تسع سنين.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين. (٥)

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠ / ٥٣) وكذا نسبها ابن الأثير في أسد الغابة (٧ / ١٥٧)

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٦٥)

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص ٢٥٤)

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠ / ٥٧) والإصابة لابن حجر (٧ / ٧٢١)

(٥) رواه البخاري (٥١٣٣) ومسلم (١٤٢٢)

ولما كبرت سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهبت نفسها لعائشة.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما كبرت سودة، وهبت يومها لي، فكان النبي ﷺ يقسم لي بيومها مع نسائه، قالت: وكانت أول امرأة تزوجها بعدي. ^(١)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه عقد عليها - أي على سودة - بعد أن عقد على عائشة، وأما دخوله ﷺ عليها - أي سودة - فكان قبل دخوله على عائشة بالاتفاق. ^(٢)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وهذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان مقدما على العقد بسودة. ^(٣)



(١) رواه مسلم (٢٩٩٦) وأحمد (٢٤٣٩٥)

(٢) فتح الباري (١٠ / ٣٩١)

(٣) انظر البداية والنهاية (٣ / ١٤٥)

خروج النبي ﷺ إلى الطائف

قال الناظم وفقه الله:

٧٩- ثُمَّ مَضَى لِلطَّائِفِ يَطْلُبُ أَمَّنَ الْخَائِفِ

٨٠- فَحَرَّضُوا مَنْ رَجَمَهُ بَغِيًّا وَأَذَمُوا قَدَمَهُ

الشرح

لما ازدادت وطأة قريش على النبي ﷺ، واشتد أذاها له بعد أن صار وحيدا بلا نصير يحميه ويؤويه من الناس، ولما زهدت قريش في الإسلام، وانصرفت عنه، رأى رسول الله ﷺ أن الدعوة في قريش لم تعد مجدية، وبدأ يفكر بالخروج من مكة إلى بلد آخر لعله يجد فيه نصيرا، وقبولا، واستجابة لما جاء به من الله عز وجل. فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف حيث تقطن ثقيف، يلتمس نصرتهم، والمنعة بهم من قومه.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا. ^(١)

وقد استجاب الله تعالى دعوة النبي ﷺ في هؤلاء الكفار، فأخرج من صلب أبي طالب، علي بن أبي طالب ﷺ، وجعفر بن أبي طالب ﷺ، وأخرج من صلب أبي جهل، عكرمة بن أبي جهل ﷺ، وأخرج من صلب الوليد بن المغيرة، خالد بن الوليد ﷺ، وأخرج من صلب العاص بن وائل، عمرو بن العاص ﷺ، وأخرج من صلب المطعم بن عدي، جبير بن مطعم ﷺ، وغيرهم كثير الذين خرجوا من أصلاب هؤلاء الكفار.

وهذه الرواية تكفي لإثبات الحادث من حيث وقوع الرحلة، ورد أهل الطائف عليه بشدة وما عرض عليه من عقوبتهم، ورحمته بهم ورغبته باستبقائهم، وأخيرا ذكرى الرحلة الأليمة في نفسه رغم مرور السنوات.

وأما دعاؤه على ثقيف بقوله اللهم إليك أشكو ضعف قوتي... إلخ ولقاؤه بعداس فلم يثبت من طريق صحيحة. وكذلك تسليط الصبيان ورجم قدمه ﷺ، فهذه التفاصيل في سيرة ابن هشام^(١)، بإسناد صحيح لكنه مرسل محمد بن كعب القرظي، وهو المصدر الرئيسي عنده لمعلومات رحلة الطائف.^(٢)



(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤١٩ - ٤٢٢)

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (١/ ١٨٥) وضعف الدعاء المذكور ابن باز كما في التعليقات البازية على زاد المعاد (٢٢) والألباني في السلسلة الضعيفة (٢٩٣٣) وفي التعليق على فقه السيرة (١٢٦)

الإسراء والمعراج

قال الناظم وفقه الله:

- ٨١- وَبَعْدَ ذَا الْعَنَاءِ سَلَاحًا بِالْإِنْسَاءِ
 ٨٢- ثُمَّ الْعُرْفُجِ لِلَّسَاءِ بِهِ تَرْقَى وَسَاءَ
 ٨٣- فِيهَا الصَّلَاةُ فَرَضَتْ خَمْسِينَ ثُمَّ خَفَّتْ

الشرح

بعد رحلة الطائف الأليمة، وقع حادث الإسراء والمعراج، فكان مواساة لرسول الله ﷺ. وقد أرخ الزهري ذلك قبل خروجه إلى المدينة بسنة. (١)

قال ابن سعد: كان الإسراء والمعراج ليلة السابع عشر من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة. (٢)

وبه جزم النووي، وبالع ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود فإن في ذلك اختلافا كثيرا يزيد على عشرة أقوال. (٣)

وقد أسري برسول الله ﷺ بروحه وجسده، يقظة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وقد صحت الروايات في قيام جبريل ﷺ بشق صدر الرسول ﷺ وغسله من ماء زمزم، وإفراغ الحكمة والإيمان في صدره.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ

(١) انظر دلائل النبوة (٢/ ٣٥٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ١٤١) والبداية والنهاية (٣/ ١٠٧)

(٢) الطبقات (١/ ١٠٣)

(٣) انظر فتح الباري (٧/ ٦٠٢).

قال: فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال: من هذا قال هذا جبريل قال: معك أحد قال: معي محمد قال أرسل إليه قال نعم فافتح فلما علونا السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قلت: من هذا يا جبريل قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح قال أنس: فذكر أنه وجد في السماوات إدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت لي كيف منازلهم غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السادسة. وقال أنس فلما مر جبريل بإدريس قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت: من هذا قال هذا إدريس ثم مررت بموسى فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت: من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت: من هذا قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قلت: من هذا قال هذا إبراهيم قال وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حية الأنصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال النبي ﷺ ففرض الله علي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى: ما الذي فرض على أمتك قلت: فرض عليهم خمسين صلاة قال فراجع ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فراجع ربى فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فذكر مثله فوضع شطرها فرجعت إلى موسى

فأخبرته فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فراجعت ربي فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت: قد استحيت من ربي ثم انطلق حتى أتى السدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا تراها المسك. ^(١)

قال أكرم العمري: وقد وردت روايات أخرى صحيحة تفيد أن الرسول ﷺ كان في المسجد الحرام، أو في الحطيم أو الحجر بالذات من المسجد الحرام حين شق صدره وغسل قلبه، ويمكن الجمع بأنه كان في بيته ثم جاء به جبريل إلى المسجد الحرام. فالرواية التي سقتها تفيد بأن الغسل تم بماء زمزم، وهو في المسجد الحرام، وقد بين الشراح أن الحكمة في شق الصدر وملء قلبه إيمانا وحكمة استعدادا للإسراء به تظهر في عدم تأثر جسمه بالشق وإخراج القلب مما يؤمنه من جميع المخاوف العادية الأخرى. ومثل هذه الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته، لمقدرة الله تعالى التي لا يستحيل عليها شيء. ^(٢)

وكان الإسراء والمعراج بالجسد والروح.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وأن الله تعالى حمّله على البراق حيث أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرا عندهم،

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣)

(٢) السيرة النبوية الصحيحة (١/ ١٨٩) وانظر فتح الباري (٧/ ٢٠٤ - ٢٠٥)

ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد، فإن الله تعالى إنما أخبر في كتابه العزيز أنه أسرى بعبد، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره.. ولا دلالة تدل على أن مراد الله تعالى من قوله: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ﴿أَسْرَى بروح عبده، بل الأدلة الواضحة، والأخبار المتابعة عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى أسرى به على دابة يقال لها: البراق، ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام. (١)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الأكثرون من العلماء على أنه ﷺ أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناما، والدليل على هذا قوله عز وجل: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ﴿فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم، وأيضا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال عز شأنه: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾. (٢)

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة، فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل. (٣)

والإسراء والمعراج مرة واحدة.

(١) تفسير الطبري (٨ / ١٦)

(٢) تفسير ابن كثير (٥ / ٤٣ - ٤٤)

(٣) فتح الباري (٧ / ٥٩)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة. ^(١)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فصل. وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها، فحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء ﷺ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب، ولم يتحصل على مطلب. وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه ﷺ أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرة من مكة إلى السماء فقط، ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء، وفرح بهذا المسلك، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات، وهذا بعيد جدا، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد، لأخبر النبي ﷺ به أمته، ولنقله الناس على التعدد والتكرار. ^(٢)

وعندما أخبر رسول الله قومه بما وقع معه من الإسراء والمعراج صدَّقه المؤمنون وكذبه المشركون، قال رسول الله ﷺ: لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتنني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا نبأتهم به. ^(٣)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة، فظعت بأمرى، وعرفت أن الناس مكذبي ففعد معتزلا حزينا، قال: فمر به عدو

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩)

(٣) رواه مسلم (١٧٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم قال: ما هو؟ قال: إنه أسري بي الليلة. قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس؟ قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: نعم. قال: فلم يُره أنه يكذبه، مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: رأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثني؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي. حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثني. فقال رسول الله ﷺ: إني أسري بي الليلة. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: نعم. قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه، متعجبا للكذب زعم!! قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، فقال رسول الله ﷺ: فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال - أو عقيل - فنعته، وأنا أنظر إليه، قال: وكان مع هذا نعت لم أحفظه. قال: فقال القوم: أما النعت، فوالله لقد أصاب. ^(١)

وقد صح أن بعض المسلمين ارتدوا، وصدّق بذلك أبو بكر.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم، إني

(١) صحيح: أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٨٥) وأحمد (٢٨١٩) واللفظ له. وحسنه ابن حجر في فتح الباري (٢٣٩/٧) وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٩/١) وأحمد شاکر في تخريج المسند (٢٩٣/٤) والألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٢١) والوادعي في الصحيح المسند (٦٧٦)

لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي
أبا بكر الصديق رضي الله عنه.^(١)



(١) صحيح: رواه الحاكم (٤٤٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم
يخرجاه. ووافقه الذهبي. ورواه الآجري في الشريعة (١٠٣٠) وهو في السلسلة الصحيحة للألباني رحمته الله
(٣٠٦)

صلاة الرسول ﷺ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ومن كرامات النبي ﷺ وتحقق أفضليته على سائر الخلائق صلاته ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيته في الحجر وقرش تسألني عن مسراي، فسألني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيته في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم -يعني: نفسه- فحانت الصلاة فأممتهم»^(١).

واختلف أهل العلم هل صلى النبي ﷺ بالأنبياء قبل الخروج أم بعده.

قال ابن كثير رحمه الله والظاهر أن الأنبياء هبطوا تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجتمعون بأحد قبل الذي طلبوا إليه، ولهذا كان كلما مر على واحد منهم يقول له جبريل - عندما يتقدم ذاك للسلام عليه - هذا فلان فسلم عليه، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى التعرف بهم مرة ثانية. ومما يدل على ذلك أنه قال فلما حانت الصلاة: أممتهم. ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل، فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدم في الإمامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلتهم ودار إقامتهم.^(٢)

(١) رواه مسلم (١٧٢)

(٢) البداية والنهاية (٣/ ١٣٩) ورجحه أيضاً في التفسير (٥/ ٢٨)

عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل طلباً للنصرة

قال الناظم وفقه الله:

- ٨٤- وَكَانَ وَقَتَ الْمُؤَسِّمِ يَدُورُ بَيْنَ الْخِيَمِ
٨٥- يَقُولُ مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ أَلْعَدَا يَكْفِينِي
٨٦- فَوَافَقَ الْهَمَّ دَانِي السَّيْدُ إِلَيَّ مَانِي
٨٧- وَقَالَ سَوْفَ أَعْجَلُ لِمَنْ وَرَائِي أَسْأَلُ
٨٨- وَالْوَعْدُ بَعْدَ عَامٍ يَا أَشْرَفَ الْأَنْبَامِ

الشرح

لم يدع رسول الله ﷺ فرصة للاجتماع بالناس وتبليغهم الدعوة - تفوته، وخاصة في موسم الحج عندما تُقبل القبائل إلى مكة، قال ربيعة بن عباد الدؤلي - وهو شاهد عيان -: رأيت رسول الله ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام بذي المجاز، وخلفه رجل أحول يقول: لا يغلبنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت لأبي وأنا غلام: من هذا الأحول الذي يمشي خلفه؟ قال: هذا عمه أبو لهب. ^(١)

وكان ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف، فيقول: هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي. فأتاه رجل من همدان فقال: ممن أنت؟ فقال الرجل: من همدان. قال: فهل عند قومك من

(١) صحيح: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٠٢٢) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى (١٧٧٢٧) وابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائي (٩٦١) والطبراني (٦١ / ٥) (٤٥٨٤) وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٣٣٣) ومحققوا المسند.

منعة؟ قال: نعم. ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل. قال: نعم. فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب. (١)

وهذا يدل على أن الحادثة جرت في العام الحادي عشر من البعثة فإن الأنصار قدموا في العام الحادي عشر من البعثة حيث جرت بيعة العقبة الأولى، ثم في العام الثاني عشر حيث جرت بيعة العقبة الثانية، ثم كانت الهجرة إلى المدينة.

واتصل ﷺ بالأنصار، قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون: أحذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام. (٢)

وعن محمود بن لبيد، أخي بني عبد الأشهل قال: لما قدم أبو الحيسر، أنس بن رافع مكة، ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، فسمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم، فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم إلى خير مما جئتم له؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: إنا رسول الله، بعثني

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٣٤) والترمذي (٢٩٢٥) وابن ماجه (٢٠١) والنسائي في السنن الكبرى (٧٧٢٧) مختصراً، وأحمد (١٥١٩٢) باختلاف يسير وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٤٢٧٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٢١٦)

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٤٥٦) والبزار كما في مجمع الزوائد للهيثمى (٤٩/٦) وابن حبان (٦٢٧٤) وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٢١٥) والألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣)

إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل علي الكتاب، ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. ^(١)



(١) حسن: قال شيخنا العلامة سليم الهلالي حفظه الله في حاشيته على كتابه الصحيح المصنف عند هذا الأثر: حسن - أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٧/٥) وابن هشام في السيرة (٤٢٧/١-٤٢٨) والطبراني في المعجم الكبير (٨٠٥) والحاكم في المستدرک (٣) (١٨١-١٨٠) والبيهقي في دلائل النبوة (٤٢٠/٢). قلت وحسنه محققوا المسند.

بيعة العقبة الأولى

قال الناظم وفقه الله:

- ٨٩- فَجَامِ مِنْ الْمَدِينَةِ الْقَلْعَةِ الْحَصِينَةِ
 ٩٠- وَفُتِدْ مِنْ الْأَنْصَارِ وَخَيْرُ رَةِ الْأَخْيَارِ
 ٩١- وَكَانَ ذَا فِي رَجَبٍ بَيْعُهُ وَفُتِدِ يَثْرِبِ
 ٩٢- فِي سَنَةِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ بَعَثِ أَشْرَفِ الْبَشَرِ
 ٩٣- وَالْعَدْدُ اثْنَا عَشَرَ فَبَايَعُوا الْمُبَشَّرَا

الشرح

لما رجع الذين التقوا برسول الله ﷺ إلى المدينة ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ، ودعوههم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل، وذلك سنة اثنتي عشرة من البعثة وافى موسم الحج اثنا عشر رجلا، اثنان من الأوس، وعشرة من الخزرج.

وكانت بيعة العقبة الأولى كما قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان أحد النقباء فيها: أن

رسول الله ﷺ قال، وحوله عصابة من أصحابه: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك. ^(١)

وفي رواية أحمد: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب: على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا ننزف، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم، فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً، فأمرکم إلى الله، إن شاء عذبکم، وإن شاء غفر لکم. ^(١)

وكانت بيعة العقبة الأولى في رجب كما دل على ذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل فأتاه رجل من همدان فقال مِمَّنَ أنت فقال الرجل من همدان فقال هل عند قومك من منعة قال نعم ثم أن الرجل خشى أن يخفّره قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال آتيهم أخبرهم ثم آتيك من قابل قال نعم فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب. ^(٢)

ولما انجزت بيعة العقبة الأولى، وعاد الأنصار إلى المدينة بعث رسول الله معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين. فقام بمهمته خير قيام وانتشر على يديه الإسلام، ورجع إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية. ^(٣)

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٧٥٤)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٣٤) والترمذي (٢٩٢٥) وابن ماجه (٢٠١) والنسائي في السنن الكبرى (٧٧٢٧) مختصراً، وأحمد (١٥١٩٢) باختلاف يسير وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٤٢٧٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٢١٦)

(٣) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٨)

بيعة العقبة الثانية

قال الناظم وفقه الله:

- ٩٤- وَمَرَّ عَامٌ وَاحِدٌ حَتَّى إِلَيْهِ عَاوَدُوا
 ٩٥- وَبَايَعُوهُ الثَّانِيَةَ أَهْلُ الْقُلُوبِ الْحَايَةِ
 ٩٦- سَبْعِينَ كَانِ الْعَدَدُ وَمَا تَوَانَى أَحَدُ
 ٩٧- كَلَامُهُمَا فِي الْعَقَبَةِ وَنَفَّذُوا مَا طَلَبَهُ

الشرح

لما انتشر الإسلام في المدينة، واطمأن المسلمون المهاجرون بين إخوانهم الأنصار، وبقي رسول الله ﷺ في مكة يلاقي عنت قريش وأذاها الذي كان يشتد على مر الأيام، قدم وفد من الأنصار في موسم الحج فبايعوا بيعة العقبة الثانية.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أن النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ ومنازلهم من منى يقول: من يؤويني، من ينصرني، حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة؟. فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤويه حتى إن الرجل ليرحل من مصر، أو من اليمن إلى ذي رحمه فيأتيه قومه فيقولون له: احذر غلام قريش لا يفتنك ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله من يشرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به، ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين، يظهرون الإسلام، وبعثنا الله إليه فائتمرنا واجتمعنا وقلنا: حتى متى رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف، فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدنا بيعة العقبة فقال له عمه العباس: يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك إني ذو

معرفة بأهل يثرب فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث، فقلنا: يا رسول الله، على ما نبأيك؟ قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط، والكسل، وعلى النفقة في العسر، واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم، وتمنعوني مما تمنعون عنه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولکم الجنة. فقمنا نبأيعه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين إلا أنه قال: رويدا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وأن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن يعضكم السيف فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم وعلى قتل خياركم ومفارقة العرب كافة، فخذوه وأجرکم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر عند الله عز وجل، فقالوا: يا أسعد أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها، قال: فقمنا إليه رجلا رجلا فأخذ علينا ليعطينا بذلك الجنة.^(١)

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه، وكان ممن شهد العقبة وبأيع رسول الله ﷺ بها، قال:

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء!، إني قد رأيت والله رأيا، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا؟، قال: قلنا له: وما ذاك قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها، قال: فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه، فقال: إني أصلي إليها، قال: فقلنا له: لكننا لا نفعل، فكننا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٤٥٦) والحاكم (٤٢٥١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه. ووفقه الذهبي. وأخرجه البزار كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٤٩/٦) وابن حبان (٦٢٧٤) وهو في السلسلة الصحيحة للألباني (١٣٣/١) والصحيح المسند (٢١٥) للوادي

الكعبة حتى قدمنا مكة، قال أخي: وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة، قال: يا ابن أخي!، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه، قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟، قال: قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟، قلنا: نعم، قال: وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ معه جالس، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: "هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟"، قال: نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: الشاعِر. قال: نعم، قال: فقال البراء بن معرور: يا نبي الله!، إني خرجت في سفري هذا وهداني الله للإسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟، قال: لقد كنت على قبله لو صبرت عليها. قال: فرجع البراء إلى قبله رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم، قال: وخرجنا إلى الحج فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر سيد من ساداتنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلّمناه وقلنا له: يا أبا جابر!، إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعوته إلى الإسلام وأخبرته بميعاد رسول الله ﷺ فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا، قال: فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا

لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائهم، نسيبة بنت كعب، أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع، قال: فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم، فقال: يا معشر الخزرج!، قال: وكانت العرب مما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها، إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام قال: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم"، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله ﷺ، فنحن أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر، قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل، فقال: يا رسول الله!، إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها يعني العهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟، قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم، وأسالم من سالمتم. وقد قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وأما معبد بن كعب فحدثني في حديثه، عن أخيه، عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ

الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط: يا أهل الجباب! - والجبابب المنازل - هل لكم في مذمم والصباة معه قد أجمعوا على حربكم؟، قال علي يعني ابن إسحاق: ما يقوله عدو الله محمد؟، فقال رسول الله ﷺ: هذا أذب العقبة، هذا ابن أزيب، اسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك. ثم قال رسول الله ﷺ: ارفعوا إلى رحالكم. قال: فقال له العباس بن عباد بن نضلة: والذي بعثك بالحق، لئن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيا، قال: فقال رسول الله ﷺ: لم أومر بذلك. قال: فرجعنا فنمنا حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج!، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا، والله إنه ما من العرب أحد أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم، قال: فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وقد صدقوا لم يعلموا ما كان منا، قال: فبعضنا ينظر إلى بعض، قال: وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر وأنت سيد من سادتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش!، فسمعها الحارث فخلعهما ثم رمى بهما إلي، فقال: والله لتتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: أحفظت والله الفتى فاردد عليه نعليه، قال: فقلت: والله لا أردهما، قال: والله صلح والله لئن صدق الفأل لأسلبنه. ^(١)

وهكذا مرت البيعة بسلام، وعاد الأنصار إلى المدينة، ينتظرون هجرة النبي ﷺ إليهم بتلهف كبير.

(١) حسن: أخرجه أحمد (١٥٧٩٨) واللفظ له، وابن حبان (٧٠١١) والطبراني (٨٧/١٩) (١٧٤) وقال الهيثمي مجمع الزوائد (٤٥/٦): رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. وصححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة (ص ١٩٤)

وقد كان كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: لقد شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توائمتنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها. ^(١)

قال ابن حجر رحمته الله: لأن من شهد غزوة بدر كان فاضلاً بسبب أنها أول غزوة نصر فيها الإسلام، لكن بيعة العقبة كانت سبباً في فشو الإسلام، ومنها نشأ مشهد بدر. ^(٢)



(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٩) ومسلم (٢٧٦٩)

(٢) الفتح (٧/ ٦٢٤)

أَسْمَاءُ النِّقَبَاءِ الْإِثْنِي عَشَرَ

سبق معنا في حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْأَنْصَارِ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ **الثَّانِيَةِ**: أَخْرَجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ. فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا، مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ.

فَكَانَ النِّقَبَاءُ مِنَ الْخَزْرَجِ:

- ١ - أسعد بن زرارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقيب بني النجار.
- ٢ - البراء بن معرور.
- ٣ - وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقيب بني سلمة.
- ٤ - سعد بن عبادة.
- ٥ - والمنذر بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقيب بني ساعدة.
- ٦ - رافع بن مالك بن العجلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقيب بني زريق.
- ٧ - عبد الله بن رواحة.
- ٨ - وسعد بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقيب بني الحارث بن الخزرج.
- ٩ - عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقيب بني عمرو بن عوف بن الخزرج.

نَقَبَاءُ الْأَوْسِ:

- ١٠ - أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقيب بني عبد الأشهل.
- ١١ - سعد بن خيثمة.
- ١٢ - ورفاعة بن عبد المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقيب بني عمرو بن عوف. ^(١)



(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٦٥) وقال: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدون رفاعة.

الهجرة إلى المدينة المنورة

قال الناظم وفقه الله:

- ٩٨- ثُمَّ إِلَيْنِهِمْ هَاجَرْتُ جَمَاعَةً وَسَّافَرْتُ
 ٩٩- عَشْرُونَ شَخْصًا قَدْ هَجَرُ مِنْهُمْ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ
 ١٠٠- وَالْإِذْنَ بَعْدَ نَزَلَا لِلْمُضْطَفَى أَنْ يَرْحَلَا
 ١٠١- فَجَاءَ وَقَتَ الظُّهْرِ مُلْتَفِعًا فِي سِيَرِ
 ١٠٢- إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَتَى وَلِلرَّحِيلِ وَقَّتَا
 ١٠٣- فَدَخَلَا فِي الْغَارِ خَوْفًا مِنَ الْكُفَّارِ
 ١٠٤- أَوَى ثَلَاثًا فِيهِ لِلسَّيْرِ وَالتَّمَوِيهِ
 ١٠٥- وَالْمُشِيرُ كُنَّ اجْتَمَعُوا لِقَتْلِهِ وَوَضَعُوا
 ١٠٦- مَا لَمْ يَنْ يَقْتُلْهُ وَنَحْوَهُمْ يَحْمِلُهُ
 ١٠٧- فَاقْتَصَّ عَنْهُمْ سُورَاقَهُ وَأَسْرَعَ انْطِلَاقَهُ
 ١٠٨- حَتَّى إِذَا مَا أَوْشَكََا لِلْمُضْطَفَى أَنْ يُذْرِكََا
 ١٠٩- فَسَاحَ سَاقُ الْفَرَسِ كَالْعَاجِزِ الْمُنْجِسِ
 ١١٠- فَقَالَ لَنْ أَضْرَكَكُمْ وَسَوْفَ أَخْفِي أَمْرَكُمْ
 ١١١- وَاسْتَأْجَرُوا ابْنَ أَرْقَطٍ خَرِيَّتَ لَمْ يُقَرِّطِ

الشرح

تدل النصوص الصحيحة على أن اختيار المدينة مهاجرا لرسول الله ﷺ كان بوحى إلهي كما في الحديث: رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب

وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب. (١)

وأول المهاجرين، ما جاء في البخاري، عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلنا يقرئنا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ. (٢)

قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني غفار، فوق سرف، وقلنا: أينما لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام وفتن فافتتن. (٣)

وهذا هو الصحيح في هجرة عمر رضي الله عنه. وأما ما روي عن علي بن أبي طالب: ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهما، واختصر عزته، ومضى قبل الكعبة، والملا من قریش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا متمكنا، ثم أتى القوم، فصلى متمكنا، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، فقال لهم: شأهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تشكله أمه، أو يؤتم ولده، أو يرمل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم، ومضى لوجهه. فهو ضعيف. (٤)

(١) رواه البخاري (٧٠٣٥) ومسلم (٢٢٧٢) بألفاظ متقاربة من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٩٢٥)

(٣) صحيح: أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٨٨) - وأورده الحافظ في الإصابة (٦/ ٤٢٣) - وصحح إسناده وهو في الصحيح المسند (٩٨٤) للوادي.

(٤) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٥١) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٤٥)

قال الشيخ الألباني رحمه الله: مداره على الزبير بن محمد بن خالد العثماني: حدثنا عبد الله بن القاسم الأيلي عن أبيه بإسناده إلى علي. وهؤلاء الثلاثة في عداد المجاهولين؛ فإن أحدا من أهل الجرح والتعديل لم يذكرهم مطلقا. ^(١)

وكانت أم سلمة رضي الله عنها أول المهاجرات إلى المدينة. فقد أخرج الترمذي في جامعه بسند صحيح عن مجاهد قال: كانت أم سلمة رضي الله عنها أول ظعينة ^(٢) قدمت المدينة مهاجرة. ^(٣) ثم خرج الناس أرسالا يتبع بعضهم بعضا، ولم يمض شهران أو أكثر على بيعة العقبة الثانية حتى لم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما، أو مفتون محبوس، أو مريض، أو ضعيف عن الخروج. ^(٤)

ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ في الهجرة إلى المدينة، وهذه عائشة رضي الله عنها تروي لنا تفاصيل هجرة النبي ﷺ برفقة أبيها رضي الله عنه فتقول: قال النبي ﷺ للمسلمين: إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين. وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف

(١) دفاع عن الحديث النبوي (ص ٤٢)

(٢) الظعينة: المرأة، وأصل الظعينة: الراحلة التي يرحل ويظعن عليها، أي يسار، وقيل للمرأة ظعينة، لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن. انظر النهاية (٣/ ١٤٣)

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٠٢٢) وقال الترمذي بعد أن أورد هذا الأثر عن مجاهد: هذا حديث مرسل. ورد العلامة أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري قول الترمذي: حديث مرسل، فقال: إنه جزم بلا دليل، ومجاهد أدرك أم سلمة يقينا وعاصرها، فإنه ولد سنة (٢١ هـ)، وأم سلمة ماتت بعد سنة ٦٠ هـ، على اليقين، فثبت عندنا اتصال الحديث وصحته، والحمد لله. والحديث يصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٠٩) وسيرة ابن هشام (٢/ ٩٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/

راحلتين كانتا عنده ورق السم، وهو الخبط، أربعة أشهر. قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك. فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت يا رسول الله - إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، قالت ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب، ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما، حتى ينق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الدليل، وهو من بني عبد بن عدي، هاديا خريتا، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل. ^(١)

ولما خرج الرسول ﷺ من مكة أخذ ينظر إلى مكة نظرة الوداع، وهو يقول: والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت. (١)

وقد تمكن المشركون من اقتفاء أثرهم إلى الغار حيث رأى الصديق أقدامهم فقال: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه، لأبصرنا، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما. (٢)

وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

ولمّا لم يتمكن المشركون من اللحاق برسول الله ﷺ، جعلوا جائزة لمن يأت بهما، ولندع سراقة بن مالك رضى الله عنه يروي لنا قصته في ذلك فقال رضى الله عنه: جاءنا رسل كفار قريش، يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر، دية كل واحد منهما، لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس بني مدلج، أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال يا سراقة: إني قد رأيت أنفا أسودة بالساحل، أراها محمدا وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا، انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة، فتحبسها علي، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها،

(١) صحيح: رواه أحمد (١٨٧١٧) والترمذي (٣٩٢٥) والحاكم (٥٩٥١) وابن حبان (٣٧٠٨) وغيرهم بألفاظ متقاربة. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٩٢٥) والوادعي في الصحيح المسند (٧١٠)

من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء.

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١)

فرفعتها تقرب بي، حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقممت فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرمهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام، تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها عشان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم، أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضوا عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني، إلا أن قال: (أخف عنا). فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ. (١)



دخول النبي ﷺ المدينة

قال الناظم وفقه الله:

- ١١٢- وَقَدْ أَنْحَاخَ الْمَرْكَبَا ضُحَى عَلَى أَرْضِ قُبَا
 ١١٣- أَسَسَ فِيهَا الْمَسْجِدَا مَنَارَ خَيْرٍ وَهُدَى
 ١١٤- وَسَارَ بِالرَّكُوبِ إِلَى أَبِي أَيُّوبِ
 ١١٥- وَفِي الطَّرِيقِ جَمَعَا وَلِلصَّالَةِ شَرَرَعَا

الشرح

وصل النبي ﷺ قباء، يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، هذا هو المشهور من رواية ابن إسحاق، ^(١) سنة أربع عشرة من البعثة وهي السنة الأولى من الهجرة. ^(٢)
 وقد أقام النبي ﷺ بقاء أربعة عشر ليلة في حي يقال لهم: بني عمرو بن عوف. كما ثبت ذلك عن أنس رضي الله عنه. ^(٣)
 ومكث رسول الله ﷺ في قباء في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة وأسس مسجد قباء.

ويحكي لنا عروة بن الزبير تفاصيل ذلك فقال: أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين، كانوا تجارا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهر، فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ١٠٥)

(٢) انظر فتح الباري (٧/ ٦٥٥)

(٣) رواه البخاري (٣٩٣٢) ومسلم (٥٢٤)

انتظارهم، فلما أوا إلى بيوتهم، أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم، لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتا، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ. (١)

وكان أول عمل قام به رسول الله ﷺ لما قدم قباء أن أسس مسجد قباء، وهو المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه، وهو أول مسجد بني في الإسلام. **قال ابن حجر رحمه الله:** وهو أول مسجد صلى النبي ﷺ فيه بأصحابه جماعة ظاهرا، وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة. (٢)

وقال ابن كثير رحمه الله: فكان هذا المسجد -أي مسجد قباء- أول مسجد بني في الإسلام بالمدينة، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة، واحتزننا بهذا عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي؛ لأن ذاك كان لخاصة نفسه لم يكن للناس عامة، والله أعلم. (٣)

ولما كان يوم الجمعة ركب رسول الله ﷺ راحلته، وأبو بكر رضي الله عنه ردفه، وأرسل

(١) رواه البخاري (٣٩٢٥)

(٢) فتح الباري (٧/ ٦٥٦)

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٢٢٣)

إلى ملأ من بني النجار، فجاءوا متقلدي سيوفهم، فسار بهم نحو المدينة، وهم محدقون به، كما ثبت من حديث أنس رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، نزل في علو المدينة، في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ بني النجار، قال: فجاءوا متقلدي سيوفهم، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله. ^(١)

فأدركت الرسول ﷺ صلاة الجمعة في ديار بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانونا ^(٢) بمن معه من المسلمين، وهم مئة، واستقبل بيت المقدس، فلما أبصرته اليهود صلى إلى قبلتهم تذكروا بينهم أنه النبي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل. ^(٣)

قال ابن كثير رحمته الله: ولما ارتحل عليه الصلاة والسلام من قباء وهو راكب ناقته القصواء، وذلك يوم الجمعة، أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف، فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك، في وادي يقال له: وادي رانونا، فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة أو مطلقاً؛ لأنه - والله أعلم - لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة، وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له، وأذيتهم إياه. ^(٤)

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦)

(٢) رانونا: بوزن عاشوراء واد بين قباء والمدينة. انظر معجم البلدان (٤ / ٣٨٤) وفيه الآن مسجد يقال له: مسجد الجمعة.

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٢ / ١٠٨) دلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٥٠٠)

(٤) البداية والنهاية (٤ / ٥٢٦)

فرح أهل المدينة بقدوم النبي ﷺ

ولما وصل المدينة ﷺ، استبشر أهلها وفرحوا أشد الفرح.

يقول البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، حتى جعل الإمام يقلن: قدم رسول الله ﷺ. ^(١)

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ... فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق، ينادون: يا محمد! يا رسول الله! يا محمد! يا رسول الله. ^(٢)

ويصف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، موقف أهل المدينة، حين قدومه مع رسول الله ﷺ فيقول: فخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق، وعلى البيوت من الغلمان والخدم يقولون: جاء محمد رسول الله. ^(٣)

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يركب وأبو بكر رديفه وكان أبو بكر يعرف في الطريق لاختلافه إلى الشام وكان يمر بالقوم فيقولون من هذا بين يديك يا أبا بكر فيقول هاد يهديني فلما دنوا من المدينة بعث إلى القوم الذين أسلموا من الأنصار إلى أبي أمامة وأصحابه فخرجوا إليهما فقالوا ادخلا آمنين مطاعين فدخلا قال أنس فما رأيت يوما قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبو بكر المدينة. ^(٤)

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٥)

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٩)

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٦٢٨١) وإسناده صحيح على شرط البخاري، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠٢/٩).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١٢٢٣٤) واللفظ له، والدارمي (٨٨) وأبو يعلى (٣٤٨٦) وصححه الوادعي

نَزُولُ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَارِ أَبِي أَيُوبَ

لما قدم النبي ﷺ المدينة، جعل أهلها يتنازعون أيهم يظفر بنزول رسول الله ﷺ عنده. ^(١) وكل يأخذ بزمام ناقته ويقول: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدد والمنعة فجعل النبي ﷺ يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة. ^(٢)

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه: فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي الله ﷺ فسلموا عليهما، وقالوا: اركبا آمنين مطاعين. فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر، وحفوا دونهما بالسلاح، فقبل في المدينة: جاء نبي الله، جاء نبي الله ﷺ، فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله، جاء نبي الله، فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب، فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام، وهو في نخل لأهله يخترف لهم، فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه، فسمع من نبي الله ﷺ، ثم رجع إلى أهله، فقال نبي الله ﷺ: أي بيوت أهلنا أقرب فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي، قال: فانطلق فهيئ لنا مقبلا. ^(٣)

ويحكي لنا أبو أيوب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نزل عليه، فنزل النبي ﷺ في السفلى، وأبو أيوب في العلو، قال: فانتبه أبو أيوب ليلة، فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فتنحوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: السفلى أرفق. فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبي ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السفلى، فكان يصنع للنبي ﷺ طعاما، فإذا جاء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه، فصنع له

في الصحيح المسند (١٢٢) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(١) ثبت ذلك في صحيح مسلم (٢٠٠٩) عن البراء.

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٠) وطبقات ابن سعد (١/ ٢٠٣) و السيرة النبوية وأخبار الخلفاء من

الثقات لابن حبان (١/ ١٤٢)

(٣) رواه البخاري (٣٩١١)

طعاما فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ، فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه، فقال: أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ: لا، ولكنني أكرهه. قال: فإني أكره ما تكره، أو ما كرهت، قال: وكان النبي ﷺ يؤتى. ^(١)

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: أما نزوله ﷺ أولا في السفلى، فقد صرح بسببه، وأنه أرفق به، وبأصحابه، وقاصديه، وأما كراهة أبي أيوب، فمن الأدب المحبوب الجميل. ^(٢)

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وإنما تخرج أبو أيوب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من البقاء في العلو الذي كان النبي ﷺ تحته؛ إعظاما للرسول ﷺ، واحتراما عن أن يعلوه، ولإمكان أن يسقط من العلو شيء عند حركتهم في العلو، فيؤذي النبي ﷺ. ^(٣)

وقد ذكر ابن حجر ^(٤)، وابن كثير ^(٥)، أن النبي ﷺ مكث عند أبي أيوب شهراً، حتى بنى حجرته ومسجده.

وذكر ابن سعد: أن مقامه ﷺ، في دار أبي أيوب، سبعة أشهر. ^(٦)



(١) رواه مسلم (٢٠٥٣) قال القاضي عياض: وقوله: وكان النبي ﷺ يؤتى: كذا في روايتنا، وفي بعض الروايات: يؤتى بالوحى. وهو معناه. إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦ / ٥٤١)

(٢) شرح النووي (١٤ / ١٠)

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥ / ٣٢٨)

(٤) تهذيب التهذيب (٣ / ٩١)

(٥) البداية والنهاية (١١ / ٢٥١)

(٦) الطبقات الكبرى (١ / ١٨٣)

بناء المسجد ومآخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار

قال الناظم وفقه الله:

- ١١٦- وَابْتِغَاءَ أَرْضِ الْمَسْجِدِ بِالثَّمَنِ الْمُحَدَّدِ
١١٧- فَشَيَّ بِنَاءَ وَبَدَأَ الْإِخَاءَ
١١٨- بَيْنَ الَّذِينَ نَاصَرُوا وَمَنْ إِلَيْهِمْ هَاجَرُوا

الشرح

كان أول ما بدأ به النبي ﷺ كان بناء المسجد.

قال عروة بن الزبير: ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدا للتمر، لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل. ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول، وهو ينقل اللبن: هذا الحمال لا حمال خير، هذا أبر ربنا وأطهر. ويقول: اللهم إن الأجر أجر الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة. فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث: أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت. ^(١)

وفي حديث أنس بن مالك ؓ: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر بالمسجد وقال: يا بني التجار ثامنوني بحائطكم هذا. قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. ^(٢)

(١) رواه البخاري (٣٩٠٦)

(٢) أخرجه البخاري (٢١٠٦) ومسلم (٥٢٤)

ويذكر ابن عمر رضي الله عنهما: أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيًا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان، فزاد فيه زيادة كثيرة، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج. ^(١)

وذكر ابن سعد رحمته الله: أن طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، والجانبان مثل ذلك أو دونه. ^(٢)

وذكر ابن كثير، والبيهقي رحمهما الله: أنه استغرق بناء المسجد النبوي اثني عشر يوماً. ^(٣)

وبعد الفراغ من بناء المسجد، بنيت الحجرات لأزواج الرسول ﷺ حول مسجده الشريف، وسقفت بالجريد، وجذوع النخل؛ لتكون مساكن لرسول الله ﷺ وأهله، فكان لسودة بنت زمعة بيت ﷺ، وآخر لعائشة رضي الله عنها؛ لأنه ﷺ لم يكن تزوج في ذلك الوقت إلا سودة وعائشة رضي الله عنهما.

روى الإمام البخاري في الأدب المفرد عن داود بن قيس قال: رأيت الحجرات من جريد النخل، مغشياً من خارج بمسوح الشعر، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحو من ست أو سبع أذرع، وأحرز البيت الداخل عشر أذرع، وأظن سمكه بين الثمان والسبع نحو ذلك، ووقفت عند باب عائشة، فإذا هو مستقبل المغرب. ^(٤)

(١) رواه البخاري (٤٤٦)

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١١٥ / ١)

(٣) انظر البداية والنهاية (٤ / ٥٠٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ / ٥٠٩)

(٤) صحيح: قال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٥٢): صحيح الإسناد.

وبعد أن انتهى النبي ﷺ من بناء مسجده الشريف، آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة. (١)

وذلك أن المهاجرين لما قدموا المدينة لم يكن بأيديهم شيء، لأنهم تركوا أموالهم خلفهم، فأراد الرسول ﷺ حل هذه الأزمة المادية التي اجتاحت المهاجرين. **عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:** قد حالف النبي ﷺ بين قريش والأنصار في داري. (٢)

وجاء في مسلم بلفظ: قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار، في داره. (٣)
وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا﴾ [النساء: ٣٣]: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا﴾ نُسَخَتْ. (٤)

قال الإمام السهيلي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة؛ ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، أنزل الله سبحانه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] أعني في الميراث، ثم

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٧)

(٢) رواه البخاري (٢٢٩٤)

(٣) رواه مسلم (٢٥٢٩)

(٤) رواه البخاري (٢٢٩٢)

جعل المؤمنين كلهم إخوة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] يعني في التواد وشمول الدعوة. ^(١)

ولقد ضرب الأنصار رضي الله عنهم أروع الأمثلة في الإيثار لإخوانهم المهاجرين، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة -أي المهاجرون- آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبد الرحمن بن عوف: إني أكثر الأنصار مالا، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: بارك الله لك في أهلك ومالك. ^(٢)

فائدة:

قال ابن القيم رحمته الله: وقد قيل: إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها عليا أخا لنفسه والثبت الأول، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام، وأخوة الدار، وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار، ولو آخى بين المهاجرين كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه، ورفيقه في الهجرة، وأنيسه في الغار، وأفضل الصحابة وأكرمهم عليه أبو بكر الصديق، وقد قال: لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل ^(٣) وفي لفظ: ولكن أخي وصاحبي. ^(٤) وهذه الأخوة في الإسلام وإن كانت عامة كما قال: وددت أن قد رأينا إخواننا، قالوا: ألسنا إخوانك؟ قال: أنتم

(١) الروض الأنف (٤/ ٢٩٦)

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨١) ومسلم (١٤٢٧).

(٣) رواه البخاري (٣٦٥٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) في البخاري (٣٦٥٦)

أصحابي، وإخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني. ^(١) فللصديق من هذه الأخوة أعلى مراتبها، كما له من الصحبة أعلى مراتبها، فالصحابة لهم الأخوة ومزية الصحبة، ولأتباعه بعدهم الأخوة دون الصحبة. ^(٢)



(١) رواه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٥٨)

مشروعية الأذان

قال الناظم وفقه الله:

١١٩- وَشُرِعَ الْأَذَانُ جَاءَ بِهِ الْبَيِّنَانُ

١٢٠- رُؤْيَا رَأَوْهَا صَادِقَةٌ بِالْمُفْرَدَاتِ نَاطِقَةٌ

الشرح

الأذان: لغة الإعلام. ^(١) ومنه قوله: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣]. وشرعا: هو الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة. ^(٢)

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بدأ بالأكبرية وهي تتضمن وجود الله تعالى ووجوبه وكماله، ثم ثنى بالتوحيد، ثم ثلث برسالة رسوله، ثم ناداهم لما أراد من طاعته، ثم ضمن ذلك بالفلاح وهو البقاء الدائم، فأشعر بأن ثم جزاء، ثم أعاد ما أعاد توكيدا. ^(٣)

والأذان شعيرة من شعائر الإسلام، فلا يجوز تركه، ولو أن أهل بلد اجتمعوا على تركه كان للسلطان قتالهم عليه، وأقوى ما يستدل به على هذا ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما - واللفظ لمسلم - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك، وإلا أغار. ^(٤)

وشرع الأذان في السنة الأولى من الهجرة ^(٥)

(١) انظر لسان العرب (١/ ١٠٥)

(٢) انظر النهاية لابن الأثير (١/ ٣٧)

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ١٤)

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٤٣) ومسلم (٣٨٢)

(٥) انظر الفتح (٢/ ٢٧٨)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحننون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم، اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل بوق اليهود. ^(١)

وفي رواية أبي داود عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار، قال: اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها، فقليل له: انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القنع - يعني الشبور وقال زياد: شبور اليهود - فلم يعجبه ذلك، وقال: هو من أمر اليهود. قال: فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى. فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهتم لهم رسول الله ﷺ، فأري الأذان في منامه، قال: فغدا على رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال له: يا رسول الله إني لبين نائم ويقظان، إذ أتاني آت فأراني الأذان، قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوما، قال: ثم أخبر النبي ﷺ، فقال له: ما منعك أن تخبرني؟ فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال، قم فانظر ما يأمر بك به عبد الله بن زيد، فافعله. قال: فأذن بلال، قال أبو بشر: فأخبرني أبو عمير، أن الأنصار تزعم أن عبد الله بن زيد، لولا أنه كان يومئذ مريضا لجعله رسول الله ﷺ مؤذنا. ^(٢)

وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فإنه أندى صوتاً منك قال فقم مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجرّ رداءه يقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤) ومسلم (٣٧٧)

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٩٨) والبيهقي (١٩٠٨) باختلاف يسير وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٩٨) والوادعي في الصحيح المسند (١٥١٤)

الذي أُرِي. فقال رسول الله ﷺ فله الحمد. ^(١)

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: أما السبب في تخصيص بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالنداء والإعلام؛ لأنه أُنْدَى صوتاً، فيؤخذ منه استحباب كون المؤذن رفيع الصوت وحسنه، وهذا متفق عليه، قال أصحابنا: فلو وجدنا مؤذناً حسن الصوت يطلب على أذانه رزقاً، وآخر يتبرع بالأذان لكنه غير حسن الصوت، فأيهما يؤخذ؟ فيه وجهان: أحدهما يرزق حسن الصوت. ^(٢)

وكان لرسول الله ﷺ أربعة مؤذنين: بلال بن رباح، وعبد الله بن أم مكتوم، وأبو محذورة، وسعد القرظ رضي الله عنهم أجمعين.

قال الإمام الذهبي: أبو محذورة الجمحي، مؤذن المسجد الحرام، وصاحب النبي ﷺ... وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أُنْدَى الناس صوتاً وأطيبه. ^(٣)

وسعد القرظ هو: سعد بن عائد المؤذن، مولى عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المعروف بسعد القرظ، وإنما قيل له ذلك؛ لأنه كان يتجر فيه، والقرظ: هو ورق السلم - وهو نوع من الأشجار - ومسح رسول الله ﷺ رأسه، وبرك عليه، وجعله مؤذن مسجد قباء، وخليفة بلال إذا غاب، ثم استخلفه بلال على الأذان بمسجد رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لما سار إلى الشام، فلم يزل الأذان في عقبه. ^(٤)

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذنان: بلال وابن أم مكتوم الأعمى. ^(٥)

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: قوله: كان لرسول الله ﷺ مؤذنان، يعني بالمدينة،

(١) حسن: رواه أحمد (١٥٨٨١) والترمذي (١٧٤) وأبو داود (٤٢١) و (٤٣٠) وابن ماجه (٦٩٨)

وصححه البيهقي في السنن الكبرى (٣٩٠ / ١) والنووي في لمجموع (٧٦ / ٣) وحسنه الألباني، في هداية الرواة (٦٢٠) وإرواء الغليل (٢٤٦) وصحيح أبي داود (٤٩٩) والوادعي في الصحيح المسند (٥٧٥)

(٢) شرح مسلم (٦٧ / ٤)

(٣) سير أعلام النبلاء (١١٧ / ٣)

(٤) انظر أسد الغابة (٢٩٩ / ٢) والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٥٩٣ / ٢)

(٥) رواه مسلم (٣٨٠)

وفي وقت واحد، وقد كان أبو محذورة مؤذنا لرسول الله ﷺ بمكة، وسعد القرظ أذن لرسول الله ﷺ بقباء. ^(١)

عن أبي محذورة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خرجت في نفر، فكنا ببعض طريق حنين، فقفّل رسول الله ﷺ من حنين، فلقينا رسول الله ﷺ ببعض الطريق، فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله ﷺ، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متكبون، فصرخنا نحكيه، ونستهزئ به، فسمع رسول الله ﷺ الصوت، فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع؟ فأشار القوم كلهم إلي وصدقوا، فأرسل كلهم وحسني، فقال: قم فأذن بالصلاة. فقمّت ولا شيء أكره إلي من رسول الله ﷺ ولا مما يأمرني به، فقمّت بين فقال رسول الله ﷺ: قم فأذن بالصلاة. فقمّت بين يدي رسول الله ﷺ، فألقى إلي رسول الله ﷺ التّأذين هو بنفسه فقال: قل: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله. ثم قال لي: ارجع فامدّد من صوتك. ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. ثم دعاني حين قضيت التّأذين، فأعطاني صرة فيها شيء من فضة، ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة، ثم أمرها على وجهه مرتين، ثم مر بين يديه، ثم على كبده، ثم بلغت يد رسول الله ﷺ سرة أبي محذورة، ثم قال رسول الله ﷺ: بارك الله فيك. فقلت: يا رسول الله، مرني بالتّأذين بمكة، فقال: قد أمرتك به. وذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهية، وعاد ذلك محبة لرسول الله ﷺ، فقدمت على عتاب بن أسيد؛ عامل رسول الله ﷺ بمكة، فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ. ^(٢)

(١) شرح النووي على مسلم (٤ / ٧١)

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد (١٥٣٨٠) وابن حبان (١٦٨٠) وماجه (٧٠٨) والنسائي (٦٣٢) باختلاف يسير وصححها الألباني في صحيح النسائي (٦٣١) ومحققوا المسند. وأصل القصة في مسلم (٣٧٩)

موادعة النبي ﷺ لليهود

قال الناظم وفقه الله:

١٢١- وَوَادَعَ إِلَيْهِ وَوَادَعَ الْيَهُودَ وَأَكَّ دَ الْعُهُودَ

الشرح

قال ابن القيم رحمه الله: ووادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابا، وبادر خبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام فدخل في الإسلام، وأبى عامتهم إلا الكفر. وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة، فمن على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، وقتل بني قريظة، وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة. (١)

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: وإنما كان هذا الكتاب فيما نرى حدثان مقدم رسول الله ﷺ المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من المدينة قبل أن يظهر الإسلام ويقوى، وقبل أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب. (٢)

وقال البلاذري رحمه الله: قالوا وكان رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة وادع يهودها وكتب بينه وبينهم كتابا، واشترط عليهم أن لا يمالئوا عدوه وأن ينصروه على من دهمه، وألا يقاتل أهل الذمة، فلم يحارب أحدا ولم يهجه، ولم يبعث سرية حتى أنزل الله عز وجل عليه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] فكان أول لواء عقده لواء حمزة بن عبد المطلب. (٣)

وكانت هذه القبائل اليهودية هي التي كانت تثير الحروب بين الأوس والخزرج، وقد كان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ﷺ كما

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٩)

(٢) الأموال (ص ٢٦٦)

(٣) انظر أنساب الأشراف (١/ ٢٦٨)

ذكرنا ذلك في بدء إسلام الأنصار - فلما بعثه الله تعالى من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه.

عن سلمة بن سلامة بن وقش - وكان، من أصحاب بدر - قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس بني عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا، علي بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال: ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائنا إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يجزون فيها بأعمالهم؟! قال: نعم والذي يحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه، ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه، وأن ينجو من تلك النار غدا. قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فأما به، وكفر به بغيا وحسدا، فقلنا: ويلك يا فلان! ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى وليس به. ^(١)



(١) حسن: أخرجه أحمد (١٥٨٤١) والحاكم (٥٨٨٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. وحسنه لواء في الصحيح المسند (٤٤٣)

إسلام عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني به جبريل آنفا. قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم. قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبي ﷺ: أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام. قالوا: أعاده الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله. ^(١)

وعن سعد ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] الآية. ^(٢)

قال ابن هبيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في هذا الحديث من الفقه ما يدل على فضل عبد الله بن سلام، وما يحض على قبول أخباره؛ لأن رسول الله ﷺ قال: إنه من أهل الجنة. وإنما نال

(١) رواه البخاري (٣٧٢٣)

(٢) رواه البخاري (٣٦٠١) ومسلم (٢٤٨٣) واللفظ للبخاري

الجنة لأنه أقبل على الحق حين أرتد عنه أهل الكتاب، فكان في معنى شخص يكون في صف المسلمين فينكسرون فيثبت وحده، أو في صف المشركين فيصرون على كفرهم، ويثبت بمفرده. ^(١)

وعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، انجفل الناس عليه، وكنت فيمن انجفل، فلما رأيته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته يقول: يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. ^(٢)

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: توفي عبد الله بن سلام في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين، وجملة ما روى من الحديث عن النبي ﷺ خمسة وعشرون حديثاً، أخرج له في الصحيحين حديثين. ^(٣)



(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٣٢٨)

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٢٣٧٨٤) واللفظ له وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٤٨) ومحققوا المسند.

(٣) المفهم لم أشكل من صحيح مسلم (٦/ ٤١٣) وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٠٢)

زواج النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها

قال الناظم وفقه الله:

١٢٢- ثُمَّ زَوَّجَهُ عَلَى عَائِشَةَ الْبَكْرَةَ نَـ

الشرح

كان زواج النبي ﷺ من عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها في شوال من السنة الأولى للهجرة. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبني بي في شوال فأني نساء رسول الله ﷺ كانت أحظى عنده مني؟^(١)

وكان زواج رسول الله ﷺ من عائشة بوحي من الله تعالى، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: أريتك في المنام ثلاث ليال يجيء بك - أي بصورتك - الملك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب؛ فإذا أنت هي، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضي.^(٢)

وتزوجها النبي ﷺ وكانت بكراً؛ وهي البكر الوحيدة من بين نساء الطاهرات؛ فلم يتزوج بكراً غيرها، وكانت عائشة أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن، بل كانت أعلم من أكثر الرجال، فقد كان كثير من علماء الصحابة رضي الله عنهم يسألونها عن بعض الأحكام التي تشكل عليهم فتحلها لهم.

فعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً.^(٣)

(١) رواه مسلم (١٤٢٣)

(٢) رواه البخاري (٣٨٩٥) ومسلم (٢٤٣٨)

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٨٨٣) وحسنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٩) وصححه الألباني في هداية الرواة (٦١٤٥) وصحيح الترمذي (٣٨٨٣)

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: تكنى: بأم عبد الله - ابن الزبير، وهو ابن أختها: أسماء - أباح لها النبي ﷺ أن تكنى به. تزوجها النبي ﷺ بمكة بعد موت خديجة، وقبل الهجرة بثلاث سنين، وهو أولى ما قيل في ذلك، وهي بنت ست سنين. وابتنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين. وقال ابن شهاب: إن رسول الله ﷺ تزوج بها في شوال قبل الهجرة بثلاث سنين، وأعرس بها في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره إلى المدينة، وقد روي عنها أنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست، وبنى بي وأنا بنت تسع، وقبض عني، وأنا بنت ثمان عشرة. ^(١) وتوفيت سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن ليلا، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم ومحمد ابنا محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وكانت فاضلة، عالمة، كاملة. ^(٢)

وكانت أحب نسائه إليه، واثرن عنده، ولما مرض النبي استأذن نساءه كي يمرض في بيتها، فقامت عليه حتى توفي ﷺ بين سحرها ونحرها، وقد ألقى برأسه على صدرها، فرضي الله عنها وأرضاها.

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. ^(٣)

وهنا ننبه على مسألة المُفاضلة بين خديجة وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لَبهره وحيَّره. والأحسن التوقف في ذلك، ورد علم ذلك إلى الله عز وجل. ومن ظهر له

(١) رواه مسلم (١٤٢٢)

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦ / ٣٢٠)

(٣) رواه البخاري (٣٦٦٢)

دليل يقطع به، أو يغلب على ظنه في هذا الباب، فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم. ومن حصل له توقف في هذه المسألة، أو في غيرها، فالطريق الأقوم والمسلوك الأسلم أن يقول: الله أعلم. ^(١)

ويقول ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وقال بعض من أدركناه: الذي يظهر أن الجمع بين الحديثين أولى، وألا نفضل إحداهما على الأخرى. ^(٢)



(١) البداية والنهاية (٤/ ٣٢٢)

(٢) فتح الباري (٧/ ١٣٩)

الإذن بالجهاد وأول غزوة غزاها النبي ﷺ الأبواء

قال الناظم وفقه الله:

١٢٣- وَعَـزَّزُوهُ الْأَبْـوَاءَ بِـذُلِّ لِقَا الْأَعْدَاءِ

الشرح

لما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة بين أظهر الأنصار، وتكفلوا بنصره، ومنعوه من الأسود والأحمر، رمّتهم العرب عن قوس واحدة، وتعرّضوا لهم من كل جانب.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبينهم، إنا لله وإنا إليه راجعون كيَهْلِكُنَّ، فأنزل الله عز وجل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَتْهَمُ ظُلُمًا﴾ [الحج: ٣٩] وهي أول آية نزلت في القتال.^(١)

قال ابن كثير رحمه الله: وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا، فلو أمر المسلمين، وهم أقل من العشر، بقتال الباقين لشق عليهم؛ ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ، وكانوا نيفا وثمانين، قالوا: يا رسول الله، ألا نميل على أهل الوادي -يعنون أهل منى- ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ "إني لم أؤمر بهذا". فلما بغى المشركون، وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم، وهموا بقتله، وشردوا أصحابه شذر مذر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة، وآخرون إلى المدينة. فلما استقروا بالمدينة، ووافاهم رسول الله

(١) صحيح: رواه أحمد (١٨٦٥) والحاكم (٢٣٧٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وأخرجه النسائي في الكبرى (١٧٧٤٠) والترمذي (٣١٧٠) وغيرهم. وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند (٢٦٢/٣) والألباني في صحيح الموارد (١٤٠٦) وصحيح النسائي (٣٠٨٥) ومحققوا المسند. وقال الوادعي في أحاديث معلقة (١٩٤): سنده رجال الصحيح، ولكن الترمذي ذكره من طرق مرسلًا.

ﷺ، واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره وصارت لهم دار إسلام ومعقلا يلجئون إليه - شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك، فقال تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿[الحج: ٣٩-٤٠]. (١)

وكانت أول غزوة غزاها النبي ﷺ هي غزوة الأبواء.

قال البخاري رحمه الله: قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء. (٢)

والأبواء بوزن أفعال مفتوح الهمزة: منزل بين مكة والمدينة قريب من الجحفة من جهة الشمال دون مرحلة. (٣)

وهي قرية أثرية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وذلك على مسافة ١٧٠ كلم جنوب غرب المدينة المنورة، و٢٠٠ كلم عن مكة المكرمة.

قال ابن القيم رحمه الله: ثم غزا بنفسه غزوة الأبواء، ويقال لها: وُدَّان، وهي أول غزوة غزاها بنفسه، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مهاجره، وحمل لواء حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عباد، وخرج في المهاجرين خاصة يعترض عيرا لقريش، فلم يلق كيذا، وفي هذه الغزوة وادع مخشي بن عمرو الضمري وكان سيد بني ضمرة في زمانه على ألا يغزو بني ضمرة، ولا يغزوه، ولا أن يكثروا عليه جمعا، ولا يعينوا عليه عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابا، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة. (٤)

(١) تفسير ابن كثير (٥ / ٤٣٤)

(٢) صحيح البخاري (٥ / ٧١)

(٣) انظر مسند الشافعي - ترتيب السندي (١ / ٣٠٨)

(٤) زاد المعاد (٣ / ١٤٨) وانظر تاريخ الطبري (٢ / ٤٠٧) وسيرة ابن هشام (٢ / ٢٠٣) والطبقات

الكبرى لابن سعد (٢ / ٥)

سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال الناظم وفقه الله:

١٢٤- ثُمَّ لِسَيْفِ الْبَحْرِ لِسَلْبِ مَالِ الْكُفْرِ

الشرح

قال ابن سعد رحمته الله: وخرج حمزة يعترض لغير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل بن هشام، في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر، يعنى ساحله، من ناحية العيص، فالتقوا حتى اصطفوا للقتال فمشى مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفاً للفريقين جميعاً، إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء مرة حتى حَجَزَ بينهم ولم يقتلوا، فتوجه أبو جهل في أصحابه وغيره إلى مكة وانصرف حمزة بن عبد المطلب في أصحابه إلى المدينة. ^(١)

وسيف بكسر السين أي الساحل والمراد ساحل البحر الأحمر قريب من العيص والعيص مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر الأحمر شمال غرب المدينة المنورة.

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٦) وانظر سيرة ابن هشام (١/ ٥٩٥) وتاريخ الطبري (٢/ ٤٠٤)

سرية عبيدة بن الحارث رضي الله عنه إلى رابغ

قال الناظم وفقه الله:

- ١٢٥- وَخَصَّ خَيْرُ بَاعِثٍ عُبَيْدَةَ ابْنَ الْحَارِثِ
١٢٦- بِأَوَّلِ الرَّايَاتِ فِي أَوَّلِ الصَّوَلَاتِ
١٢٧- فَكَانَ سَاهِمٌ سَعْدٍ أَوَّلَ رَمَى الْجُنُودِ

الشرح

قال ابن إسحاق رحمته الله: وبعث رسول الله ﷺ، في مقامه ذاك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز، بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام. وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد ابن عمرو رضي الله عنه حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان المازني رضي الله عنه، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار. ^(١)

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله. ^(٢)

قال ابن حجر رحمته الله: قوله: إني لأول العرب رمى. كان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب وكان القتال فيها أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٧١) وانظر تفاصيل هذه السرية في الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٥٢)

والبداية والنهاية (٣/ ٢٥٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٩)

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٦) ومسلم (٢٩٦٦)

الهجرة بعث ناسا من المسلمين إلى رابغ ليلقوا عيرا لقريش فتراموا بالسهام ولم يكن بينهم مسايقة فكان سعد أول من رمى. ^(١)

وقد حدد ابن سعد موضع اللقاء فقال: وهو على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة، وأنت تريد قديداً عن يسار الطريق. ^(٢)

تبيه:

ذكر الناظم وفقه الله أن أول راية بعث بها النبي ﷺ كانت مع عبيدة بن الحارث رضي الله عنه.

وقد اختلف أهل السير: أي البعثين كان أول: بعث حمزة، أو بعث عبيدة.

قال ابن هشام: وبعض الناس يقول: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا، فشبّه ذلك على الناس. وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شعرا يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله ﷺ، فإن كان حمزة قد قال ذلك، فقد صدق إن شاء الله، لم يكن يقول إلا حقا، فالله أعلم أي ذلك كان. فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا. فعبيدة بن الحارث أول من عقد له. ^(٣)

ورابغ: هي ميقات أهل الشام ومصر وتركيا ومن سلك طريقهم، وتبعد عن مكة اليوم (١٨٣) كم، وكانت الجحفة هي الميقات فاندثرت وأصبح يُحرم اليوم من رابغ.



(١) فتح الباري (٧/ ٨٤)

(٢) انظر الطبقات الكبرى (٢/ ٦)

(٣) السيرة لابن هشام (٢/ ١٧٤)

غزوة بواط

قال النازم وفقه الله:

١٢٨- وَقَدْ أَتَى بُوَاطَ وَأَهْلَهُ أَحَاطَ

الشرح

قال ابن سعد رحمته الله: ثم غزوة رسول الله ﷺ، بواط في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره، وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص. وكان لواء أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ، وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لغير قريش فيها أمية بن خلف الجُمحى ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بغير، فبلغ بواط، وهى جبال من جبال جهينة من ناحية رضى ^(١)، وهى قريب من ذي حُشب ممّا إلى طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو من أربعة بُرد، فلم يلقَ رسول الله ﷺ، كيذاً فرجع إلى المدينة. ^(٢)

وبواط، قرية في ضواحي المدينة المنورة، تقع شمال غرب المدينة المنورة على بعد ٤٠ كم على طريق تبوك، وتبعد حوالي ١٣٠ كم شمال شرق ينبع.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط. وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني. وكان الناضح يعقبه منا الخمسة والستة والسبعة. فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له. فأناخه فركبه. ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن. فقال له: شأ. لعنك الله. فقال رسول الله ﷺ من هذا اللاعن بغيره؟ قال: أنا. يا رسول الله! قال: انزل عنه. فلا تصحبنا بملعون. لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم. ^(٣)

(١) رضى: بفتح الراء وسكون الصاد: جبل مشهور عظيم ينبع. انظر معجم البلدان (٤ / ٤٠٩)

(٢) الطبقات الكبرى (٢ / ٨) وانظر سيرة ابن هشام (١ / ٥٩٨) وتاريخ الطبري (٢ / ٤٠٧)

(٣) رواه مسلم (٣٠٠٩)

غزوة العشيرة

قال الناظم وفقه الله:

١٢٩- ثُمَّ إِلَى الْعَشِيرَةِ جَدَّ إِلَيْهَا سَاسِرُهُ

الشرح

خرج رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وخرج في خمسين ومائة، ويقال: في مائتين من المهاجرين، ولم يكره أحدا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيرا يتعقبونها يعترضون عيرا لقريش ذاهبة إلى الشام، وقد كان جاء الخبر بفصولها من مكة فيها أموال لقريش، فبلغ ذا العشيرة، وقيل: العشيرة بالمد. وقيل: العسيرة بالمهملة، وهي بناحية ينبع، وبين ينبع والمدينة تسعة برد، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، وهي التي وعده الله إياها، أو المقاتلة، وذات الشوكة، ووفى له بوعده. وفي هذه الغزوة، وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة. ^(١)

وهي الغزوة الثالثة. قال البخاري في صحيحه: باب غزوة العشيرة أو العسيرة. وقال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ الأبناء ثم بواط ثم العشيرة. ^(٢)

لكن روى الإمام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه سئل: ما أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ؟ قال: ذات العسير أو العشير. ^(٣)

قال ابن كثير رحمته الله: وهذا الحديث ظاهر في أن أول الغزوات العشيرة، اللهم إلا أن

(١) زاد المعاد (٣/ ١٤٩) وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٢) وتاريخ الطبري (٢/ ٤٠٧).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٧١)

(٣) رواه مسلم (١٢٥٤)

يكون المراد غزوة شهداها مع النبي ﷺ زيد بن أرقم العشيرة، وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهد زيد بن أرقم ﷺ، وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث، والله أعلم. ^(١)

ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي إسحاق قال: سألت زيد بن أرقم: كم غزا النبي ﷺ؟ قال: تسع عشرة، وغزوت معه سبع عشرة، وسبقني بغزاتين. ^(٢)

قال ابن حجر رحمه الله: كذا قال ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل لكن روى أبو يعلى من طريق أبي الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون وإسناده صحيح وأصله في مسلم فعلى هذا فقات زيد بن أرقم ذكر اثنين منها ولعلهما الأبواء وبواط وكان ذلك خفي عليه لصغره ويؤيد ما قلته ما وقع عند مسلم بلفظ قلت ما أول غزوة غزاها قال ذات العشير أو العشيرة والعشيرة كما تقدم هي الثالثة وأما قول بن التين يحمل قول زيد بن أرقم على أن العشيرة أول ما غزا هو أي زيد بن أرقم والتقدير فقلت ما أول غزوة غزاها أي وأنت معه قال العشير فهو محتمل أيضا ويكون قد خفي عليه اثنتان مما بعد ذلك أو عد الغزوتين واحدة فقد قال موسى بن عقبة قاتل رسول الله ﷺ بنفسه في ثمان بدر ثم أحد ثم الأحزاب ثم المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف وأهمل غزوة قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في إثرها وأفرداها غيره لوقوعها منفردة بعد هزيمة الأحزاب وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين واحدة لتقاربهما فيجتمع على هذا قول زيد بن أرقم وقول جابر. ^(٣)

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٦١)

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٩٢٨٢) وقال محققوا المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٨٠ - ٢٨١)

غزوة بدر الصغرى ويقال لها سفوان

قال الناظم وفقه الله:

١٣٠- وَبَعْدَهَا لِبَدْرٍ يَطْلُبُ كُرْزَ الْفَهْرِ
١٣١- فَفَاتَهُمْ وَفَرَّ وَتَلَّكَ بِدْرُ الصُّغْرَى

الشرح

لم يقيم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فاستاقه، فخرج رسول الله ﷺ في سبعين رجلا من أصحابه، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وكان لواء أبيض، واستخلف رضى الله عنه على المدينة زيد بن حارثة رضى الله عنه، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ واديا يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر فلم يلحقه، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة (١)

وكرز بن جابر الفهري كان من رؤساء المشركين، ثم أسلم وصحب، وبعثه رسول الله ﷺ في آثار العرنيين في عشرين فارسا، واستعمله عليهم، واستشهد رضى الله عنه في فتح مكة. (٢)

وسفوان: بفتح السين والفاء واد من ناحية بدر، بلغ إليه رسول الله ﷺ في طلب كرز بن جابر الفهري لما أغار على سرح المدينة. (٣)

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٣) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٦) وتاريخ الطبري (٢/ ٤٠٧)

(٢) انظر الإصابة (٥/ ٤٣٤)

(٣) انظر النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٣٨)

سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة

قال الناظم وفقه الله:

١٣٢- وَبَعْدَ غَزْوِ نَخْلَةٍ تَحْوِيلُ أَمْرِ الْقِبْلَةِ

١٣٣- وَذَا بَعْدَ بَعْدِ أُنْتَيْنِ فِي أَضْرَحِ الْقَوْلَيْنِ

الشرح

في رجب من السنة الثانية من الهجرة بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة ومعه اثنا عشر رجلاً، وقيل في ثمانية من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكانوا كل اثنين يعتقبان بغيراً.. وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ولا يكره أحداً من أصحابه؛ ففعل، ولما فتح الكتاب وجد فيه: إذا نظرت في كتابي هذا؛ فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم، فقال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك، وبأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة؛ فلينهض، ومن كره الموت؛ فليرجع، وأما أنا؛ فناهض، فمضوا كلهم. فلما كان في أثناء الطريق؛ أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيراً لهما كانا يتعاقبان، فتخلفا في طلبه، ونفذ عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وأدماً وتجارة، فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة. فتشاور المسلمون، وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب: الشهر الحرام؛ فإن قاتلناهم؛ انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة؛ دخلوا الحرم. ثم اتفقوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي؛ فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل ثم قدموا بالغير والأسيرين قد عزلوا من ذلك الخمس، فكانت أول غنيمة في الإسلام، وأول

خمس في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسير في الإسلام. إلا أن رسول الله ﷺ أنكر عليهم ما فعلوه وقد كانوا والله مجتهدين بما صنعوا. واشتد تعنت قريش، وإنكارهم ذلك، وقالوا: محمد قد أحل الشهر الحرام؛ فأنزل الله - عز وجل - في ذلك: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] يقول سبحانه: هذا الذي وقع وإن كان خطأ؛ لأن القتال في الشهر الحرام كبير عند الله؛ إلا أن ما أنتم عليه أيها المشركون من الصد عن سبيل الله، والكفر به وبالمسجد الحرام، وإخراج محمد وأصحابه - الذين هم أهل المسجد الحرام في الحقيقة - أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام.^(١)

ووادي نخلة هو أحد أودية مكة المكرمة ويفصل بين مكة والطائف من جهة السيل الكبير.



(١) انظر الطبقات الكبرى (٢/ ٧) وتاريخ الطبري (٢/ ٤١٠) والسيرة لابن هشام (٤/ ٣٠٢ - ٣٠٥) وزاد المعاد (٣/ ١٥٠) والقصة أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٧) والنسائي في السنن الكبرى (٨٧٥٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٨٨٠) والخطيب في ((الكفاية)) (ص ٣١٢) باختلاف يسير. والطبراني بإسناد حسن كما قال الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٩)، ثم قال الحافظ: ثم وجدت له شاهدا من حديث ابن عباس عند الطبري في التفسير، فبمجموع هذه الطرق يكون صحيحا. وأخرجها البخاري معلقة قبل حديث (٦٤) بنحوه مختصراً وقال الألباني في تعليقه على فقه السيرة (٢١٥): بعض سنده صحيح مرسل. وذكر القصة شيخنا سليم الهلالي في كتابه: الصحيح المصنف (ص ١٥٩-١٦٠)

تحويل القبلة

لما كان النصف من رجب من السنة الثانية للهجرة أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: كان تحويل القبلة في نصف شهر رجب من السنة الثانية علي الصحيح، وبه جزم الجمهور. ^(١)

وعن البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا. وَكَانَ يَعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قَبْلَ الْبَيْتِ وَأَنَّهُ صَلَّى أَوْ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قَتَلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ^(٢)

وقوله: صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لَفَقَّ من شهر القُدوم وشهر التحويل شهرا وألغى الزائد ومن جزم بسبعة عشر عدتهما معا ومن شك تردد في ذلك وذلك أن القُدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف. ^(٣)

وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة قبله أبيه إبراهيم عليه السلام، ولذلك كان ﷺ حين يصلي بمكة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فيصيب القبليتين معا.

(١) الفتح (١ / ٩٧)

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٦)

(٣) فتح الباري (١ / ٩٦)

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرا، ثم صرف إلى الكعبة. ^(١)

وكانت أول صلاة صلاها النبي ﷺ إلى مكة هي صلاة العصر كما تقدم في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

قال ابن كثير رحمته الله تعالى: المشهور أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ إلى الكعبة صلاة العصر، ولهذا تأخر الخبر عن أهل قباء إلى صلاة الفجر. ^(٢)
ووصل خبر تحويل القبلة لأهل قباء، وهم خارج المدينة في صلاة الفجر من اليوم الثاني فاستداروا إلى الكعبة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة. ^(٣)

قال ابن كثير رحمته الله: وفي هذا الحديث ما يدل على كمال طاعتهم -أي الصحابة- لله ورسوله ﷺ، وانقيادهم لأوامر الله عز وجل، رضي الله عنهم أجمعين. ^(٤)

تنبيه:

سبق معنا في حديث البراء أن الخبر وصل إلى أهل قباء في صلاة العصر وفي

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٩٩١) واللفظ له، والبخاري (٤٨٢٥) والطبراني (٦٧/١١) (١١٠٦٦) وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٥٥/١): أصح ما في الباب. وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والبخاري، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٢/٢). وصححه العلامة أحمد شاكر في تخريج المسند. وقال محققوا المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٠)

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٣) ومسلم (٥٢٦)

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٧)

حديث ابن عمر أن ذلك كان في الفجر.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: والجواب أن لا منافاة بين الخبرين، لأن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة، وهم بنو حارثة وذلك في حديث البراء الآتي، ووصل الخبر وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة، وهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء وذلك في حديث ابن عمر هذا. ^(١)

ولما حولت القبلة إلى الكعبة المشرفة حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب، من الكفرة ومن اليهود ارتياب وزيف عن الهدى وتخبيط وشك، وقالوا: ﴿مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] أي: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] ^(٢)

أما المسلمون فقال بعضهم: كيف حالنا بصلاتنا إلى بيت المقدس؟ وكيف بمن مات من إخواننا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] كما تقدم في حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) الفتح (٢/ ٦٥)

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٤)

فرض صيام رمضان

قال الناظم وفقه الله:

١٣٤- وَفِي ثَنَائِنا الْعَامِ الْأَمْرُ بِالصَّيَامِ

الشرح

كان أول صيام أمر به النبي ﷺ في المدينة هو صوم يوم عاشوراء.

ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه. ^(١)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: "ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، فقال ﷺ: فأنا أحق بموسى منكم. فصامه، وأمر بصيامه. ^(٢)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد استشكل ظاهر الخبر لاقتضائه أنه ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود صياما يوم عاشوراء، وإنما قدم المدينة في ربيع الأول، والجواب عن ذلك أن المراد أن أول علمه بذلك وسؤاله عنه كان بعد أن قدم المدينة لا أنه قبل أن يقدمها علم ذلك، وغايته أن في الكلام حذف تقديره: قدم النبي ﷺ المدينة فأقام عاشوراء، فوجد اليهود فيه صياما. ^(٣)

وفرض صيام شهر رمضان في شعبان من السنة الثانية للهجرة بعد تحويل القبلة إلى الكعبة بشهر، فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات. ^(٤)

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٢) ومسلم (١١٢٥)

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠)

(٣) فتح الباري (٤/ ٧٧٤)

(٤) انظر الطبقات لابن سعد (١/ ١٢١) وزاد المعاد (٢/ ٢٩)

مراتب فرض الصيام

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضان... وكان للصوم مراتب ثلاث، إحداها: إيجابه بوصف التخير. والثانية: تحتمه، لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة، فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة، وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة. ^(١)

ودليل المرتبة الأولى: حديث عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما نزلت: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: كان من أراد منا أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها. ^(٢)

ودليل المرتبة الثانية: حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن أبا قيس صرمة بن أبي أنس الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رآته قالت: خيبة لك، فأصبح صائماً، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ^(٣)

ودليل المرتبة الثالثة: النصوص المتواترة في صيام رمضان ووجوب إتمامه.

قال الله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٩)

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٠٧) ومسلم (١١٤٥)

(٣) أخرجه البخاري (١٩١٥)

وفي شعبان من هذه السنة الثانية للهجرة فرضت زكاة الفطر قبل أن تفرض زكاة الأموال. ^(١)

جاء عند الإمام أحمد والطحاوي عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: كنا نعطي صدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة. ^(٢)

وأخرج الشيخان في صحيحهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة. ^(٣)

وفي هذه السنة صلى فيها رسول الله عليه وسلم صلاة عيد الفطر وهي أول صلاة عيد صلاحها وفرضت أيضاً فيها زكاة المال. ^(٤)



(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٢٠)

(٢) صحيح: أخرجه الإمام أحمد (٢٣٨٤٣) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٢٥٨) وقال شعيب الأرناؤوط، في تخريج مشكل الآثار (٢٢٥٨): إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٠٣) ومسلم (٩٨٤)

(٤) انظر البداية والنهاية (٣/ ٣١٢)

غزوة بدر الكبرى

قال الناظم وفقه الله:

- ١٣٥- وَكَانَ خَيْرُ شَهْرٍ مَوْعِدَ يَوْمِ النَّصْرِ
 ١٣٦- فَقَدْ أَذَلَّ الْكُفْرَا رَبِّي بِبَذْرِ الْكُبْرَى
 ١٣٧- وَضَمَّنَ أَشْرَى الْكُفْرِ عَمُّ الرُّسُولِ الْبُرَى
 ١٣٨- وَالْقَتْلُ بَعْدَ الْأَسْرِ لِعُقْبَةٍ وَالنَّضْرُ

الشرح

ويقال لها بدر العظمى، وبدر القتال، ويوم الفرقان؛ لأن الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل، وبدر هي قرية مشهورة، ويقال بدر: اسم البئر التي بها، سميت بذلك لاستدارتها، أو لصفاء مائها، فكان البدر يرى فيها، وقيل: نسبة إلى رجل حفرها يقال له: بدر بن النازين. (١)

وتبعد بدر عن المسجد النبوي اليوم (١٥٠ كم).
 وكانت غزوة بدر في نهار يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة. (٢)

قال ابن حجر رحمته الله: أما غزوة بدر في الثانية؛ فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم. واتفقوا على أنها كانت في رمضان. قال ابن عساكر: والمحمفوظ أنها كانت يوم الجمعة، وروي: أنها كانت يوم الإثنين

(١) انظر فتح الباري (٨ / ١١) وتفسير ابن كثير (٢ / ١١٢)

(٢) انظر طبقات ابن سعد (١ / ٢٥٨) والبداية والنهاية (٣ / ٢٨٣) وسيرة ابن هشام (٢ / ٢٣٨) وزاد المعاد (٣ / ١٥٣)

وهو شاذ. ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشرة وقيل: ثاني عشرة، وجمع بينهما: بأن الثاني ابتداء الخروج، والسابع عشر يوم الواقعة. ^(١)

وكان سبب هذه الغزوة العظيمة هو: إقبال أبي سفيان بن حرب من الشام في غير لقريش عظيمة، فيها أموال لهم، وتجارة وهي نفس العير التي أفلتت من الرسول ﷺ في غزوة العشيرة حين ذهابها من مكة إلى الشام وكانت عيرهم ألف بعير، وكان المال خمسين ألف دينار، ولم يكن لأحد من قريش أوقية فما فوقها إلا بعث بها مع أبي سفيان، إلا حويطب بن عبد العزى، فلذلك كان تخلف عن بدر، وكان فيها ثلاثون رجلاً أو أربعون، منهم: مخزومة بن نوفل، وعمر بن العاص. ^(٢)

وقد أرسل النبي ﷺ بسبس لاستطلاع أخبار القافلة، فلما رجع إليه بخبرها ندب أصحابه للخروج، وتعجل بمن كان مستعداً دون أن ينتظر من رغب في الخروج من سكان العوالي لثلاث فتوتهم القافلة. ^(٣)

ولم يستنفر الرسول ﷺ كل الناس، بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره حاضراً، فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم، فتخلف كثير من الصحابة؛ لأنهم ظنوا أن رسول الله ﷺ لا يلقي حرباً، إنما خرج للعير. ^(٤)

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: إن لنا طلبة، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا فجعل رجال يستأذنون في ظهرانهم في علو المدينة، فقال: لا، إلا من كان ظهره حاضراً. ^(٥)

(١) التلخيص الحبير (٦/ ٢٨٦٣) وانظر تاريخ دمشق (٣/ ٦٨ - ٦٩)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٨) - البداية والنهاية (٣/ ٢٧١) - زاد المعاد (٣/ ١٥٣)

(٣) جاء ذلك في صحيح مسلم (١١٥٧) ووقع فيه بسيسة بدل بسبس قال ابن حجر: الصواب بسبس (الإصابة ١/ ١٥١)

(٤) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٢) والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٥٤)

والبداية والنهاية (٣/ ٢٧٢)

(٥) رواه مسلم (١٩٠١)

ولذلك لم يعاتب رسول الله ﷺ أحدا تخلف عن هذه الغزوة العظيمة.

أخرج الشيخان في صحيحهما عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش. ^(١)

فخرج رسول الله ﷺ بمن معه من الصحابة وكانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فقط.

أخرج الإمام البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه إلا مؤمن. ^(٢)

وعن البراء رضي الله عنه قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين، والأنصار نيفا وأربعين ومائتين. ^(٣)

وأخرج الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا. ^(٤)

فرواية مسلم هذه تفسر معنى البضع الذي في حديث البراء عند البخاري بأن عدد المسلمين في بدر كان ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا.

ولم يكن مع رسول الله ﷺ خيل سوى فرس الزبير، وفرس المقداد بن الأسود الكندي، ومن الإبل سبعون بعيراً يتعقب الرجلان والثلاثة على بعير.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة، وعلي بن

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩)

(٢) رواه البخاري (٣٩٥٩)

(٣) رواه البخاري (٣٩٥٦)

(٤) رواه مسلم (١٧٦٣)

أبي طالب، زميلي رسول الله ﷺ، قال: وكانت عقبة رسول الله ﷺ، قال: فقلا نحن نمشي عنك، فقال: ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما. ^(١)

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، واستعمل ابن أم مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بالناس، ثم رد أبا لبابة رضي الله عنه من الروحاء، واستعمله على المدينة. ^(٢)

ولما بلغ أبا سفيان خروج المسلمين لأخذ القافلة، سلك بها في طريق الساحل وأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري لاستنفار أهل مكة، فلما علمت قريش الخبر استعدت للخروج دفاعاً عن قافلته، وقد ذكر ابن عباس وعروة بن الزبير أن عاتكة بنت عبد المطلب رأت في المنام أن رجلاً استنفر قريشاً وألقى بصخرة من رأس جبل أبي قبيس بمكة فتفتت ودخلت سائر دور قريش، وقد أثارت الرؤيا خصومة بين العباس وأبي جهل حتى قدم ضمضم وأعلمهم بخبر القافلة. ^(٣)

وعن عبد الله بن عباس وعروة بن الزبير -من طريق الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان- قال: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم، وقال: هذه غير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها. فانتدب الناس، فخف بعضهم، وثقل

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣٩٠١) والنسائي في السنن الكبرى (٨٨٠٧) وابن حبان (٤٧٣٣) باختلاف يسير وحسنه الألباني في تحقيق فقه السيرة (٢١٩) والصحيحة (٢٢٥٧) والوادعي في الصحيح المسند (٨١٣)

(٢) انظر البداية والنهاية (٣/ ٢٧٥) وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤) والطبقات لابن سعد (١/ ٢٥٤)
(٣) روى رؤيا عاتكة الحاكم في المستدرك (٤٢٩٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٩) وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٥٧) من طريق ابن اسحاق بإسناد حسن إلى عروة ولكنه مرسل، ولكن الروايات تعضد صحة الواقعة. انظر الاصابة (٤/ ٣٤٧) ومجمع الزوائد (٦/ ٧٢) والسيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٣٥٦) لأكرم العمري.

بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان؛ تخوفاً عن أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر لك أصحابه. فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً، فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً ﷺ قد عرض لها في أصحابه، فخرج سريعاً إلى مكة، وخرج رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له: ذفران. فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن غيرهم، فاستشار النبي ﷺ الناس، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لئن سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعأ له، وقال له سعد بن معاذ: لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا، وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم.^(١)

فلما رأى النبي ﷺ طاعة الصحابة وشجاعتهم واجتماعهم على القتال، وحبهم

(١) حسن: أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٦١٤-٦١٥)، ومن طريقه ابن جرير (١١/ ٣٦) وأخرجه الطبري في التفسير (١٥٧٢٠) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٢) باختلاف يسير وحسن الهيثمي إسناده في مجمع الزوائد (٦/ ٧٣) وصححها شيخنا سليم الهلالي في الصحيح المصنف (١٦٥-١٧٨) وانظر موسوعة التفسير المأثور (٩/ ٦٣٤)

للتضحية من أجل الإسلام بدأ بتنظيم جنده، فأعطى اللواء - وكان أبيض - إلى مصعب بن عمير، وأعطى رايتين سوداوين لعلي بن أبي طالب وسعد بن معاذ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة^(١)

ثم ارتحل الرسول ﷺ من وادي ذفران، حتى نزل بالعدوة الدنيا، قريبا من بدر، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَقَضَىٰ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى: إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير ميعاد، لينصركم عليهم، ويرفع كلمة الحق على الباطل؛ ليصير الأمر ظاهرا، والحجة قاطعة، والبراهين ساطعة، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة، فحينئذ: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتَةٍ﴾ أي: يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره أنه مبطل، لقيام الحجة عليه، ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ﴾ أي: يؤمن من آمن. ﴿عَن بَيْتَةٍ﴾: حجة وبصيرة، والإيمان هو حياة القلوب.^(٢)

ويقول علي بن أبي طالب ؓ وهو يصف وصول النبي ﷺ ومن معه إلى بدر: كان النبي ﷺ يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم رجلا من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة، فأخذناه فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: "كم القوم؟". فقال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم. فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبى، ثم إن النبي

(١) انظر البداية والنهاية (٣/ ٢٦٠) وزاد المعاد (٢/ ٨٥)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٩)

ﷺ سألته: كم ينحرون من الجزر؟ قال: عشر لكل يوم. فقال رسول الله ﷺ: القوم ألف، كل جزور لمائة ونيفها. ثم إنه أصابنا طش من مطر؛ فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد. قال: فلما أن طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله. فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ وحض على القتال، ثم قال: إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل. فلما دنا القوم وصافناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: يا علي، ناد لي حمزة. وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟ ثم قال رسول الله ﷺ: إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر. فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم، إني أرى قوما مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، ولقد علمتم أني لست بأجبنكم. فسمع بذلك أبو جهل فقال: أنت تقول ذلك؟ والله لو غيرك يقول لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعبا، فقال عتبة: إياي تعني يا مصفر استه، ستعلم اليوم أينما الجبان؟ قال: فبرز عتبة، وأخوه شيبة، وابنه الوليد حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ: قم يا علي، وقم يا حمزة، وقم يا عبدة بن الحارث بن المطلب. فقتل الله شيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وجرح عبدة، فقتلنا منهم سبعين وأسرنا سبعين. فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرنى، أسرنى رجل أجلى من أحسن الناس وجهها على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. قال: اسكت فقد أيدك الله بملك كريم". قال علي ؓ: فأسرنا وأسرنا من بني المطلب العباس وعقيل ونوفل

ابن الحارث. (١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ثم حمي الوطيس، واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهاال، ومناشدة ربه عز وجل، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق، وقال: بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك. فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، وأخذ القوم النعاس في حال الحرب، ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: أبشر يا أبا بكر! هذا جبريل على ثنياه النقع. وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسرا وقتلا، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين. (٢)

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا. فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة. ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم! أنجز لي ما وعدتني. اللهم! آت ما وعدتني. اللهم! إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض. فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر. فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه. ثم التزمه من ورائه. وقال: يا نبي الله! كفأك مناشدتك ربك. فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] / [الأنفال / ٩] فأمده الله بالملائكة. (٣)

ولما اقترب المشركون من المسلمين قال لهم الرسول الكريم: لا يقدمن أحد منكم

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٦٥) مختصراً وأحمد (٩٤٨) واللفظ له وصححه الوادعي في الصحيح

المسند (٩٧٥) والألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣١)

(٢) زاد المعاد (٣ / ١٦١)

(٣) رواه مسلم (١٧٦٣)

إلى شيء حتى أكون أنا دونه. فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض. فلما سمع عمير بن الحمام الأنصاري ذلك قال: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك بخ بخ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل. ^(١)

وكان رسول الله ﷺ يباشر القتال بنفسه قال علي، رضي الله عنه: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً. ^(٢)

ووجه رسول الله ﷺ أصحابه إلى كيفية القتال، عن أبي أسيد عن أبيه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش: إذا أكثبوك فارموهم، واستبقوا نبلكم. ^(٣)

وقد بدأ القتال بمبارزات فردية، حيث تقدم عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه الوليد وأخوه شيبة طالبن المبارزة، فانتدب لهم شباب من الأنصار فرفضوا مبارزتهم طالبن مبارزة بني قومه، فأمر الرسول ﷺ حمزة وعلياً وعبيدة بن الحارث بمبارزتهم، وقد تمكن حمزة من قتل عتبة ثم قتل علي شيبه، وأما عبيدة فقد تصدى للوليد وجرح كل منهما صاحبه فعاونه علي وحمزة فقتلوا الوليد واحتملا عبيدة إلى معسكر المسلمين. ^(٤)

ثم التقى الجيشان في ملحمة قتل فيها عدد من زعماء المشركين، منهم أبو جهل

(١) رواه مسلم (١٩٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٦٥٤) وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٩٧٣)

(٣) رواه البخاري (٢٩٠٠)

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٦٥) مختصراً وأحمد (٩٤٨) واللفظ له وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٩٧٥) والألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣١)

عمرو بن هشام وقد قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وهما غلامان لا يعرفانه حتى دلهما عليه عبد الرحمن بن عوف، وقد أخبرا بأنهما يريدان قتل أبي جهل لما كان من سبه للرسول ﷺ وقد أجهز عليه ابن مسعود بعد أن أصاباه.

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه **قال:** بينا أنا واقف في الصف يم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثه أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتما، فابتدراه بسييفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟ قال كل واحد منهما: أنا قتلت، فقال: هل مسحتما سييفكما، قالا: لا، فنظر في السيوفين، فقال: كلاكما قتله، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح. ^(١)

ولما انتهت المعركة، قال رسول الله ﷺ: من ينظر ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو رجل قتله قومه. ^(٢)

ومنهم أمية بن خلف، فقد أسره عبد الرحمن بن عوف بعد المعركة وأسر معه عليا ابنه، فلمحه بلال، وكان هو الذي يعذبه بمكة، فقال: رأس الكفر أمية ابن خلف، لا نجوت إن نجا، واستصرخ عليه الأنصار فأعانوه على قتله هو وابنه علي.

روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه **قال:** كاتبت أمية بن

(١) رواه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢)

(٢) رواه البخاري (٣٧٤٥)

خلف كتابا، بأن يحفظني في صاغيتي بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته: عبد عمرو، فلما كان في يوم بدر، خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا، خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلا ثقيلا، فلما أدركونا، قلت له: ابرك فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه. ^(١)

وقد ثبت في الكتاب والسنة أن الله تعالى أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر وكذلك صح أنها قتلت بيدر.

فأما القرآن ففيه ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢٦﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ١٢٧ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٨ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ١٢٩ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿[آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّدُكُمْ بِآلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[الأنفال: ٩-١٠]

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]

وأما الأحاديث:

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت ذلك مدد من السماء الثالثة. ^(١)

وقد أسر رجل من الأنصار العباس بن عبد المطلب، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلى من أحسن الناس وجها على فرس أبلغ ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: أسكت، فقد أيدك الله تعالى بملك كريم. ^(٢)

وفي صحيح البخاري: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة. ^(٣)

وهكذا انتهت هذه المعركة العظيمة بهزيمة ساحقة للكفار، وبفتح مبين للمسلمين، وقد استشهد من المسلمين في هذه المعركة العظيمة أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار. أما المشركون فقد لحقتهم خسائر فادحة، قتل منهم سبعون وأسروا سبعون، وعامتهم من القادة والزعماء.

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٦٥) مختصراً وأحمد (٩٤٨) واللفظ له وصححه الوادعي في الصحيح

المسند (٩٧٥) والألباني في صحيح أبي داود (٢٣٣١)

(٣) رواه البخاري (٣٩٩٢) عن رفاعه بن رافع رضي الله عنه.

أخرج الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ... فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين. ^(١)

وأخرج الإمام البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ... وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرا، وسبعين قتيلا. ^(٢)

قال ابن حجر رحمته الله: هذا هو الحق في عدد القتلى، وأطبق أهل السير على أنهم خمسون قتيلا يزيدون قليلا أو ينقصون، سردهم ابن إسحاق فبلغوا خمسين، وزاد الواقدي ثلاثة أو أربعة، وأطلق كثير من أهل المغازي أنهم بضعة وأربعون لكن لا يلزم من معرفة أسماء من قتل منهم على التعيين أن يكونوا جميع من قتل، وقول البراء: إن عدتهم سبعون قد وافقه على ذلك ابن عباس وآخرون، وأخرج ذلك مسلم من حديث ابن عباس، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] واتفق أهل العلم بالتفسير على أن المخاطبين بذلك أهل أحد، وأن المراد بأصبتهم مثليها يوم بدر، وعلى أن عدة من استشهد من المسلمين بأحد سبعون نفسا، وبذلك جزم ابن هشام، واستدل له بقول كعب بن مالك رضي الله عنه:

فأقام بالطعن المَطْعَنُ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عَتَبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسُودَ

يعني عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزومي قتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. ثم سرد ابن هشام أسماء أخرى ممن قتل ببدر غير من ذكره ابن إسحاق فزادوا على الستين فقوي ما قلناه، والله أعلم. ^(٣)

ولما انتهت المعركة أمر رسول الله ﷺ بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقتلوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث. ^(٤)

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)

(٢) رواه البخاري (٣٩٨٦)

(٣) انظر فتح الباري (٣٩ / ٨)

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥)

أما الأسرى، فقد فرقهم رسول الله ﷺ بين أصحابه، واستشارهم في شأنهم.

أخرج الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ... فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: "ما ترى يا ابن الخطاب؟" فقال عمر رضي الله عنه: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان -نسيبا لعمر- فأضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هودة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه، ولم يهو ما قال عمر رضي الله عنه، فأخذ منهم الفداء. قال عمر رضي الله عنه: فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تابكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة. -شجرة قريبة من نبي الله ﷺ وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْزِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩] (١)

ومن ضمن الأسرى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وقد كان مسلماً آنذاك وإنما أكره على الخروج كما ثبت ذلك عن ابن عباس وفيه أن العباس قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروهوني. (٢)

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)

(٢) حسن: أخرجه الإمام أحمد (٣٣١٠) - والحاكم (٥٤٦٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ٤٠٩). وحسنه ابن الملقن في البدر المنير (٩/ ١١٧) ومحققوا المسند وانظر فتح الباري (٧/ ٣٢٢)

وأما حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ من بدر ومعه عمه العباس، قال له: يا رسول الله لو أذنت لي فخرجت إلى مكة فهاجرت منها، أو قال: فأهاجر منها، فقال رسول الله ﷺ: يا عم اطمئن فإنك خاتم المهاجرين في الهجرة، كما أنا خاتم النبيين في النبوة. فهو حديث ضعيف جداً في سنده أبو مصعب إسماعيل بن قيس، وهو متروك. ^(١)

وفي طريق عودة الجيش إلى المدينة أمر الرسول ﷺ بقتل اثنين من الأسرى، كانا يؤذيان المسلمين بمكة ويشتدان في عداوتهما لله ولرسوله أولهما النضر بن الحارث ضرب عنقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله. ^(٢)

وثانيهما عقبة بن أبي معيط وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، وهو الذي وضع سلى الجزور على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد. ^(٣) وهو الذي وضع رجله على عنق الرسول ﷺ وهو ساجد أيضاً. ^(٤)

قال ابن كثير رحمته الله: كان هذان الرجلان - النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط - من شر عباد الله، وأكثرهم كفراً وعناداً، وبغياً وحسداً، وهجاء للإسلام وأهله، لعنهما الله، وقد فعل. ^(٥)



(١) موضوع: رواه أحمد (١٨١٢) قال أبو حاتم الرازي كما في العلل (٢٦١٩): هذا حديث موضوع، وإسماعيل مَنكَّرُ الْحَدِيثِ. والحديث في السلسلة الضعيفة للألباني (٧٠٣٠)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٥) والبداية والنهاية (٣/ ٣٢٤)

(٣) رواه البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٤)

(٤) رواه البخاري (٣٨٥٦)

(٥) البداية والنهاية (٣/ ٣٢٤) وقد أخرج مقتل عقبة بن أبي معيط: الطحاوي في شرح مشكل الآثار

(٤٥١٤) - وأبو داود في سننه (٢٦٨٦) - والحاكم (٢٦١٨) - وابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣٢٤)

وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥/ ٤٤) وصحيح أبي داود (٢٤٠٧).

ما حدث أعقاب غزوة بدر

وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ

قال ابن عبد البر رحمه الله: وأما وفاة رقية فالصحيح في ذلك أن عثمان تخلف عليها بأمر رسول الله ﷺ وهي مريضة في حين خروج رسول الله ﷺ إلى بدر، وتوفيت يوم وقعة بدر، ودفنت يوم جاء زيد بن حارثة بشيرا بما فتح الله عليهم ببدر. ^(١) وقد روى حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: لا يدخل القبر رجل قارف أهله، فلم يدخل عثمان. ^(٢) وهذا الحديث خطأ من حماد بن سلمة، لأن رسول الله ﷺ لم يشهد دفن رقية ابنته، ولا كان ذلك القول منه في رقية، وإنما كان ذلك القول منه في أم كلثوم. ذكر البخاري، قال: حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح بن عثمان، حدثنا هلال بن علي، عن أنس بن مالك، قال: شهدنا دفن بنت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: هل منكم من أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا. فقال: انزل في قبرها، فنزل في قبرها. ^(٣)

(١) حسن: رواه الحاكم (٥٠١٢) وقال صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢/ ٢٥٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٨٧) وإسناده حسن من أجل ابن إسحاق وهو مدلس ولكنه صرح بالتحديث. ونيبه ومنبه هما ابنا الحجاج. انظر الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه (٨/ ٢٢٩) والحديث حسن إن شاء فقد جاء من طريقين يقوى بعضهما بعضا، الأول مرسل ابن أبي بكر، والآخر فيه ضعف يسير من أجل ابن أبي أمامة حيث سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير (٤ - ٢٧٢) ووثقه ابن حبان ووالده معدود في الصحابة رحمهم الله.

(٢) رواه الحاكم (٧٠٤٤) وقال: صحيح على شرط مسلم

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٥) قال الحافظ في الفتح (٣/ ١٥٨): هي أم كلثوم زوج عثمان رواه الواقدي عن فليح بن سليمان بهذا الإسناد. وأخرجه ابن سعد في الطبقات في ترجمة أم كلثوم (٨/ ٣٨) وكذا الدولابي في الذرية الطاهرة، وكذلك رواه الطبري والطحاوي من هذا الوجه، ورواه حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس فسمها رقية. أخرجه البخاري في التاريخ الأوسط والحاكم في المستدرک (٤/

وهذا هو الصحيح من حديث أنس، لا قول من ذكر فيه رقية. ولفظ حديث حماد بن سلمة أيضا في ذلك منكر مع ما فيه من الوهم في ذكر رقية. ^(١)



(٤٧)، قال البخاري: ما أدري ما هذا، فإن رقية ماتت والنبي ﷺ ببدر لم يشهدها. قلت: (أي: ابن حجر): وهم حماد في تسميتها فقط، ويؤيد الأول ما رواه ابن سعد أيضا في ترجمة أم كلثوم (٣٨ / ٨) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن، قالت: نزل في حفرتها أبو طلحة.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ / ١٨٤٢)

مشروعية صلاة عيد الفطر

واتفقوا على أن أول عيد صلاه النبي ﷺ عند الفطر في السنة الثانية من الهجرة، وهي التي فرض رمضان في شعبانها، ثم داوم عليه. ^(١)

قال صاحب الرحيق المختوم: ومن أحسن المواقع وأروع الصدقات أن أول عيد تعيد به المسلمون في حياتهم هو العيد الذي وقع في شوال سنة ٢ هـ. إثر الفتح المبين الذي حصلوا عليه في غزوة بدر، فما أروع هذا العيد السعيد الذي جاء به الله بعد أن توج هامتهم بتاج الفتح والعز، وما أروق منظر تلك الصلاة التي صلوها بعد أن خرجوا من بيوتهم يرفعون أصواتهم بالتكبير والتوحيد والتحميد، وقد فاضت قلوبهم رغبة إلى الله، وحينئذ إلى رحمته ورضوانه بعد ما أولاهم من النعم، وأيدهم به من النصر، وذكرهم بذلك قائلا: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأأنفال: ٢٦]. ^(٢)

وبعد الهزيمة الساحقة التي تعرض لها كفار قريش في غزوة بدر الكبرى، بدأت ظاهرة النفاق تظهر، فدخلوا في الإسلام ظاهرا، وأبطنوا الكفر والحقد والكيد في قلوبهم للإسلام وأهله، وكان زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، الذي كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجه ملكا عليهم قبل مقدم الرسول ﷺ المدينة.

عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال: ... فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول، ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فأسلموا. ^(٣)

(١) انظر النجم الوهاج في شرح المنهاج (٢/ ٥٣٦) ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٢١)

وبذل المجهود في حل سنن أبي داود (٥/ ٢٠١) والبحر المحيط الشجاع في شرح صحيح الإمام مسلم

ابن الحجاج (١٧/ ٤٢٧)

(٢) الرحيق المختوم (ص ٢١٠)

(٣) رواه البخاري (٤٥٦٦)

غزوة بني سليم

قال الناظم وفقه الله:

١٣٩- ثُمَّ سُلَيْمًا قَدْ غَزَا بَنِي نَفْسِهِ تَجَهَّزَا

الشرح

وتسمى هذه الغزوة: غزوة قرقرة الكدر، ويقال قرارة الكدر.

قال ابن إسحاق رحمته الله: فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة وكان فراغه من بدر في عقب رمضان أو في أول شوال، فلم يبق بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم، حتى بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا. ^(١)

وهي بناحية معدن بنى سليم قريب من الأرحضية وراء سد معونة، وبين المعدن وبين المدينة ثمانية برد، وكان الذي حمل لواءه، ﷺ، على بن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، فكان بلغه أن بهذا الموضع جمعا من سليم وغطفان، فسار إليهم فلم يجد في المجال أحدا، وأرسل نفرا من أصحابه في أعلى الوادي واستقبلهم رسول الله، ﷺ، في بطن الوادي فوجد رعاة فيهم غلام يقال له يسار، فسأله عن الناس فقال: لا علم لي بهم إنما أورد لخمس وهذا يوم ريعى والناس قد ارتفعوا إلى المياه ونحن عزاب في النعم. فانصرف رسول الله، ﷺ، وقد ظفر بالنعم فأنحدر به إلى المدينة فاقسموا غنائمهم بصرار، على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النعم خمسمائة بعير، فأخرج خمسه وقسم أربعة أخماس على المسلمين، فأصاب كل رجل منهم بعيران، وكانوا مائتي رجل، وصار يسار في سهم النبي، ﷺ، فأعتقه: وذلك أنه رآه يصلى وغاب رسول الله، ﷺ، خمس عشرة ليلة. ^(٢)

(١) سيرة ابن إسحاق (ص ٣١٠)

(٢) انظر طبقات بن سعد (٢/ ٢٨)

غزوة بني قينقاع

قال الناظم وفقه الله:

١٤٠ - وَقَيْنَقُ بَعْدَ دَهَا لَمَّا أَصَاعَتْ عَنْ دَهَا

الشرح

يتفق المؤرخون على أنها وقعت بعد غزوة بدر الكبرى، وقد حدد جماعة من أهل العلم أنها كانت يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثانية للهجرة. ^(١)

وكان بنو قينقاع من أشجع يهود، وكانوا صاغة وتشير كتب السيرة إلى أن سبب الغزوة: أن يهود بني قينقاع أظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون ببدر، وقد بلغ بهم الأمر إلى حد المجاهرة بالعداء.

قال البلاذري رحمه الله: وكان سببها أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وادعته يهود كلها وكتب بينه وبينها كتابا، فلما أصاب ﷺ أصحاب بدر وقدم المدينة غانما موفورا بغت وقطعت العهد. ^(٢)

وقال الطبري رحمه الله: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة منصرفة من بدر، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها، على أن لا يعينوا عليه أحدا وأنه إن دهمه بها عدو نصره، فلما قتل رسول الله ﷺ من قتل ببدر من مشركي قريش أظهروا له الحسد والبغي... وأظهروا نقض العهد. ^(٣)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشا يوم بدر، وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا، فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا

(١) انظر فتح الباري (٨ / ٧١) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٢٦٣) وسيرة ابن هشام (٣ / ٥٤)

والبدية والنهاية (٣ / ٣٧٦)

(٢) أنساب الأشراف (١ / ٣٠٨)

(٣) تاريخ الرسل والملوك (٢ / ٤٧٩)

أغمارا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ١٢٠ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَعْتَيْنِ الْأَتَقَاتِ فِئَةً تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْآلِ عَيْنٌ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿آل عمران: ١٢-١٣﴾ (١)

فلما رأى رسول الله ﷺ أن يهود بني قينقاع نقضوا العهد والميثاق، وتوسعوا في استفزازهم سار إليهم، واستخلف على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه، ودفع اللواء إلى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وكان لواء أبيض.

فلما رأوا المسلمين تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ أشد الحصار، ودام الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، حتى قذف الله الرعب في قلوبهم، فنزلوا على حكم الرسول ﷺ على أن له أموالهم، وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكتفوا ثم كلمه فيهم حليفهم عبد الله بن أبي بن سلول وألح في ذلك قائلاً: أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة. فقال رسول الله ﷺ: هم لك. وأمر بهم أن يجلبوا عن المدينة وتولى أمر جلائهم عبادة بن الصامت. (٢)

(١) حسن لغیره: قال شيخنا محدث الشام سليم الهلالي حفظه الله في حاشية كتابه الصحيح المصنفی: (ص ١٨٣) حسن لغیره - أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢٦٤/٢)، وأبو داود (٣٠١)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٧٣) ٣) بإسناد ضعيف. وله شاهد مرسل صحيح من طريق عاصم بن عمر بن قتادة: أخرجه ابن إسحاق (٢٦٤/٢) ومن طريقة ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢)، وابن جرير في تفسيره (٣/١٢٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/١٧٤). وبالجمل؛ فالحديث حسن بمجموعها.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٦٤) والبداية والنهاية (٤/٣٧٧) وكلام عبد الله بن أبي نقلة ابن إسحاق عن عاصم بن عمر موقوفاً عليه (ابن هشام: السيرة ٢/٥٦٢ - ٥٦٣) وعاصم من صغار التابعين، فالرواية ضعيفة حسب اصطلاح المحدثين، وهي مما يتساهل فيه من الأخبار، وأهميتها في ذكر عدد مقاتلي بني قينقاع. انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/٣٠١) والقصة ذكرها شيخنا سليم الهلالي في كتابه الصحيح المصنفی (ص ١٨٤) وأشار إلى تحسينها. وانظر تفاصيل غزوة بني قينقاع في: سيرة ابن هشام (٣/٥٣ - ٥٥) والبداية والنهاية (٤/٣٧٦) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٦٣ - ٢٦٤) وشرح المواهب (٢/٣٤٩).

زواج علي من فاطمة عليهما السلام

قال الناظم وفقه الله:

١٤١- وَبَعْدَ ذَا الْأَمْرِ يَلِي فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ عَلِي

الشرح

قال ابن حجر رحمه الله: تزوج علي بن أبي طالب عليه السلام من فاطمة بنت رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، وبنى بها في السنة الثانية من الهجرة، عقب وقعة بدر، واختلف في تحديد الشهر، ولعله كان في شوال، فإن غزوة بدر كانت في رمضان. ^(١)

والدليل على أن بناء علي بن أبي طالب عليه السلام بفاطمة بعد غزوة بدر ما أخرجه في صحيحيهما عن علي عليه السلام قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارقاً من الخمس، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعهُ الصواغين، وأستعين به في وليمة عرس. ^(٢)

وقد سبق علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبته لفاطمة عليها السلام، أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب عليهما السلام، فردهما رسول الله ﷺ، لكونها كانت صغيرة.

عن ابن بريدة عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: إنها صغيرة، فخطبها علي عليه السلام فزوجها منه. ^(٣)

(١) فتح الباري (٦/ ١٩٩)

(٢) رواه البخاري (٣٠٩١) ومسلم (١٩٧٩)

(٣) صحيح: أخرجه ابن حبان (٦٩٤٨) والنسائي (٣٢٢١) والحاكم (٢٧٤٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٢٢١) والوادعي في الصحيح المسند (١٤٨)

أَوَّلُ أَضْحَى رَأَى الْمُسْلِمُونَ

قال الناظم وفقه الله:

١٤٢- ثُمَّ غَدَا وَضَحَّى فِي يَوْمٍ عِيدِ الْأَضْحَى

الشرح

(١) وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة.

وأحاديث تضحية النبي ﷺ وصفة أضحيته مستفيضة في كتب السنة.

قال الطبري رحمه الله في تاريخه: وكان لواء رسول الله ﷺ يوم بني قينقاع لواء أبيض، مع حمزة بن عبد المطلب، ولم تكن يومئذ رايات. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، وحضرت الأضحى؛ فذكر أن رسول الله ﷺ ضحى وأهل اليسر من أصحابه يوم العاشر من ذي الحجة، وخرج بالناس إلى المصلى فصلى بهم، فذلك أول صلاة صلى رسول الله ﷺ بالناس بالمدينة بالمصلى في عيد، وذبح فيه بالمصلى بيده شاتين وقيل: ذبح شاة. (٢)



(١) انظر التلخيص الحبير لابن حجر (٢/ ١٨٩) وبغية المقتصد شرح بداية المجتهد لابن رشد الحفيد

(٥/ ٢٧٩٥)

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٤٨١)

مقتل كعب بن الأشرف

قال الناظم وفقه الله:

١٤٣- وَبَعْدَ كُشْفِ الْكَرْبِ دَعَا لِقَتْلِ كَعْبِ

الشرح

ذهب جمهور العلماء إلى أن قتل ابن الأشرف وقع بعد غزوة بدر وقبل غزوة بني النضير، وحدد الواقدي ذلك بدقة فذكر أنه وقع في السنة الثالثة لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة النبوية. وكعب بن الأشرف، وأبوه عربي من طيء وأمه عقيلة بنت أبي الحقيق من بني النضير الذين حالفهم الأب وتزوج منهم، وكان كعب شاعراً يناصب الإسلام العداء وقد غاظه انتصار المسلمين ببدر وساءه الأمر فزار مكة، فكان يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش ويكي قتل المشركين ببدر ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين فأمر النبي ﷺ بقتله. (١)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من لكعب بن الأشرف، فإنه قد أذى الله ورسوله. فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: قل. فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا، وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضاً والله لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، وحدثنا عمرو غير مرة، فلم يذكر وسقاً أو وسقين، فقلت له: فيه وسقاً أو وسقين؟ فقال: أرى فيه وسقاً أو وسقين فقال: نعم، ارهنوني،

(١) انتهى بتصرف من السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ٣٠٣) وانظر: السيرة لابن هشام (٢/ ٥٦٤) وفتح الباري لابن حجر (٧/ ٣٣٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨) ومغازي الواقدي (١/ ١٨٤)

قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا، فيسب أحدهم، فيقال: رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكننا نرهنك الأمة قال سفيان: يعني السلاح فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة، وقال غير عمرو، قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب. قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمرو: أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر قال عمرو: جاء معه برجلين، فقال إذا ما جاء فيني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتُموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال مرة: ثم أشمكم، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً، أي أطيب، وقال غير عمرو: قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب، قال عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلما استمكن منه، قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه. (١)

قال القرطبي رحمه الله: قوله: من لكعب بن الأشرف: كعب هذا: رجل من بني نبهان من طيء، وأمه من بني النضير، وكان شاعراً، وكان قد عاهده النبي ﷺ ألا يعين عليه، ولا يتعرض لأذاه، ولا لأذى المسلمين، فنقض العهد، وانطلق إلى مكة إثر وقعة بدر، فجعل يبكي من قتل من الكفار، ويحرض على رسول الله ﷺ، وهو الذي أغرى قريشاً وغيرهم حتى اجتمعوا لغزوة أحد، ثم إنه رجع إلى بلده، فجعل يهجو رسول

الله ﷺ، ويؤذيه، والمسلمين. فحينئذ قال رسول الله ﷺ: من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله، فأغرى بقتله، ونبه على علة ذلك، وأنه مستحق للقتل. ولا يظن أحد: أنه قتل غدرا. فمن قال ذلك قتل.... لأن ذلك زندقة إن نسب الغدر للنبي ﷺ. فأما لو نسبته للمباشرين لقتله بحيث يقول: إنهم آمنوه، ثم غدروه. لكانت هذه النسبة كذبا محضا؛ لأنه ليس في كلامهم معه ما يدل على أنهم آمنوه، ولا صرحوا له بذلك، ولو فعلوا ذلك لما كان أمانا؛ لأن النبي ﷺ إنما وجههم لقتله لا لتأمينه، ولا يجار على الله، ولا على رسوله. ولو كان ذلك لأدى لإسقاط الحدود، وذلك لا يجوز بالإجماع. وعلى هذا فيكون في قتل من نسب ذلك إليهم نظر، وتردد. وسببه: هل يلزم من نسبة الغدر لهم نسبته للنبي ﷺ؛ لأنه قد صوب فعلهم، ورضي به، فيلزم منه: أنه قد رضي بالغدر؟ ومن صرح بذلك قتل. ^(١)

وكان كعب بن الأشرف من أشد اليهود عداوة للرسول وأصحابه، وكان أبوه عربيا من قبيلة طيء، من بني نبهان، وكان أصاب دما في الجاهلية، فأتى المدينة فحالف بني النضير، فشرّف فيهم، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق، فولدت له كعبا، وكان طويلا جسيما، وكان شاعرا مجيدا، ساد يهود الحجاز بكثرة ماله، فكان يعطي أحبار يهود ويصلهم. ^(٢)

وعن ابن عباس ؓ قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة أتوه، فقالوا: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل يثرب، فنحن خير أم هذا الصنبيير ^(٣) المنبتر ^(١) من

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٦٥٩-٦٦٠)

(٢) انظر فتح الباري (٨/ ٧٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٦٥) وسيرة ابن هشام (٣/ ٥٨) وشرح المواهب (٢/ ٣٦٨).

(٣) الصنبيير: تصغير الصنبور، وهو الأبر، لا عقب له، وأصل الصنبور: سعة تنبت في جذع النخلة لا في الأرض، وقيل: هي النخلة المنفردة التي يدق أسفلها، أراد أنه إذا قلع انقطع ذكره، كما يذهب أثر الصنبور؛ لأنه لا عقب له. انظر النهاية (٣/ ٥١)

قومه يزعم أنه خير منا؟ فقال: أنتم خير منه، فنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، ونزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣] ^(٢)



(١) المنبتر: الذي لا ولد له، أرادوا أنه ﷺ لم يكن يعيش له ولد. انظر النهاية (١ / ٩٤)

(٢) صحيح: أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٧٠٧) وابن حبان (٦٥٧٢) والطبراني (٢٥١ / ١١)

(١١٦٤٥) وصححه الألباني في صحيح الموارد (١٤٤٨)

غزوة السويق

قال الناظم وفقه الله:

١٤٤- ثُمَّ السُّوَيْقُ حَيْثُ فَرَّ صَخْرُ

الشرح

صخر هو أبو سفيان بن حرب.

السويق: هو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيتزود به ملتوتا - أي مبللا - بماء أو سمن أو عسل. (١)

قال ابن سعد رَحِمَهُ اللهُ: ثم غزوة النبي ﷺ التي تدعى غزوة السويق. خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجره. واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر العمري. وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرم الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه. فخرج في مائتي راكب. في حديث الزهري. وفي حديث ابن كعب في أربعين راكبا فسلكوا النجدية فجاؤوا بني النضير ليلاً فطرقوا حيي بن أخطب ليستخبروه من أخبار رسول الله ﷺ وأصحابه. فأبى أن يفتح لهم. وطرقوا سلام بن مشكم ففتح لهم وقراهم وسقاهم خمرا وأخبرهم من أخبار رسول الله ﷺ فلما كان بالسحر خرج أبو سفيان بن حرب فمر بالعريض. وبينه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال فقتل به رجلا من الأنصار وأجيرا له وحرقت أبياتا هناك وتبنا. ورأى أن يمينه قد حلت ثم ولّى هاربا. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب أصحابه وخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم يطلبهم. وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفون فيلقون جرب السويق وهي عامة أزوادهم. فجعل المسلمون يأخذونها فسميت غزوة السويق ولم يلحقوهم. وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان غاب خمسة أيام. (٢)

(١) انظر شرح المواهب (٢/ ٣٥٣) ولسان العرب (٦/ ٤٣٨)

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٣) وانظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٣) وسيرة ابن هشام (٢/ ١١٩)

وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه

ومما وقع في هذه السنة في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم، فصلى عليهم. ^(١)

أسلم رضي الله عنه بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى مع جماعة من المسلمين، فبلغهم وهم في الحبشة أن قريشا أسلمت فعادوا. ^(٢)

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب - قال: لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه أخرج بجنازته فدُفن، فأمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حمله، فقام إليها رسول الله ﷺ، وحسر عن ذراعيه، قال كثير: قال المطلب: قال الذي يخبرني ذلك عن رسول الله ﷺ، قال: كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما، ثم حملها فوضعها عند رأسه، وقال: أتعلم بها قبر أخي، وأدفن من مات من أهلي. ^(٣)



(١) انظر فتح الباري (١٠ / ١٤٨) والطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٢١٢) وسير أعلام النبلاء (١ / ١٥٤)

(٢) انظر أسد الغابة (٣ / ٢٢٥)

(٣) حسن: قال الألباني في أحكام الجنائز (١٩٧): إسناده حسن له شاهدان يتقوى بهما أخرجه أبو داود (٣٢٠٦) والبيهقي (٦٩٩١) باختلاف يسير.

غزوة ذي أمر أو غطفان

قال النازم وفقه الله:

١٤٤ - وَبَعْدُ ذِي أَمْرٍ

الشرح

أي وبعد غزوة السويق، غزوة ذي أمر.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ: غزوة ذي أمر إلى نجد سنة ثلاث فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم، أو قريباً منه ثم غزا نجداً يريد بني غطفان وهي غزوة ذي أمر، فأقام بنجد صفراً كله، أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. ^(١)

ويذكر أهل السير، أن سببها لما جاءه ﷺ الخبر من عيونهم، أن جمعا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بذِي أمر في نجد يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فلما سمعوا بخروج الرسول ﷺ هربوا إلى رؤوس الجبال، وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ قبل غزوة أحد، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ^(٢)

(١) السير والمغازي (ص ٣١٢)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤٦ / ٢) وتاريخ خليفة بن خياط (ص ٦٥) وتاريخ الطبري (٢ / ٤٨٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٣ / ١٦٧)

غزوة قرقرة الكدر

قال الناظم وفقه الله:

١٤٥- وَبَعْدَ ذَاكَ قَرَقَرَهُ يَطْلُبُ جَمْعَ الْكَفَرِهِ

هذه غزوة سليم وتسمى غزوة قرقرة الكدر وقد سبق الكلام عليها في عند البيت رقم ١٣٩. ^(١) وقد مال بعض المؤرخين ^(٢) إلى أنها وقعت مرتين مرة لم يلق أحداً ومرة لقي الرعاة واستاق الأنعام، ولعل هذا ما رآه الناظم وفقه الله.

(١) وانظر نهاية الأرب في فنون الأدب (١٧ / ٧١) للنويري والسيرة الشامية المعروفة بسبل الهدى

والرشاد في سيرة خير العباد (١٧٢ / ٤)

(٢) انظر السيرة الحلبية (٢ / ٢٨٩)

زواج عثمان رضي الله عنه من أم كلثوم بنت الرسول صلى الله عليه وسلم

ومما وقع في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة زواج عثمان بن عفان رضي الله عنه من أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكانت رضي الله عنها عند عتبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة المسد، أمره أبوه أن يطلقها، فطلقها ولم يكن دخل بها. ^(١)

وكان عثمان رضي الله عنه قد تزوج أختها رقية، فمرضت قبل غزوة بدر، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه أن يبقى عندها عندما ذهب إلى بدر، فماتت رضي الله عنها عندما جاء بشير الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة بالفتح، والنصر يوم بدر - كما ذكرنا ذلك فيما تقدم -، فلما ماتت رقية زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم ابنته الثانية أم كلثوم رضي الله عنها.

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وآمن بما بعث به، ثم هاجرت الهجرتين، ونلت صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله ما عصيته، ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل. ^(٢)

قال ابن الملتن: وتزوج - أي عثمان - بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم، وزوجه رسول الله أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها، لهذا سهمي ذو النورين، ولم يعرف أحد من لدن آدم صلى الله عليه وسلم، تزوج ابنتي نبي غيره. ^(٣)



(١) انظر أسد الغابة (٥ / ٤٨٦) وسير أعلام النبلاء (٢ / ٢٥٢) والإصابة (٨ / ٤٦٠)

(٢) رواه البخاري (٣٦٩٦)

(٣) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (١ / ٣٢١)

غزوة بُحران

قال النازم وفقه الله:

١٤٦- ثُمَّ إِلَى بُحْرَانَ وَمَا تَقَى الْجَيْشَانِ

الشرح

قال ابن كثير: ثم خرج ﷺ في ربيع الآخر يريد قريشا، واستخلف ابن أم مكتوم فبلغ بخران معدنا في الحجاز، ثم رجع ولم يلق حربا. ^(١)

وقال صاحب الرحيق المختوم: وهي دورية قتال كبيرة، قوامها ثلاثمائة مقاتل، قادها الرسول ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة ٣ هـ إلى أرض يقال لها بخران - وهي معدن بالحجاز في ناحية نزع - فأقام بها شهر ربيع الآخر ثم جمادى الأولى من السنة الثالثة من الهجرة ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق حربا. ^(٢) وبخران قرية في محافظة رابغ بمنطقة مكة المكرمة.

(١) الفصول في سيرة الرسول (ص ١٤٢)

(٢) الرحيق المختوم (ص ٢٢٢) وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠٨) وتاريخ الطبري (٣/ ١٥٣) وسير

أعلام النبلاء (١/ ٣٧٥) وطبقات ابن سعد (٢/ ٣٥)

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى القردة

قال الناظم وفقه الله:

١٤٧- وَالْغَزْوَةُ الْمُسَدَّدَةُ عَلَى نَوَاحِي قَرَدَةٍ

الشرح

وهذه السرية هي آخر، وأنجح سرية قام بها المسلمون قبل غزوة أحد، وحدثت في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة.

وكان سببها أن قريشاً حاولت الإفادة من الطريق التجارية عبر نجد باتجاه العراق للإفلات من الحصار الاقتصادي. فخرج أبو سفيان في تجار من قريش معظمها من الفضة، فأرسل النبي ﷺ زيد بن حارثة فلقي القافلة في ماء من مياه نجد يدعى القردة، ففر الرجال تاركين القافلة غنيمة له، وكان ذلك بعد ستة أشهر من غزوة بدر الكبرى. ^(١)

وفيها استأجر أبو سفيان فرات بن حيان دليلاً فأسره المسلمون فقدموا به، وبالعير على رسول الله ﷺ، فمروا به بحلقة من الأنصار، فقال فرات: إني مسلم، فقالوا: يا رسول الله إنه يزعم أنه مسلم، فقال رسول الله ﷺ: إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم، منهم: فرات بن حيان. ^(٢)

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٢٩ - ٤٣٠) والبداية والنهاية (٤/ ٤)

(٢) صحيح: أخرج هذا الحديث الإمام أحمد في مسنده (١٨٩٦٥) وأبو داود (٢٦٥٢) واللفظ له ورواه الحاكم (٢٥٨٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه لألباني، السلسلة في الصحيحة (٤/ ٢٧٦) وفي صحيح أبي داود (٢٣١٠) وانظر خبر هذه السرية في: سيرة ابن هشام (٣/ ٥٦) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٦٧) والبداية والنهاية (٤/ ٣٧٨) وشرح المواهب (٢/ ٣٨٤)

زواج النبي ﷺ من حفصة بنت عمر ؓ

قال الناظم وفقه الله:

١٤٨- ثُمَّ تَزَوَّجَ الْأَعْرُ بِحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ

الشرح

وهي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ؓ وأما زينب بنت مضعون أخت عثمان بن مضعون.

قال ابن سعد رحمه الله: ولدت حفصة وقريش تبنى البيت قبل مبعث النبي ﷺ، بخمس سنين. (١)

قال الذهبي رحمه الله: فعلى هذا يكون دخول النبي ﷺ بها ولها نحو من عشرين سنة. (٢)

وكان زواج النبي ﷺ منها في شعبان من السنة الثالثة للهجرة، بعد أن انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة السهمي ؓ الذي كان قد توفي عنها بعد بدر حيث عرضها أبوها عمر ؓ على أبي بكر وعثمان ثم تزوجها النبي ﷺ. (٣)

عن عبد الله بن عمر ؓ يحدث: أن عمر بن الخطاب، حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، فتوفي بالمدينة، فقال عمر ابن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠ / ٨٠)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٢٧)

(٣) انظر تهذيب التهذيب (١٢ / ٤١٠)

فلم يرجع إلي شيئا، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئا؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي، إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها. ^(١)

وكان رسول الله ﷺ قد طلق حفصة ثم راجعها.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. ^(٢)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخل عمر على حفصة وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك؟ إنه قد كان طلقك، ثم راجعك من أجلي، فأيم الله لئن كان طلقك، لا كلمتك كلمة أبدا. ^(٣)

وكانت حفصة رضي الله عنها أكبر من أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بست سنين، وتوفيت رضي الله عنها في شعبان سنة إحدى وأربعين حيث بايع الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية رضي الله عنه في عام الجماعة، وقيل توفيت سنة خمس وأربعين بالمدينة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وصلى عليها مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي المدينة، ودفنت بالبقيع وعمرها ستون سنة، وقيل ثلاث وستون. ^(٤)

(١) أخرجه البخاري (٥١٢٢) وهو من أفراد البخاري على مسلم

(٢) صحيح: أخرجه ابن حبان (٤٢٧٥) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٦١١) أبو داود (٢٢٨٣) وابن ماجه (٢٠١٦) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣٥٦٢) والوادعي في الصحيح المسند (٩٩٣)

(٣) صحيح: أخرجه ابن حبان (٤٢٧٦) وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٣٠٥١) وأبو يعلى (١٧٢) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٦١٣) وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨/٧) والوادعي في الصحيح المسند تحت حديث رقم (٩٩٣)

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٢٨٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٩) وأسد الغابة (٥/ ٢٥١)

زواج الرسول من زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

قال الناظم وفقه الله:

١٤٩- وَبَعْدَ تِلْكَ زَيْنَبُ إِلَى هَلَالٍ تُنْسَبُ

الشرح

قال الذهبي رحمته الله: وفي هذه السنة - أي سنة السنة الثالثة من الهجرة -: تزوج أيضا زينب بنت خزيمة، من بني عامر بن صعصعة، وهي أم المساكين، فعاشت عنده شهرين أو ثلاثة، وتوفيت وقيل: أقامت عنده ثمانية أشهر، فالله أعلم. ^(١)

وقال: زينب أم المؤمنين بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية فتدعى أيضا: أم المساكين؛ لكثرة معروفها أيضا. قتل زوجها عبد الله بن جحش يوم أحد، فتزوجها رسول الله ﷺ؛ ولكن لم تمكث عنده إلا شهرين أو أكثر، وتوفيت رضي الله عنها. وهي أخت أم المؤمنين ميمونة لأُمها. ^(٢)

وتوفيت رضي الله عنها في آخر شهر ربيع الآخر من السنة الرابعة للهجرة، وكانت وفاتها في حياته ﷺ، وكان عمرها رضي الله عنها لما توفيت ثلاثين سنة أو نحوها. فصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع. ^(٣)



(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٠)

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨)

(٣) انظر تفاصيل زواج الرسول ﷺ من زينب بنت خزيمة رضي الله عنها في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٣٠٣) وأسد الغابة (٥/ ٢٩٧) والإصابة (٨/ ١٥٧) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٨)

غزوة أحد

قال الناظم وفقه الله:

- ١٥٠- وَالْكَفْرُ بَعْدُ حَشَدًا وَجَاءَ بَغِيًّا أَحْدًا
١٥١- فَكَانَ مَقْتَلُ الْأَسَدِ حَمْزَةً ذِي الْبَأْسِ الْأَشَدِ
١٥٢- وَجُرِحَ الرَّسُوءُ وَهُوَ بِهَا يَصُوءُ

الشرح

عرفت هذه الغزوة باسم الجبل الذي وقعت عنده، ويقع في شمال المدينة وكان يرتفع ١٢٨ متراً أما الآن فيرتفع ١٢١ متراً فقط بسبب عوامل التعرية، ويبعد عن المسجد النبوي خمسة أكيال ونصف الكيل بدءاً من باب المجيدي أحد أبواب المسجد النبوي. ويتكون أحد من صخور جرانيتية حمراء وله رؤوس متعددة، ويقابله من جهة الجنوب جبل صغير يسمى عينين وهو الذي عرف بعد المعركة بجبل الرماة، وبين الجبلين واد عُرف بوادي قناة. ^(١)

وكان سببها: أن قريشا لما رجعوا من بدر إلى مكة، وقد أصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلهما، من قتل صناديدهم وأشرفهم، اتفقوا على أن يقوموا بحرب شاملة ضد المسلمين، تشفي غيظها، وتروي غلة حقدها، وأخذت في الاستعداد لخوض مثل هذه المعركة العظيمة معركة أحد.

وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وأبو سفيان بن حرب، وعبد الله بن أبي ربيعة أكثر زعماء قريش نشاطاً، وتحمسا لخوض هذه المعركة. وقد اتفق كتاب السيرة على أن أحد كانت في شوال في السنة الثالثة من الهجرة، واختلفوا في اليوم

(١) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (٢/ ٣٧٨)

- الذي وقعت فيه، وأشهر الأقوال أنها في يوم السبت للنصف من شوال. ^(١)
- وقد تجهزت قريش لحرب الرسول ﷺ، وبعثت نفراً يسرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم، وأخذوا لذلك أنواعاً من التحريض. وأبى أن يعينهم أبو عزة الجمحي، فمشى إليه صفوان بن أمية، فقال له: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر، فأعنا بلسانك، فاخرج معنا، فأبى، وقال: من علي محمد يوم بدر، وعاهدته لا أظاهر عليه عدوا أبداً، وأنا أفي له بما عاهدته عليه، فقال له صفوان: اخرج معنا ولك الله علي إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر. فخرج أبو عزة، ومسافع بن عبد مناف، وهبيرة بن أبي وهب يستنفرون بني كنانة، وأهل تهامة بأشعارهم، ويحرضونهم ويدعونهم إلى حرب الرسول ﷺ. ^(٢)
- وما زالت قريش تجمع الجموع من حلفائها، والأحابيش ^(٣)، والأعراب من كنانة، وتهامة لحرب رسول الله ﷺ، واجتمع إليها أبو عامر الفاسق، وهو والد حنظلة غسيل الملائكة ﷺ في خمسين رجلاً من قومه، فتجمع لقريش ثلاثة آلاف مقاتل، فيهم سبعمائة دارع، وكان معهم مائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير.
- ورأى قادة قريش أن يستصحبوا معهم النساء، حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال، وحتى لا يفروا، فخرج أبو سفيان بزوجه هند بنت عتبة بن ربيعة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج طلحة بن أبي
-
- (١) روى ذلك خليفة بن خياط بإسناد فيه مجهول عن الزهري ويزيد بن رومان (تاريخ خليفة ٩٧ والطبري - بإسناد فيه حسين عبد الله الهاشمي وهو ضعيف - عن عكرمة (تفسير الطبري ٧ / ٣٩٩) وهو أصح ما في الباب على ضعفه. انظر السيرة النبوية الصحيحة للعُمري (٢ / ٣٧٨)
- (٢) انظر سيرة ابن هشام (٣ / ٦٩) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٢٦٨) والبدية والنهاية (٤ / ٣٨٤) والروض الأنف (٣ / ٢٤١)
- (٣) الأحابيش: هم أحياء من قبيلة القارة، انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشا، والتحش: التجمع، وقيل حالقوا قريشا تحت جبل يسمى حبشياً فسموا بذلك. انظر النهاية (١ / ٣١٩)

طلحة بسلافة بنت سعد، وخرج صفوان بن أمية بزوجه برزة بنت مسعود الثقفية، وخرج عمرو بن العاص بزوجه ريطة بنت منبه بن الحجاج، فكانت عدة النساء اللاتي خرجن خمس عشرة امرأة، معهن الدفوف والخمور، فكن يكيين قتلى بدر، ويحرضن الرجال على القتال، وعدم الهزيمة والفرار.

وكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد، يعاونه عكرمة بن أبي جهل، أما اللواء فكان إلى بني عبد الدار. ^(١)

وقد علم المسلمون بقدوم جيش المشركين لغزو المدينة، ورأى الرسول ﷺ رؤيا - ورؤيا الأنبياء حق وهي من الوحي - حكاها لأصحابه.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: رأيت في رؤيا أني هزرت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرته أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح، واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها بقراً، والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد. ^(٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، فقال: رأيت في سيفي ذي الفقار فلا، فأولته: فلا يكون فيكم، ورأيت أني مردف كبشا، فأولته: كبش الكتيبة، ورأيت أني في درع حصينة، فأولتها: المدينة، ورأيت بقراً تذبج، فبقر والله خير، فبقر والله خير. فكان الذي قال رسول الله ﷺ. ^(٣)

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٧٠) والطبقات الكبرى (٢/ ٢٦٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٢٥) والبداية والنهاية (٤/ ٣٨٥)

(٢) رواه البخاري (٤٠٨١) ومسلم (٢٢٧٢)

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي بعد حديث (١٥٦١) وابن ماجه (٢٨٠٨) مختصراً، وأحمد (٢٤٤٥) واللفظ له والحاكم (٢٥٨٨) وصححه، والبيهقي (١٣٦٦٢) باختلاف يسير وصححه ابن حجر العسقلاني، تغليق التعليق (٥/ ٣٣١) وأحمد شاكر في تحقيق المسند وحسن إسناده محققوا المسند. وصححه شيخنا سليم الهلالي في الصحيح المصنف (ص ١٩٣)

ولذلك استشار رسول الله ﷺ أصحابه أيخرج إليهم، أم يمكن في المدينة؟ فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتته الخروج يوم بدر إلى الإشارة بالخروج إليهم، وألحوا عليه في ذلك. وأشار عبد الله بن أبي ابن سلول بالمقام بالمدينة، وتابعه على ذلك بعض الصحابة. فالح من كان يريد الخروج على رسول الله؛ فنهض، ودخل بيته، ولبس لأمته، وخرج عليهم، وقد انثنى عزم أولئك، فقالوا: يا رسول الله! إن أحببت أن تمكث في المدينة؛ فافعل، فمضى رسول الله ﷺ حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ: رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقرا منحرة فأولت أن الدرع الحصينة المدينة وأن البقر هو والله خير. قال فقال لأصحابه: لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم فقالوا يا رسول الله، والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام. فقال شأنكم إذا قال فلبس لأمته قال فقالت الأنصار رددنا على رسول الله ﷺ رأيته فجاءوا فقالوا يا نبي الله، شأنك إذا فقال إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل. ^(١)

فخرج رسول الله ﷺ في ألف من الصحابة، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة، فلما صار بين المدينة وأحد، انخرل عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر، وقال: تخالفني وتسمع من غيري، فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر بن عبد الله يوبخهم ويحضهم على الرجوع، ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون، لم نرجع، فرجع عنهم، وسبهم. ^(٢)

(١) صحيح: أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٦٤٧) وأحمد (١٤٧٨٧) واللفظ له وقال ابن حجر في تغليق التعليق (٣٣٢/٥): إسناده صحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٠٠)

(٢) حسن: قال شيخنا سليم الهلالي: حسن - أخرجه ابن إسحاق في السير (٢٠/٦٠-٦٤) لكنه مرسل، وله شواهد يثبت بها إن شاء الله. الصحيح المصنف (١٩٥)

وقد بين القرآن الكريم أن انسحاب عبد الله بن أبي المنافقين إنما هو تنقية لصف المؤمنين وتمييز لهم فلا يبقى فيهم من يرجف ويخذل. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَا هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧]

وقد ظهر رأيان في أوساط الصحابة، الأول: يرى قتل المنافقين الذين خذلوا المسلمين بعودتهم وانشقاقهم عن الجيش. والثاني: لا يرى قتلهم. عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين، فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت {﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾} [النساء: ٨٨] وقال: إنها طيبة تنفي الذنوب، كما تنفي النار خبث الفضة. ^(١)

وقد أثر موقف المنافقين في نفوس طائفتين من المسلمين ففكروا بالعودة إلى المدينة، ولكنهم غالبوا الضعف الذي ألم بهم، وانتصروا على أنفسهم بعد أن تولاهم الله تعالى فدفع عنهم الوهن، فثبتوا مع المؤمنين وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] بنو سلمة وبنو حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ^(٢)

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٠) ومسلم (٢٧٧٦)

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥١) ومسلم (٢٥٠٥)

وفي طريق الرسول ﷺ إلى أحد جاءه يهود بني قينقاع ليقاتلوا معه، فأبى ﷺ لأنهم لم يسلموا.

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع نظر وراءه فإذا كتيبة خشناء قال: من هذا؟ قال: هو عبد الله بن أبي بن سلول في مواليه من اليهود من بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام فقال: أوقد أسلموا؟ فقال: إنهم على دينهم قال: قل لهم فليرجعوا، فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين. ^(١)

وفي موقع الشيخين ^(٢) عسكر جيش المسلمين واستعرض الرسول ﷺ صغار السن الذين لا طاقة لهم بقتال ممن هم أبناء أربع عشرة سنة أو أقل فردهم سوى رافع بن خديج أجازته لما قيل له أنه رام، وسمرة بن جندب لما علم أنه أقوى من رافع، وبلغ عدد من ردهم من صغار السن أربعة عشر صبيا سماهم ابن سيد الناس وقد صح أن ابن عمر منهم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه. ^(٣)

وقد تقدم الجيش الإسلامي إلى ميدان أحد، واتخذ مواقعه بموجب خطة محكمة حيث نظم الرسول ﷺ صفوف جيشه جاعلا ظهورهم إلى جبل أحد ووجوههم تستقبل المدينة، وجعل خمسين من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير فوق جبل عينين المقابل لأحد لحماية المسلمين من التفاف خيالة المشركين عليهم وشدد

(١) حسن: أخرجه الحاكم (٢٦١٠) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥٨٠) وقال ابن حجر في

المطالب العالية (٤/ ٣٩٨): إسناده حسن. والحديث في السلسلة الصحيحة للألباني (١١٠١)

(٢) الشيخين: هو موضع بالمدينة عسكر به رسول الله ﷺ ليلة خرج إلى أحد، وبه عرض الناس. انظر النهاية (٢/ ٤٦٢)

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٩٧) ومسلم (١٨٦٨)

عليهم بلزوم أماكنهم وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا مكانكم. ^(١)

أما بقية الجيش، فجعل رسول الله ﷺ على الميمنة: المنذر بن عمرو رضي الله عنه، وعلى الميسرة: الزبير بن العوام رضي الله عنه يسانده: المقداد بن عمرو رضي الله عنه، وكان للزبير رضي الله عنه مهمة أخرى، وهي الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد. ^(٢)

وقد اشتد القتال بين الجيشين وتراجع المشركون إلى معسكرهم فقد أبدى المسلمون بطولة فائقة فهذا رسول الله ﷺ يأخذ سيفاً فيقول: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا. أنا قال: من يأخذه بحقه؟ قال: فأحجم القوم. فقال أبو دجاجة: أنا أخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين. ^(٣)



(١) رواه البخاري (٣٠٣٩)

(٢) انظر زاد المعاد (٣/ ١٧٤)

(٣) رواه مسلم (٢٤٧٠)

استشهاد حمزة رضي الله عنه

قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قتال الأبطال. فلما طلب سباع بن عبد العزى المبارزة تصدى له فقتله، وكان وحشي مولى جبير بن مطعم قد وعده مولاه أن يعتقه إن قتل حمزة - وكان حمزة قد قتل عمه طعيمة بن عدي ببدر - فكمّن له وحشي تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحرْبته فقتله غيلة.

أخرج البخاري من حديث وحشي بن حرب أنه قال: إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار، فقال لي مولاي جبير ابن مطعم، إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام عنين -وعنين جبل بحيال أحد- وبينه وبينه واد -خرجت مع الناس إلى القتال. فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله ﷺ قال: ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحرْبتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلا، ف قيل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رأني قال: أنت وحشي. قلت: نعم، قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلني أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان، قال: فهذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال فرميته بحرْبتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من

بين كتفيه، قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته. (١)
واستشهد آخرون في هذه المرحلة الأولى من القتال منهم حامل الراعية داعية
الإسلام مصعب بن عمير.

قال خباب رضي الله عنه: هاجرنا مع النبي ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوجب أجراً على
الله، فمنا من مضى - أو ذهب - لم يأكل من أجره شيئاً كان منهم مصعب بن عمير
قتل يوم أحد فلم يترك إلا نمرة - أي كساء - كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه
وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه. فقال لنا النبي ﷺ: غطوا بها رأسه واجعلوا الأذخر
أو قال ألقوا على رجله من الأذخر. (٢)

ولما استشهد مصعب بن عمير أخذ علي بن أبي طالب اللواء. (٣)
فلما رأى الرماة هزيمة المشركين قالوا لعبد الله بن جبير: الغنيمة الغنمية ظهر
أصحابكم فما تنتظرون. فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟
قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة. ثم انطلقوا يجمعون الغنائم. (٤)
وترك أغلب الرماة الخمسين أماكنهم التي أمرهم رسول الله ﷺ أن لا يتركوها،
وخلوا ظهور المسلمين للعدو، وثبت عبد الله بن جبير رضي الله عنه في مكانه وثبت معه نفر ما
يبلغون العشرة. (٥)

وانتهز خالد بن الوليد رضي الله عنه هذه الفرصة الذهبية، فاستدار بسرعة خاطفة، حتى
وصل إلى مؤخرة جيش المسلمين، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير رضي الله عنه
وأصحابه، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحة عالية عرف

(١) رواه البخاري (٤٠٧٢)

(٢) رواه البخاري (١٧٨٩)

(٣) انظر تاريخ خليفة (٦٧)

(٤) رواه البخاري (٣٠٣٩)

(٥) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٨٦) والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٤٩)

المشركون المنهزمون أن خيلهم تقاتل وتنادي، فأقبلوا، وأسرعت امرأة منهم هي: عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعت لواء المشركين المطروح على الأرض، فاجتمع حوله المشركون، وتنادى بعضهم بعضاً، حتى اجتمعوا على المسلمين، وأحيط بهم من الأمام والخلف. (١)

فلما وقع المسلمون في هذا التطويق من قبل المشركين، حدثت فوضى عارمة في صفوفهم، وانفلت الزمام، وضاع النظام، لقد تحول جيش المسلمين إلى شبكة لا يعرف لها أول ولا آخر، تلك الصفوف المنظمة التي كانت تقاتل كبنيان مرصوص، حولها الرماة بمخالفتهم أمر الرسول ﷺ إلى شيء كالفوضى.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ... فلما غنم النبي ﷺ، وأباحوا عسكر المشركين، أكب الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب النبي ﷺ فهم: هكذا - وشبك بين أصابع يديه - والتبسوا، فلما أخل الرماة تلك الخلعة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ، فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير. (٢)

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم. (٣)

قال ابن حجر رحمه الله: قوله: أي عباد الله أخراكم: أي احترزوا من جهة أخراكم، وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه، وكان ذلك لما ترك الرماة

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٨٧) والرحيق المختوم (ص ٢٦٤)

(٢) حسن: أخرجه الإمام أحمد (٢٦٠٩) والحاكم (٣٢١٧) وحسنه محققوا المسند.

(٣) رواه البخاري (٤٠٦٥)

مكانهم، ودخلوا ينتهبون عسكر المشركين. ^(١)

وقد صمدت فئة قليلة كانت حول الرسول ﷺ الذي ثبت في الميدان ولم تزعزعه الأحداث كما هو شأنه عليه الصلاة والسلام في سائر المواقف الصعبة، فكان يدعو أصحابه كما حكى القرآن الكريم ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣] وخلص بعض المشركين إلى الرسول ﷺ نفسه وهو في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فقال: من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟ فقاتلوا عنه واحدا واحدا حتى استشهد الأنصار السبعة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قال ﷺ: من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضا، فقال ﷺ: من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال ﷺ لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا. ^(٢)

ثم قاتل عنه طلحة بن عبيد الله قتالا مشهورا حتى شلت يده بسهم أصابها. ^(٣)
وقاتل سعد بن أبي وقاص بين يدي رسول الله ﷺ وهو يناوله السهام ويقول: إرم فذاك أبي وأمي. ^(٤) وكان سعد من مشاهير الرماة.

ودافع أبو طلحة الأنصاري عن رسول الله ﷺ وكان راميا، فكان النبي يشرف على القتال فيقول له أبو طلحة: لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك. وكان إذا مر الرجل معه جعبة السهام يقول الرسول: انثرها لأبي طلحة. ^(٥)

(١) في الفتح (٨ / ١٠٩)

(٢) رواه مسلم (١٧٨٩)

(٣) رواه البخاري (٣٥١٨)

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٠٥) ومسلم (٢٤١١)

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٦٤) ومسلم (١٨١١)

وقد عبر الرسول عن إعجابه بقتاله فقال: لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة. ^(١)

ورغم استبسال الصحابة في الدفاع عن الرسول ﷺ فقد أصيب إصابات كثيرة فكسرت رباعيته وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الإسلام "فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ^(٢)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء، ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. ^(٣)

ورغم ما أصاب المسلمين من جراح، وما لحق بالرسول ﷺ من أذى فقد استمر القتال بين الطرفين وأجهد الجانبين، وقد بدأ الرسول ﷺ بالانسحاب نحو شعاب أحد ولحق به المسلمون حتى صعد في أحد شعابه وتمكن المسلمون من صد المشركين عنه، وثبت أن الله تعالى أرسل جبريل وميكائيل من الملائكة ليقاتلا دفاعا عنه لأن الله تعالى تكفل بعصمته من الناس.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض، كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد. وزاد مسلم في روايته عنه رضي الله عنه: يعني جبريل وميكائيل عليه السلام ^(٤)

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٣١٠٥) واللفظ له والبخاري (٧٤١٣) وأبو يعلى (٣٩٨٣) وصححه محققوا المسند.

(٢) رواه مسلم (١٧٩١)

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٧) ومسلم (١٧٩٢)

(٤) رواه البخاري (٤٠٥٤) ومسلم (٢٣٠٦)

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: فيه بيان كرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم اختصاص فهذا صريح في الرد عليه وفيه فضيلة الثياب البيض وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة والله أعلم. ^(١)

وكان المسلمون مغتمين لما أصاب الرسول ﷺ ولما أصابهم فأنزل الله تعالى عليهم النعاس فناموا يسيراً ثم أفاقوا وقد زال عنهم الخوف وامتلات نفوسهم طمأنينة، قال أبو طلحة الأنصاري: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً يسقط وأخذه ويسقط فأخذه. ^(٢)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

وقد يئس المشركون من إنهاء المعركة بنصر حاسم، وتعبوا من طولها ومن جلادة المسلمين، فكفوا عن مطاردة المسلمين في شعاب أحد، ولكن أبا سفيان تقدم من المسلمين وخاطبهم فقال: "أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك

(١) شرح النووي على مسلم (١٥ / ٦٦)

(٢) رواه البخاري (٤٠٦٨)

ما يخزيك. قال أبو سفيان: أعل هبل. فقال النبي ﷺ: أجيئوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ: أجيئوا. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني وفي رواية أخرى قال عمر: لا سواء قتالنا في الجنة وقتلاككم في النار. (١)

وما إن غادرت قريش المكان حتى أمر الرسول ﷺ بدفن الشهداء، وكانوا سبعين شهيداً أغلبهم من الأنصار.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا بهم. (٢)

أما قريش فبلغ قتلاهم ثلاثة وعشرين رجلاً. هذا ما ذكره ابن سعد بينما ذكر ابن إسحاق أن عدد قتلى المشركين يوم أحد اثنان وعشرون رجلاً، فالله أعلم (٣)

وقد صح أن الرسول ﷺ جمع بني الرجلين من الشهداء في ثوب واحد، وقدم عند الدفن أكثرهم حفظاً للقرآن، وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة. (٤)

وكان أناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلى المدينة ليدفنوهم بها، فأتاهم منادي رسول الله ﷺ، يأمرهم بأن يدفنوا حيث صرعوا. (٥)

وقد بين النبي ﷺ فضل شهداء أحد.

(١) رواه البخاري (٤٠٤٣)

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣١٢٩) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٧) والألباني في صحيح الترمذي (٣١٢٩)

(٣) انظر طبقات بن سعد (٢/ ٢٧١) وسيرة ابن إسحاق (٣/ ١٤٤)

(٤) رواه البخاري (١٢٨٨)

(٥) صحيح: رواه أحمد (١٥٢٨١) وابن حبان (٣١٨٤) وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٢٥)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلكهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ^(١)

ولما انصرف أبو سفيان، ومن معه نادى في المسلمين: إن موعدكم بدر على رأس الحول، حيث قتلتم أصحابنا، فقال رسول الله ﷺ لعمر الخطاب رضي الله عنه: قل نعم إن شاء الله، هو بيننا وبينك موعد، فافترق الناس على ذلك. ^(٢)

ولما انتهى النبي ﷺ من دفن شهداء أحد، وأراد أن يرجع المدينة، ومعه أصحابه، وقف على جبل أحد، فأثنى على ربه، وتضرع إليه.

عن رفاعة الزرقعي رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد، وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: استوتوا حتى أثني على ربي عز وجل. فصاروا خلفه صفوفًا فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت. اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك،

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٢٠) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢٣٨٩) واللفظ له وقال أحمد شاكر في تخريجه على المسند: إسناده صحيح. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي (٦٣)

(٢) صحيح: أخرجه مواءة أبي سفيان للمسلمين في بدر العام المقبل النسائي في السنن الكبرى (١١٠٨٣) والطبراني (٢٤٧/١١) (١١٦٣٢) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٩٦/٩) والهيثمي، مجمع الزوائد (١٢٤/٦) والوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (٦٦)

وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الحرب، اللهم عائذا بك من سوء ما أعطيتنا، وشر ما منعت منا اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين وأحبنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا، ولا مفتونين. اللهم قاتل الكفرة الذي يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك. اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق. (١)

ثم ركب ﷺ فرسه ورجع إلى المدينة. وقد ظلت ذكرى شهداء أحد عميقة في نفسه عليه الصلاة والسلام فقد تمنى أن يكون استشهد معهم فكان إذا ذكروا يقول: أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي نحص الجبل يعني سفح الجبل. (٢)

وبات المسلمون في المدينة ليلة الأحد، بعد رجوعهم من معركة أحد يحرسون أنقاب المدينة ومداخلها، وقد أنهكهم التعب، وبات الأنصار على باب الرسول ﷺ بالمسجد يحرسونه خوفا من هجوم العدو على المدينة. (٣)



(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٤٩٢) والحاكم (١٩١١) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والنسائي في السنن الكبرى (١٠٣٧٠) والبخاري في الأدب المفرد (٦٩٩) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٣٨)

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٥٠٢٥) واللفظ له والحاكم (٢٤٠٧) والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (٣/ ٣٠٤) وحسنه محققو المسند.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٤)

غزوة حمراء الأسد

قال الناظم وفقه الله:

١٥٣- وَجَاءَ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ فَلَمْ يُقَابِلْهُ أَحَدٌ

الشرح

حمراء الأسد هي ضاحية من ضواحي المدينة المنورة، وأصبحت مخطط سكاني، تقع في الجنوب الغربي من المدينة، وتبعد عنها مسافة ١٢ كيلومتر.

وكانت هذه الغزوة يوم الأحد بعد أحد بيوم واحد فقط؛ لأن أحدًا كانت يوم السبت، لست عشر ليلة مضت من شوال، وقيل: لثمان ليال خلون منه. ^(١)

وكان سببها ما بلغ الرسول ﷺ عن أبي سفيان بن حرب أنه يريد الرجوع بقريش إلى المدينة ليستأصلوا من بقي من أصحاب الرسول ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف المشركون عن أحد، وبلغوا الروحاء، قالوا: لا محمداً قتلتموه، ولا الكواعب أردفتم، وبئس ما صنعتم، ارجعوا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد. ^(٢)

وحمل لواء المسلمين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وخرج رسول الله ﷺ، وهو مجروح في وجهه، ومشجوج في جبهته، وقد كسرت ربايعته، وهو متوهن منكبه الأيمن من ضربة ابن قمئة، وركبته مجحوشتان، وخرج معه جميع من حضر القتال بأحد على ما بهم من الجراح

(١) انظر سيرة ابن إسحاق (٣/ ١٣٣) وطبقات ابن سعد (٢/ ٢٧٤)

(٢) صحيح: أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٠٨٣) والطبراني (١١/ ٢٤٧) (١١٦٣٢) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٩/ ٩٦) والهيتمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٢٤) والوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (٦٦)

والقرح. (١)

وقد أثنى القرآن الكريم على مبادرتهم بالخروج.

عن عائشة رضي الله عنها: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: من يذهب في إثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير. (٢)

وأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد ثلاثة أيام، وفي يوم الأربعاء عاد إلى المدينة، وقد استرد المسلمون الكثير من هيبتهم، بعد أن كادت تنزعزع بسبب غزوة أحد. (٣)



(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٤)

(٢) رواه البخاري (٤٠٧٧)

(٣) وانظر تفاصيل غزوة حمراء الأسد في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٤) ودلائل النبوة للبيهقي

(٣/ ٣١٢ - ٣١٨) والبداية والنهاية (٤/ ٤٢٦) وسيرة ابن هشام (٣/ ١٣٣)

سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى بني أسد

قال الناظم وفقه الله:

١٥٤- ثُمَّ ابْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ سَارًا لَجَمْعِ أَسَدِ

الشرح

كان من نتائج غزوة أحد أن تجرأ الأعراب حول المدينة على المسلمين، وظهر ذلك في التجمعات التي قام بها بنو أسد بقيادة طليحة الأسيدي وأخيه سليمة في نجد حيث سارا في قومهما بني أسد، ومن أطاعهما إلى حرب رسول الله ﷺ.

قال ابن القيم رحمته الله: وكانت وقعة أحد يوم السبت في سابع شوال سنة ثلاث كما تقدم، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم، فلما استهل هلال المحرم بلغه أن طلحة وسليمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما، يدعوان بني أسد بن خزيمة إلى حرب رسول الله ﷺ، فبعث أبا سلمة وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار والمهاجرين، فأصابوا إبلاً وشاء، ولم يلقوا كيذا، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة. ^(١)

فلما دخل أبو سلمة رضي الله عنه المدينة انتفض به جرحه، فلم يلبث حتى مات لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة، أو لثمان خلون منه ^(٢).

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله، فقال ﷺ: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون. ثم قال: اللهم

(١) زاد المعاد (٣/ ٢١٨)

(٢) انظر الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧٤) - دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣١٩) - البداية والنهاية (٤/ ٤٤٢) -

زاد المعاد (٣/ ٢١٨)

اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه. ^(١)

وعنها عليها السلام قالت: لما مات أبو سلمة، قلت: غريب وفي أرض غربة، لأبكيه بكاء يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه، إذ أقبلت امرأة من الصعيد ^(٢) تريد أن تسعدني ^(٣)، فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: أتريد أن تدخل الشيطان بيتا أخرجك الله منه؟ مرتين. فكففت عن البكاء، فلم أبك. ^(٤)

وعنها عليها السلام أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم! أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها. قالت عليها السلام: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. ^(٥)



(١) رواه مسلم (٩٢٠)

(٢) المراد بالصعيد هنا عوالي المدينة، وأصل الصعيد ما كان على وجه الأرض. شرح مسلم للنووي (٦)/

(١٩٩)

(٣) تسعدني: أي تساعدني في البكاء والنياحة. المصدر السابق.

(٤) رواه مسلم (٩٢٢)

(٥) رواه مسلم (٩١٨)

سرية عبد الله بن أنيس رضي الله عنه لقتل خالد بن سفيان الهذلي

قال الناظم وفقه الله:

١٥٥- كَذَا أَنْيْسُ رَحَلَا إِلَى هُذَيْلٍ عَجَلَا

الشرح

لما كان خامس المحرم من السنة الرابعة للهجرة بلغه رضي الله عنه أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي قد جمع له الجموع، فبعث إليه عبد الله بن أنيس، فقتله، وكانت غيبته رضي الله عنه ثمان عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم. ^(١)

عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرنة، فأته فاقتله قال: قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفه. قال: إذا رأيته وجدت له إقشعيرة. قال: فخرجت متوشحاً بسيفي حتى وقعت عليه، وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من الإقشعيرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك، وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لهذا. قال: أجل أنا في ذلك. قال: فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلت، ثم خرجت، وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرأني، فقال: أفلح الوجه. قال: قلت: قتلت يا رسول الله. قال: صدقت. قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ، فدخل بي بيته، فأعطاني عصاً، فقال: أمسك هذه عندك، يا عبد الله بن أنيس. قال:

فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها، قالوا: أو لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضرون يومئذ. قال: فقرنها عبد الله بسيفه، فلم تزل معه حتى مات أمر بها فصبت معه في كفنه، ثم دفنا جمعا. ^(١)



(١) حسن: رواه أحمد (١٦٠٤٧) وأبو يعلى (٩٠٥) وابن خزيمة (٩٨٣) وابن حبان (٧١٦٠) وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤٤٥) وأبو داود (١٢٤٩) مختصرا وصححه ابن خزيمة (٩٨٢) وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٨ / ١٣٣) وهو في الصحيحة (٢٩٨١) للألباني رحمه الله

سرية الرجيع

قال الناظم وفقه الله:

١٥٦- ثُمَّ عَلَى الرَّجِيعِ الْغَدْرُ بِالْجَمْعِ
١٥٧- فِي عَضَلٍ وَالْقَارَةِ الْفِتْنَةُ الْغَدَارَةُ

الشرح

الرجيع: هو ماء لقبيلة هذيل. ^(١)

وتسكن قبيلة القارة اليوم في مناطق مختلفة، من بينها عدة قرى في محافظة الليث بمنطقة مكة المكرمة. وديارهم اليوم في وادي مركوب جنوب مكة ١٣٥ كيلا ولهم وادي بشمى جنوب وادي مركوب بين مكة والليث ولهم كذلك وادي مرخ ومن ديارهم في الليث وادي الغالة ومن فروعهم. وتسكن قبيلة عضل اليوم: في قرية عضل في مركز الغالة شمال محافظة الليث وقرية الوطيات في مركز غميقة شرق محافظة الليث وفي وادي مركوب ووادي بشمى ٢٠ كم جنوب مركوب في مركز الغالة شمال محافظة الليث جنوب منطقة مكة المكرمة. ^(٢)

وكانت هذه السرية في صفر من السنة الرابعة للهجرة. ^(٣)

وقد ذكر ابن إسحاق رحمته الله سبب هذا البعث فقال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة - وهما قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة - فقالوا: يا رسول الله! إن فينا إسلاما، فأبعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئونا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ معهم نفرا ستة من أصحابه. ^(٤)

(١) انظر النهاية (٢/ ١٨٦)

(٢) انظر معجم قبائل الحجاز (١/ ٣٣٣)

(٣) تاريخ الطبري (٢/ ٥٣٨)

(٤) السيرة (٣/ ١٨٨)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهداة، وهو بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلكهم تمرًا تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يشرب فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدغد وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطينا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدا. قال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحابكم، إن في هؤلاء لأسوة، يريد القتلى، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل ابن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرا، فأخبرني عبيد الله بن عياض: أن بنت الحارث أخبرته: أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستعد بها فأعارته، فأخذ ابنا لي وأنا غافلة حين أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إنه لرزق من الله رزقه خبيبا، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: دروني أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها، اللهم أحصهم عددا: ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا. وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئا. (١)

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري: أن الذي قتل خبيبا رضي الله عنه هو: أبو سروعة (٢)

قال ابن حجر رحمه الله: أطبق أهل الحديث على أن أبا سروعة هو عقبة بن الحارث، وقولهم أولى إن شاء الله. (٣)

وروى ابن إسحاق في السيرة عن عقبة بن الحارث قال: ما أنا والله قتلت خبيبا؛ لأنني كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة، فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله. (٤)

وأما زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية وقتله بأبيه أمية بن خلف الذي قتل بيدر، وقد سأله أبو سفيان قبل قتله: أنشدك الله يا زيد أتحب محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. ثم قتل زيد بن الدثنة رضي الله عنه. (٥)

(١) رواه البخاري (٣٨٥٨)

(٢) رواه البخاري (٣٠٤٥)

(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٣٩)

(٤) أخرج ذلك ابن إسحاق في السيرة (٣/ ١٩٢) وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٨/ ١٣٩)

(٥) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٩١) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٧)

فاجعة بئر معونة أو سرية القراء

قال النازم وفقه الله:

١٥٨- وَغَدَرَةُ الْأَعْدَاءِ بِخَيْرِ سِيرَةِ الْقُرَاءِ

١٥٩- عَادَا عَلَيْهِمْ غَادِرُ ابْنِ الطُّفَيْلِ عَامِرُ

الشرح

بئر معونة: بفتح الميم وضم العين في أرض بني سليم، بين مكة والمدينة. (١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وفي هذا الشهر بعينه - وهو صفر من السنة الرابعة - كانت وقعة بئر معونة، ومُلخَصُها أن أبا براء عامر بن مالك المدعوَّ مَلْعَبَ الْأَسِنَّةِ قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعُد فقال: يا رسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا جار لهم، فبعث معه أربعين رجلاً في قول ابن إسحاق - وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين، والذي في الصحيح هو الصحيح - وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحد بني ساعدة الملقَّبَ بِالمُعْنِقِ ليموت وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم. فساروا حتى نزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرَّة بني سُليم، فنزلوا هناك ثم بعثوا حرام بن ملحان أخاً أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل فلم ينظر فيه وأمر رجلاً فطعنه بالحربة خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال: فزت وربَّ الكعبة! ثم استنفر عدوَّ الله لفوره بني عامر إلى قتال الباقيين، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء، فاستنفر بني سُليم فأجابته عُصَيَّة ورِغْلٌ وذكوان، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله

ﷺ، فقاتلوا حتى قُتِلُوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار، فإنه أُرْتُثَّ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى فَعَاشَ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ. ^(١)

عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء: فيهم خالي حرام، يقرءون القرآن ويتدارسون، بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوه قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا، قال: وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا. ^(٢)

وعنه ﷺ: أن النبي ﷺ بعث خاله، أخ لأم سليم، في سبعين راكبا، وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل، خير بين ثلاث خصال، فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف؟ فطعن عامر في بيت أم فلان، فقال: غدة كغدة البكر، في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بفرسي، فمات على ظهر فرسه، فانطلق حرام أخو أم سليم، وهو رجل أعرج، ورجل من بني فلان، قال: كونا قريبا حتى آتيهم فإن آمنوني كنتم، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم، فقال: أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول الله ﷺ، فجعل يحدثهم، وأومئوا إلى رجل، فأتاه من خلفه فطعنه، قال همام أحسبه حتى أنفذه بالرمح، قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة،

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٨٨) وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٧٦) وسيرة ابن هشام (٢/ ١٧٤) وتاريخ

الطبري (٢/ ٣٠ - ٣١)

(٢) رواه مسلم (٦٧٧)

فلحق الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج، كان في رأس جبل، فأنزل الله علينا، ثم كان من المنسوخ: إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا. فدعا النبي ﷺ عليهم ثلاثين صباحا، على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية، الذين عصوا الله ورسوله. ^(١) وقد مكث النبي ﷺ يدعو على رعل وذكوان شهرا في صلاة الغداة وذلك بدء تشريع القنوت.

عن أنس رضي الله عنه: أن رعلا وذكوان وعصية وبني لحيان، استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدهم بسبعين من الأنصار، كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا يبئروا معونة قتلهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقتل شهرا يدعو في الصباح على أحياء من أحياء العرب، على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس: فقرأنا فيهم قرآنا، ثم إن ذلك رفع: بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا. ^(٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قنت رسول الله ﷺ شهرا متتابعاً في الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والصبح، في دبر كل صلاة، إذا قال: سمع الله لمن حمده، من الركعة الأخيرة، يدعو عليهم، على حي من بني سليم، على رعل وذكوان وعصية، ويؤمن من خلفه، أرسل إليهم يدعوهم إلى الإسلام، فقتلوهم. ^(٣)

(١) رواه البخاري (٤٠٩٢)

(٢) رواه البخاري (٤٠٩٠)

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٤٤٣) وأحمد (٢٧٤٦) وابن الجارود في المتقى (١٩٨) وابن خزيمة (٦١٨) والحاكم (٩١٦) وقال: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي. وصححه ابن القيم في زاد المعاد (٢٧١/١) والنووي في خلاصة الأحكام (٤٦١/١) وأحمد شاكر في تخريج المسند (٢٦٣/٤) وحسنه ابن حجر العسقلاني، في نتائج الأفكار (١٣٨/٢) والألباني في صحيح أبي داود (١٤٤٣) وفي إرواء الغليل (١٦٣/٢)

غزوة بني النضير

قال الناظم وفقه الله:

١٦٠- وَالْأَمْرُ لِلنَّذِيرِ يُجْلِي بَنِي النَّضِيرِ

الشرح

تذكر المصادر سببين لهذه الغزوة يتمثلان بمحاولتين لقتل الرسول ﷺ:

الأولى: بعد كتابة قريش إليهم وتهديدها لهم بالحرب إن لم يقاتلوا الرسول ﷺ فاستجاب بنو النضير لهم وعزموا على الغدر.

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبي ابن السلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددا، وإنا نقسم بالله لتقتلنه، أو لتخرجنه، أو لنستعين عليكم العرب، ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك ابن أبي ومن معه من عبدة الأوثان تراسلوا فاجتمعوا، وأرسلوا، وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ، فلقاهم في جماعة فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم. فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، وكانت وقعة بدر فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء، - وهو الخلاخل - فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي ﷺ اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبرا حتى نلتقي في مكان كذا نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك،

فإن صدقوك وآمنوا بك، آمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى إذا برزوا في براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه، ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله، فأرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلا؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا، وصدقناك فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعا، حتى أدرك النبي ﷺ فساره بخبرهم، قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغد، غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم: إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه. فأبوا أن يعطوه عهدا، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بني قريظة بالخيال والكتائب، وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة - والحلقة: السلاح، فجاءت بنو النضير واحتملوا ما أقلت إبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدمونها فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام وكان بنو النضير من سبط من أسباط بني إسرائيل، لم يصبهم جلاء منذ كتب الله على بني إسرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا كما عذبت بنو قريظة، فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١] حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦] وكانت نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة فأعطاها الله إياها وخصه بها، فقال: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى

رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴿٦﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتال قال: فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم، ولرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة، لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ في يد بني فاطمة. (١)

الثانية: ذكر جُلُّ أهل المغازي أن رسول الله ﷺ خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه؛ لأن رسول الله ﷺ كان قد أخذ العهد على اليهود أن يعاونوه في الديات - كما ذكرنا ذلك عند كتابة الصحيفة لأهل المدينة - فأتى رسول الله ﷺ مسجد قباء، فصلى فيه ركعتين، ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم أتى بني النضير فكلّمهم، فقالوا له: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه، فجلس رسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وطائفة من أصحابه، فلما خلا اليهود بعضهم ببعض هموا بالغدر به، واثمروا بقتله، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيقتله بها ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك رجل منهم هو: عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي على رسول الله ﷺ صخرة، كما قال، فأتى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام، وأخبره بما أراد القوم، فقام عليه السلام مظهراً أنه يريد أن يقضي حاجة، وترك أصحابه في مجلسهم، ورجع سريعاً إلى المدينة. فلما استبطأ النبي ﷺ - أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم عليه السلام الخبر بما أرادت يهود من الغدر، وبعث إليهم رسول الله ﷺ أن اخرجوا

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٠٠٤) وعبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٩٧٣٣) واللفظ له وصححه الحافظ بن حجر في الفتح (٨ / ٧٠) والألباني في صحيح أبي داود (٣٠٠٤)

من المدينة، ولا تسكنوني بها، وقد أجلتكم عشرا، فمن وجدت بعد ذلك بها، ضربت عنقه، فأقاموا أياما يتجهزون، وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي: أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، وطمع رئيسهم حبي بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول الله ﷺ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ ﴿١٢﴾﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١١-١٣].

فسار إليهم الرسول ﷺ في أصحابه، واستخلف على المدينة: ابن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما رأوا رسول الله ﷺ التجؤوا إلى حصونهم، فقاموا عليها يرمون بالنبل والحجارة، فحاصرهم رسول الله ﷺ، ثم أمر رسول الله ﷺ بقطع نخيلهم وتحريقها واعتزلتهم قريظة، وخانهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، ولهذا شبه سبحانه وتعالى قصتهم، وجعل مثلهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]، فإن سورة الحشر هي سورة بني النضير، وفيها مبدأ قصتهم ونهايتها.

فأرسلوا إليه ﷺ: نحن نخرج عن المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذرائعهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، وقبض النبي ﷺ الأموال والحلقة - وهي السلاح - وكانت بنو النضير خالصة لرسول الله ﷺ لنوائبه ومصالح المسلمين، ولم يخمسها لأن الله أفاءها عليه، ولم يوجب المسلمون عليها بخيل ولا ركاب. ^(١)

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٥٥) - الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٨) - سيرة ابن هشام

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرق. ولها يقول حسان:

وهان على سرارة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

وفي ذلك نزلت: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ [الحشر: ٥] الآية. ^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ، فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير، وأقر قريظة ومن عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين. ^(٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ... فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة، يعني السلاح. ^(٣) وعلى ما سبق فتاريخ غزوة بني النضير كانت في السنة الرابعة عقب حادثة بئر معونة وهو ترجيح ابن إسحاق، والبخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، وابن القيم، وابن كثير، وجمهور المؤرخين. ^(٤)

قال ابن القيم رحمته الله: وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية، وكان له مع اليهود أربع غزوات، أولها: غزوة بني قينقاع بعد

(٣ / ٢١١) - البداية والنهاية (٤ / ٤٥٥) وزاد المعاد (٣ / ٢٨٩)

(١) رواه البخاري (٤٠٣٢) ومسلم (١٧٤٦)

(٢) رواه البخاري (٤٠٢٨) ومسلم (١٧٦٦)

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٣٨٥٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والبيهقي في دلائل

النبوة (٣ / ١٧٨) والحديث في الصحيح المسند من أسباب النزول للوداعي (٢٤٠)

(٤) انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (١ / ٣٠٥)

بدر، والثانية: بني النضير بعد أحد، والثالثة: قريظة بعد الخندق، والرابعة: خيبر بعد الحديبية. ^(١)

وفي غزوة بني النضير نزلت سورة الحشر.

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة. قال: التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبقى أحدا منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر. قال: قلت سورة الحشر، قال: نزلت في بني النضير. ^(٢)

وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يسمي سورة الحشر: بسورة بني النضير. ^(٣)



(١) زاد المعاد (٣/ ٢٢٣)

(٢) رواه البخاري (٤٨٨٢) ومسلم (٣٠٣١)

(٣) رواه البخاري (٤٠٢٩)

زواج الرسول ﷺ من أم سلمة ؓ

قال الناظم وفقه الله:

١٦١- وَبَعْدَ أَنْ قَدْ تَمَّ مَهْ بَنَى بِأُمِّ سَلَمَةَ

الشرح

أي وبعد أن تم أمر بني النضير تزوج النبي ﷺ بأم سلمة ؓ في شوال من السنة الرابعة للهجرة. (١)

واسمها هند أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم توفي عنها زوجها أبو سلمة من جرح أصابه في أحد فتزوجها الرسول ﷺ في جمادى الآخرة سنة أربع، أسلمت قديماً مع زوجها أبي سلمة وهاجرا إلى الحبشة ثم قدما إلى مكة وهاجرا إلى المدينة، وكنيتها بابنها سلمة ولدته بالحبشة.

وكانت أم سلمة ؓ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها. قالت أم سلمة ؓ: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قتلها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. (٢)

وتوفيت أم سلمة ؓ في أول خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين. وقيل: إنها توفيت في شهر رمضان أو شوال سنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة. وقد قيل: إن الذي صلى عليها سعيد بن زيد.

(٢) رواه مسلم (٩١٨)

(٣) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ / ١٩٢١) والإصابة في تمييز الصحابة (٨ / ٤٠٤)

غزوة بدر الموعود

قال الناظم وفقه الله:

١٦٢- ثُمَّ عَلَى الْوَعْدِ أَتَى بَدْرًا عَلَى مَا وُتِّئَا

الشرح

وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع حرب فيها، وتسمى أيضا بدر الموعود للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد. ^(١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ... كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدكم موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان، فرجع، وأما الشجاع، فأخذ أهبة القتال والتجارة، فلم يجدوا به أحدا، وتسوقوا. ^(٢)

قال ابن سعد رحمته الله: ثم غزوة رسول الله ﷺ، بَدْرَ الْمَوْعِدِ وهى غير بدر القتال وكانت لهلال ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهرا من مهاجره. قالوا: لما أراد أبو سفيان بن حرب أن ينصرف يوم أحد نادى: الوعد بيننا وبينكم بَدْرُ الصَّفراءِ رأس الحول نلتقى بها فنقتل. فقال رسول الله ﷺ، لعمر ابن الخطاب: قُلْ نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ^(٣)

وقال ابن القيم رحمته الله: فلما كان شعبان - وقيل: ذو القعدة - من العام القابل - أي بعد عام أحد - خرج رسول الله ﷺ لموعده في ألف وخمسمائة، وكانت الخيل عشرة أفراس، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فأنتهى إلى بدر فأقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين، وخرج أبو سفيان بالمشركين من

(١) انظر شرح المواهب (٢/ ٥٣٥)

(٢) صحيح: أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٠٨٣) والطبراني (٢٤٧/ ١١) (١١٦٣٢) وصحح

إسناده الحافظ في الفتوح (٩/ ٩٦) والوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (٦٦)

(٣) الطبقات الكبرى (٢/ ٥٦)

مكة وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً، فلما انتهوا إلى مَرِّ الظهران - مرحلة عن مكة - قال لهم أبو سفيان: إن العام عامٌ جذب، وقد رأيت أن أرجع بكم، فانصرفوا راجعين وأخلفوا الموعد، فسميت هذه بدر الموعد وبدر الثانية. ^(١)

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد سمع الناس بمسيره، وبلغ قريشا أمره، وكان الذي أخبر قريشا معبد بن أبي معبد الخزاعي، فإنه مر برسول الله ﷺ وهو ببدر، ثم خرج سريعا إلى مكة، فأخبرهم بخبر رسول الله ﷺ، وموافاته بدرا في أصحابه. ^(٢)



(١) زاد المعاد (٣/ ٢٩٦) وانظر البداية والنهاية (٤/ ٨٧)

(٢) انظر تفاصيل غزوة بدر الآخرة في: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٣١) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٧٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٨٤) والبداية والنهاية (٤/ ٤٦٩) وشرح المواهب (٢/ ٥٣٥)

سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى طيء وأسد

قال الناظم وفقه الله:

١٦٣- وَبَعْدَ ذَاكَ أَرْسَلَا جَيْشًا يَهْزُ الْأَسْلَا
١٦٤- لَطِيئِي وَأَسْدِي فَلَمْ يَجِدْ مِنْ أَحَدٍ

الشرح

وكانت بقيادة أبي عبيدة بن الجراح فتفرقوا في الجبال دون أن يقع قتال.
ذكر هذه السرية خليفة بن خياط في تاريخه من رواية المدائني دون إسناد، وذلك في حوادث سنة خمس. ^(١)
وقوله: جَيْشًا يَهْزُ الْأَسْلَا.
الأسل: الرماح الطوال. ^(٢)

(١) انظر تاريخ خليفة خياط (٧٧ - ٧٨) والسيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٤٠٢)

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ٤٩)

غزوة دومة الجندل

قال الناظم وفقه الله:

١٦٥- وَدُومَةَ الْجَنْدَلِ قَدْ جَاءَ فَفَرَّقَ الْعَدَدُ

١٦٦- وَادَعَ بَعْدَ الْأَمْنِ عَيْنَةَ بَنِي حِصْنِ

الشرح

دومة الجندل: بضم الدال موضع على طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة. ^(١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهي بضم الدال، وأما دومة بالفتح فمكان آخر. خرج إليها رسول الله ﷺ في ربيع الأول سنة خمس، وذلك أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا يريدون أن يدنوا من المدينة، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، وهي من دمشق على خمس ليال، فاستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، وخرج في ألف من المسلمين، ومعه دليل من بني عذرة يقال له مذكور، فلما دنا منهم إذا هم مغربون، وإذا آثار النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب، وجاء الخبر أهل دومة الجندل، ففرقوا ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحدا، فأقام بها أياما وبث السرايا، وفرق الجيوش، فلم يصب منهم أحدا، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ووادع في تلك الغزوة عينة بن حصن. ^(٢)

(١) انظر الطبقات لابن سعد (٢/ ٢٨٠) ومعجم البلدان (٤/ ٣٢٥)

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٢٩) وانظر تفاصيل هذه الغزوة في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨٠) ودلائل

النسبة للبيهقي (٣/ ٣٨٩) وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٦) وشرح المواهب (٢/ ٥٣٩)

قدوم وفد مزينة

وفي رجب من السنة الخامسة للهجرة قدم على رسول الله ﷺ أربعمئة رجل من مزينة، فيهم: النعمان بن مقرن، وقرة بن إياس، وبلال بن الحارث، فبايعهم رسول الله ﷺ على الإسلام. (١)

عن قرة بن إياس رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في رهط من مزينة، فبايعناه. (٢)

وأقطع رسول الله ﷺ بلال بن الحارث أرضاً فيها جبل ومعدن، فقد أخرج الإمام أحمد، وأبو داود عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزني معادن القبلية: جلسيها وغوريها، وحيث يصلح للزرع من قدس، ولم يعطه حق مسلم، وكتب له النبي ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ بلال بن الحارث المزني، أعطاه معادن القبلية: جلسيها وغوريها، وحيث يصلح للزرع من قدس، ولم يعطه حق مسلم. (٣)

ومما جاء في فضل مزينة ما رواه مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده لغفار وأسلم ومزينة، ومن كان من جهينة، أو قال: جهينة، ومن كان من مزينة، خير عند الله يوم القيامة من أسد وطيء وغطفان. (٤)

قال القرطبي رحمته الله: هؤلاء القبائل سبقوا للإسلام، وحسن بلاؤهم فيه، فشرفهم الله تعالى به، وفضلهم على من ليس بمؤمن من سادات العرب بالإسلام، وعلى من تأخر إسلامه بالسبق، كما شرف بالالا، وعمارا، وصهيبا، وسلمان على صناديد

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٤١)

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٥٥٨١) وأبو داود (٤٠٨٢) وابن ماجه (٣٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٨٢) والوادعي في الصحيح المسند (١٠٧٨)

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٧٨٥) وأبو داود (٣٠٦٢) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٠٦٣)

(٤) رواه مسلم (٢٥٢١)

قريش، وعلى أبي سفيان ومعاوية وغيرهم من المؤلفات قلوبهم كما تقدم، فأعز الله بالإسلام الأذلاء، وأذل به الأعزاء بحكمته الإلهية، وقسمته الأزلية ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] وعلى هذا فقولہ ﷺ: مزية، وجهينة، وغفار، وأشجع، ومن كان من بني عبد الله موالي دون الناس جبر لهم من كسرهم، وتنويه بهم من خمولهم، وتفخيم لأمر الإسلام وأهله، وتحقير لأهل الشرك، ولمن دخل في الإسلام ولم يخلص فيه، كالأقرع بن حابس، وغيره ممن كان على مثل حاله، وهذا التفضيل، والتنويه إنما ورد جواباً لمن احتقر هذه القبائل بعد إسلامها، وتمسك بفخر الجاهلية وطغيانها. ^(١)

وقال العلامة عبد العزيز الراجحي: قوله: لأسلم، وغفار وشيء من مزية، وجهينة، أو شيء من جهينة، ومزية خير عند الله قال: أحسبه قال: يوم القيامة من أسد، وغطفان، وهوازن، وتميم؛ لأن أسدا وغطفان وهوازن وتميم تأخر إسلامهم، فلذلك كانت القبائل الأولى خيراً منهم، بسبب أنهم سبقوهم إلى الإسلام والجهاد؛ فالخيرية والأفضلية بالتقدم في الإسلام وبالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فالمراد: أن هذه القبائل خير من تلك القبائل في الجملة، لا أن كل فرد من أفراد القبائل الفاضلة هو خير من كل فرد من أفراد القبائل المفضولة؛ لاحتمال وجود مزايا وخصائص فيهم لا توجد في بعض أفراد القبائل الفاضلة. ^(٢)

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦ / ٤٧٣)

(٢) توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم (٧ / ٢٣٣)

تحريم الخمر

قال النازم وفقه الله:

١٦٧- وَالْخَمْرَ حَرَّمَ النَّبِيُّ

الشرح

اختلف أهل السير في تحديد سنة تحريم الخمر وقد حددها ابن إسحاق وتبعه البلاذري والذهبي وابن كثير وغيرهم بسنة أربع من الهجرة في غزوة بني النضير.^(١) وذهب البعض إلى أنها حُرمت بعد غزوة أحد في سنة ثلاث من الهجرة.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وأما الخمر فكانت لم تحرم بعد، وإنما نزل تحريمها في سنة ثلاث بعد وقعة أحد، وكانت وقعة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة.^(٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وكان تحريمها [يعني: الخمر] بعد غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة.^(٣)

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: والمشهور: أن الخمر حرمت سنة ثلاث من الهجرة بعد وقعة أحد.^(٤)

ورجَّح الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ أنها كانت في عام الفتح سنة ثمان.

قال رَحِمَهُ اللهُ: وقد بينت في تفسير المائدة الوقت الذي نزلت فيه الآية المذكورة وأنه كان في عام الفتح قبل الفتح ثم رأيت الدمياطي في سيرته جزم بأن تحريم الخمر كان

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢١١) وإمتاع الأسماع (١/ ٢٠١) وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٥) والبداية والنهاية (٥/ ٥٣٥)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٨٥)

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤/ ١٨٧)

(٤) التحرير والتنوير (٧/ ٢٢)

سنة الحديدية والحديدية كانت سنة ست وذكر بن إسحاق أنه كان في واقعة بني النضير وهي بعد واقعة أحد وذلك سنة أربع على الراجح وفيه نظر لأن أنساً كما سيأتي في الباب الذي بعده كان الساقى يوم حرمت وأنه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فأراقها فلو كان ذلك سنة أربع لكان أنس يصغر عن ذلك. ^(١)

عن أنس رضي الله عنه قال: كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر، قال: وكان أبو طلحة قد اجتمع إليه بعض أصحابه، فجاء رجل فقال: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فانظر، قال: فخرجت فنظرت، فسمعت منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال أنس: فأخبرته، فقال: اذهب فأهرقها، قال: فجئت فأهرقتها. ^(٢)

وقد أشكل على الصحابة رضي الله عنهم أمر إخوانهم الذين ماتوا، وكانوا يشربونها، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك.

عن البراء رضي الله عنه قال: مات ناس من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يشربون الخمر، فلما نزل تحريمها، قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣] ^(٣)

(١) فتح الباري (١٠ / ٣١)

(٢) رواه البخاري (٢٤٦٤) ومسلم (١٩٨٠)

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٠٥١) واللفظ له وقال: حسن صحيح. ورواه الطيالسي في المسند (٧٥٠) وأبو يعلى (١٧١٩) وابن حبان (٥٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٥١) والصحيحة (٣٤٨٩)

زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها

قال الناظم وفقه الله:

١٦٧ - ثُمَّ زَوَّجَ زَيْنَبَ

هي زينب بنت جحش بن رثاب الاسدية أم المؤمنين كانت زوجة زيد بن حارثة فطلقها وتزوجها النبي ﷺ في ذي القعدة سنة أربع للهجرة. وكان اسمها برة فسمها زينب توفيت سنة ٢٠ هـ وهي ابنة عمته أميمة. وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وبذلك كانت تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زَوَّجَكَ أَهْلِيكَنْ وزَوَّجَنِي اللهُ من فوق سبع سماوات. (١)
ومن خواصها أن الله كان هو وليها الذي زوجها لرسوله من فوق سماواته. وهي أول نسائه لحوقاً به بعد وفاته. (٢)

عن أنس رضي الله عنه أنه قال: لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها علي، قال: فانطلق حتى أتاها، وهي تخمر عجينها، فلما رأيته عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب! أبشري، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجدها، ونزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن. (٣)

(١) رواه مسلم (٢٩٩٦)

(٢) انظر زاد المعاد (١/ ٩٨ - ١٠٦)

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٢٠)

وأولم رسول الله ﷺ حين بنى بزيب بنت جحش رضي الله عنها، بخبز ولحم، فقد أخرج الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: أولم رسول الله ﷺ حين بنى بزيب ابنة جحش، فأشيع الناس خبزاً ولحماً.^(١)

وكان المراد من هذا الزواج: إبطال حرمة زوجة الابن المتبنى، والقضاء على عنجهية الجاهلية بالاعتزاز بالأحساب والأنساب وقد كان زيد رضي الله عنه يدعى قبل إبطال التبني زيد بن محمد.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].^(٢)

وقد كان الله أعلم نبيه ﷺ بتطليق زيد لها وأنه ﷺ سيتزوجها فكان النبي ﷺ يستحي أن يأمر زيدا بطلاقها، وكان يخشى الناس أن يعيوا عليه، ويقولوا: تزوج امرأة ابنه بالتبني، لذا قال لزيد لما جاء يشكوا زينب اتق الله وامسك عليك زوجك.

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فهم بطلاقها، فاستأمر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: اتق الله وامسك عليك زوجك.^(٣)

فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]

قال أنس رضي الله عنه: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتّم هذه الآية.^(٤)

(١) رواه البخاري (٤٧٩٤)

(٢) رواه البخاري (٤٥٠٤) ومسلم (٢٤٢٥) واللفظ له

(٣) رواه البخاري (٧٤٢٠)

(٤) رواه مسلم (٧٤٢٠)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله تعالى إياه أنها ستصير زوجته. ^(١)

وقال: الذي كان يحمله علي إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله تعالى إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين؛ ليكون أدعى لقبولهم. ^(٢)

فائدة عزيزة:

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: قد اجترأ بعض المفسرين في تفسير هذه الآية ونسب إلى رسول الله ﷺ ما لا يليق به ويستحيل عليه؛ إذ قد عصمه الله منه، ونزهه عن مثله، فقال: إن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد، وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق. ثم جاء زيد يريد تطليقها، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، وهو مع ذلك يحب أن يطلقها ليتزوجها. وهذا القول إنما يصدر عن جاهل بعصمته عليه الصلاة والسلام عن مثل هذا، أو مستخف بحرمة. والذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين أن ذلك القول الشنيع ليس بصحيح، ولا يليق بذوي المروءات، فأحرى بخير البريات، وأن تلك الآية إنما تفسرها ما حُكي عن علي بن حسين: أن الله تعالى أعلم نبيه بكونها زوجة له، فلما شكها زيد له وأراد أن يطلقها، قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به مما هو مبدية بطلاق زيد لها وتزويج النبي ﷺ لها. ونحوه عن الزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري وغيرهم.

والذي خشيه النبي ﷺ إنما هو إرجاف المنافقين، وأنه نهى عن تزويج نساء الأبناء وتزويج بزوجة ابنه، ومساق الآية يدل على صحة هذا الوجه بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ

(١) فتح الباري (٩ / ٤٧٩)

(٢) المصدر السابق

مِنْ حَرْجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴿[الأحزاب: ٣٨] وَلَوْ كَانَ مَا ذَكَرَ أَوْلَئِكَ، لَكَانَ فِيهِ أَعْظَمُ
الْحَرْجِ وَلَقَوْلُهُ: ﴿لَيْكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَايَهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ
وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وبالله التوفيق. ^(١)

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٠٦)

نزول الحجاب

قال الناظم وفقه الله:

١٦٨- وَالْأَمْرُ بِالْحِجَابِ كَانَ عَلَى الصَّوَابِ

١٦٩- فِي رَابِعِ السَّنِينَ مِنْ هِجْرَةِ الْأَمِينِ

الشرح

كان فرض الحجاب في السنة الرابعة من الهجرة، في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها، رجَّح هذا ابن حجر والذهبي. ^(١)

ويدل على هذا حديث أنس رضي الله عنه قال: أولم رسول الله ﷺ حين بنى زينب بنت جحش، فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين، كما كان يصنع صبيحة بنائه، فيسلم عليهن ويسلمن عليه، ويدعو لهن ويدعون له، فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رآهما رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي الله ﷺ رجع عن بيته وثبا مسرعين، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر، فرجع حتى دخل البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب. ^(٢)

وفي رواية: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتبع حجر نساءه، يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا، أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب. ^(٣)

(١) انظر فتح الباري (٧/ ٤٣٠) وتاريخ الإسلام (١/ ١٦٧)

(٢) رواه البخاري (٤٧٩٤)

(٣) رواه مسلم (١٤٢٨)

وقد تمنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزول الحجاب، وكان يقترح على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، حتى نزل القرآن في موافقته.

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عنه رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! يدخل عليك الهرم والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله تعالى آية الحجاب. ^(١)

وعن عائشة رضي الله عنها: أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفلح، فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرضا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب. ^(٢)

قال ابن حجر رحمته الله: ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأن ذلك وقع قبل قصة زينب، فلقربه منها أطلقت نزول الحجاب بهذا السبب، ولا مانع من تعدد الأسباب. ^(٣)



(١) رواه البخاري (٤٧٩٠)

(٢) رواه البخاري (١٤٦) ومسلم (٢١٧٠)

(٣) فتح الباري (٩ / ٤٨٨)

غزوة بني المصطلق أو المريسيع

قال الناظم وفقه الله:

١٧٠- وَفِي الْمُرَيْسِيعِ النَّقْيِ غَزَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ طَلَقَ

الشرح

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: وأما المريسيع فبضم الميم وفتح الراء: هو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم، وقد روى الطبراني ^(١) من حديث سفيان بن وبرة قال: كنا مع النبي ﷺ في غزوة المريسيع غزوة بني المصطلق. ^(٢)

وبنو المصطلق بطن من قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية وكانوا يسكنون قديداً وعسفان على الطريق من المدينة إلى مكة، فقديد تبعد عن مكة ١٢٠ كيلاً، وعسفان تبعد ٨٠ كيلاً. ^(٣)

وكانت هذه الغزوة في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وهو قول: موسى بن عقبة، وابن سعد، وابن قتيبة، والبلاذري، والذهبي، وابن القيم، وابن حجر العسقلاني، وابن كثير رحمهم الله. ^(٤)

أما ابن إسحق فذهب إلى أنها في شعبان سنة ست، ويعارض ذلك ما في صحيحي

(١) في الأوسط (٦٠١٥) والكبير (٦٤٩٦) ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٦٢٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٤٥): إسناده الكبير حسن.

(٢) الفتح (٨/ ٩١٥)

(٣) انظر السيرة الصحيحة لأكرم العمري (٢/ ٤٠٤)

(٤) انظر البداية والنهاية (٣/ ٢٤٢) وطبقات ابن سعد (٢/ ٦٣) والمعارف لابن قتيبة (ص ٧٠) وأنساب الأشراف للبلاذري (ص ٣٤١-٣٤٣) والعبر في خبر من غير (١/ ٧) وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٧٢) وكلاهما للذهبي. وزاد المعاد (٣/ ٢٥٦)

البخاري ومسلم من اشتراك سعد بن معاذ في غزوة بني المصطلق^(١) مع استشهاده في غزوة بني قريظة عقب الخندق مباشرة، فلا يمكن أن تكون غزوة بني المصطلق إلا قبل الخندق.

وسبب هذه الغزوة أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق كانت تتهياً للأمر بجمع الرجال والسلاح وتأليب القبائل المجاورة ضد المسلمين. وقد أرسل الرسول ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي للاطلاع على أحوالهم، فأظهر أنه جاء لعونهم وعرف نيتهم في الهجوم على المدينة فعاد وأخبر الرسول ﷺ بما يبيتون.^(٢)

وفي يوم الاثنين ليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة خرج الرسول ﷺ بجيشه من المدينة نحو ديار بني المصطلق، وانتهى رسول الله ﷺ إلى المريسي، فأغار عليهم وهم غارون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية رضي الله عنها.^(٣)

وهذه الرواية صريحة في أن الغارة وقعت دون إنذار لبني المصطلق لأنهم ممن بلغتهم دعوة الإسلام، وقد كانوا يعتبرون في حرب مع المسلمين منذ اشتراكهم مع قريش في غزوة أحد، كما كانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين، فبوغتوا واضطربوا ولم يتمكنوا من المقاومة طويلاً، بل إن رواية الصحيحين لا تشير إلى المقاومة.

ولكن ابن إسحق ذكر وقوع قتال على ماء المريسي ثم انهزم بنو المصطلق وقتل

(١) وذلك في قصة حادثة الإفك وفيها انه قال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه: إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) وحادثة الإفك وقعت في غزوة بني المصطلق.

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨١)

(٣) رواه البخاري (٢٥٤١) ومسلم (١٧٣٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

بعضهم وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فتمت قسمة ذلك بينهم^(١).
قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: هكذا قال عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في سيرته وغيره، وهو وهم، فإنه لم يكن بينهم قتال، وإنما أغار عليهم على الماء، فسبى ذراريهم وأموالهم، كما في الصحيح^(٢).

وقد ضعف رواية ابن إسحاق الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على فقه السيرة^(٣).
 وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين، فكلما كسب الإسلام نصرا جديدا ازدادوا غيظا على غيظهم، وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون لتشتفى من الغل، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار، فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء الرسول ﷺ في نفسه وأهل بيته فشنوا حربا نفسية مريعة من خلال حادثة الافك التي اختلقوها وغير ذلك.

عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المنافقون: ١]. فبعث إلى النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد^(٤).

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٣١٨) والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٧٨)

(٢) زاد المعاد (٢/ ٢٣٠)

(٣) انظر فقه السيرة بتحقيق الألباني (ص ٢٨٩)

(٤) رواه البخاري (٤٩٠٠)

قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: قوله: كنت في غزاة. هي غزوة بني المصطلق، وفي رواية للنسائي: تبوك، وهو خطأ، لأن عبد الله بن أبي لم يكن فيها. ^(١)

وقال الدماميني رَحِمَهُ اللهُ: كنت في غزاة: هي غزوة المريسيع. وقال ابن العربي: إنها كانت غزوة تبوك، وانتقد بأن المسلمين كانوا في تبوك أعزاء، والمنافقين أذلة. وأيضا: فمنهم من قال: إن ابن أبي لم يشاهدها، إنما كان في الخوالف. ^(٢)

وقال العيني رَحِمَهُ اللهُ: والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق. ^(٣)

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار!، وقال المهاجري: يا للمهاجرين!، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟"، قالوا: يا رسول الله!، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها، فإنها متنتة، فسمع بذلك عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ، فقام عمر، فقال: يا رسول الله!، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. ^(٤)

وقد وقع في رواية أحمد والترمذي أن سفيان بن عيينة قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق. ^(٥)

ووقع في رواية الترمذي المتقدمة: أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول منع أباه من دخول المدينة حتى يُقر أن رسول الله ﷺ عزيزٌ وهو الذليل ففعل. وفي هذه الغزوة سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن العزل، فكأنه كرهه ﷺ.

(١) التوشيح شرح الجامع الصحيح (٧/ ٣٠٨٠)

(٢) مصابيح الجامع (٨/ ٤٤٦)

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ٢٣٧)

(٤) رواه البخاري (٤٩٠٧) ومسلم (٢٥٨٤)

(٥) رواه أحمد (١٥٢٢٣) والترمذي (٣٣١٥)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتبهنا النساء، واشتدت علينا العزبة، وأحببنا العزل، فأردنا أن نعزل، وقلنا نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله فسألناه عن ذلك، فقال: "ما عليكم أن لا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة." ^(١)

قال ابن حجر رحمته الله: وسبب كراهية العزل شيان: أحدهما: كراهية مجيء الولد من الأمة، وهو إما أنفة من ذلك، وإما لئلا يتعذر بيع الأمة إذا صارت أم ولد، وإما لإدخال ضرر على المرأة لما فيه من تفويت لذتها. والثاني: كراهية أن تحمل الموطوءة، وهي ترضع فيضر ذلك بالولد الموضع. ^(٢)

وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً، ودخل المدينة لهلال شهر رمضان. ^(٣)



(١) رواه البخاري (٤١٣٨) ومسلم (١٤٣٨)

(٢) فتح الباري (١٠ / ٣٨٤)

(٣) قاله ابن سعد في طبقاته (٢ / ٢٨٢)

زواج الرسول ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

قال الناظم وفقه الله:

١٧١- وَفِي السَّبَايَا الْمُغْرِبَةِ زَوْجَتُهُ جُـ وَوَيْرِيَّةُ

الشرح

وكان في غزوة بني المصطلق من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق.

وقد روت عائشة رضي الله عنها قصتها فقالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحه، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فو الله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت: سيري منها مثل ما رأيت. فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: أنا جويرية بنت الحارث سيد قوم، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبته فأعني. فقال: أو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك. فقالت: نعم. ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوجها فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق بها أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها. ^(١)

وذكر الذهبي رحمه الله: أنه كان اسمها برة فسمها رسول الله ﷺ جويرية. ^(٢)

وبسبب زواج الرسول ﷺ من جويرية رضي الله عنها، هدى الله أكثر بني المصطلق إلى

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩٣١) وابن حبان (٤٠٥٥) وأحمد (٢٦٣٦٥) واللفظ له وحسنه الألباني

في صحيح الموارد (١٠٢٠) والوادعي في الصحيح المسند (١٦٢٠)

(٢) انظر تاريخ الإسلام (٢/ ٢٦٤)

الإسلام، فقد أسلم أبوها الحارث، فخرج داعياً لقومه إلى الإسلام، فأسلموا. ^(١)

وكانت عليها السلام من الذاكرات الله كثيراً، والقائات، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عنها

عليها السلام: أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال ﷺ: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته. ^(٢)

وتوفيت سنة خمسين من الهجرة، وقيل: سنة ست وخمسين في خلافة معاوية بن

أبي سفيان رضي الله عنه، وصلى عليها مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي المدينة، وكان عمرها حين توفيت عليها السلام خمسا وستين سنة. ^(٣)

تنبيه:

ذكر بعض المؤرخين أن الحارث والد جويرية رضي الله عنه جاء يطلب ابنته فردها له النبي ﷺ ثم خطبها منه فزوجه إياها.

قال الألباني رحمته الله معلقاً على هذا:

هذا غير صحيح، وقد أشار لذلك ابن هشام في سيرته: (١/ ٣٦٧) فإنه ذكر هذه

الرواية بدون إسناد، وصدرها بقوله: ويقال. والصحيح أنه ﷺ قضى عنها كتابتها وتزوجها دون أن يخطبها من أبيها فإنها كانت أسيرة كما رواه ابن إسحاق بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها؛ ومن طريقه أخرجه أحمد: (٦/ ٢٧٧) وابن هشام: (٢/ ٢١٨ - ٢١٩، ٣٦٧) وفي حديثها قصة إطلاق الأسرى. ^(٤)

(١) انظر شرح المواهب (٣/ ٣) وزاد المعاد (٣/ ٢٣٠) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨١) وسيرة

ابن هشام (٣/ ٣١٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٤٤) وفتح الباري (٥/ ٤٧٨)

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٦)

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٣٠٥) والإصابة (٨/ ٧٤) وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٣)

(٤) فقه السيرة للغزالي بتحقيق الألباني (ص ٢٨٩)

حادث الإفك

قال الناظم وفقه الله:

١٧٢- وَقَامَ أَهْلُ الشَّكِّ فِيهَا بِنَشْرِ الْإِفْكِ

الشرح

وفي غزوة بني المصطلق وقع حادث الإفك الذي كان أعظم فتنة حاكها المنافقون، واستباح ابن سلول لنفسه أن يرمي بالفحشاء سيدة من خيرة النساء، وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها، ^(١) فخرج سهمي فخرجت معه، بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودج وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقممت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني، أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جنع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن، ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقمة من الطعام، فلم يستنكر

(١) وفي لفظ خارج الصحيحين: فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي... الحديث رواه البزار (٨٠١١) وأبو يعلى (٦١٢٥) قال الألباني: هذه القصة صحيحة، رواها بهذا السياق ابن إسحاق بأسانيد صحيحة عن عائشة، ومن طريقه أخرجه ابن هشام في السيرة: (٢/ ٢٢٠-٢٢٢) وهي عند البخاري: (٧/ ٣٤٧-٣٥٠) ومسلم: (٨/ ١١٣-١١٧) بنحو ما هنا. فقه السيرة للغزالي بتحقيق الألباني (ص ٢٩٥)

القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد، فأمت منزلي الذي كنت به، فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناى فمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فأتاني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه، حين أناخ راحلته، فوطئ يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أيتنا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكت بها شهرا، فيفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريني في وجعي: أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، وإنما يدخل فيسلم، ثم يقول: (كيف تيكم). لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت. فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع، متبرزنا، لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية، أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي، فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا، فقالت: يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا، فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، دخل علي رسول الله ﷺ فسلم، فقال: (كيف تيكم). فقلت: ائذن لي إلى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبوي، فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية، هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة، عند رجل يحبها، ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها. فقلت: سبحان الله، ولقد يتحدث الناس بهذا؟ قالت: فبت الليلة حتى أصبحت، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد، حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق

أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدّك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: يا بريرة، هل رأيت شيئا يريبك. فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الدواجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه: إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد ابن عباد، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد بن الحضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لتقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان: الأوس والخزرج، حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفضهم، حتى سكتوا وسكت، وبكى يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، قد بكيت ليلتين ويوما، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد، ثم قال: يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه. فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني

رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبني عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم إني بريئة، لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. ثم تحولت إلى فراشي، وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: يا عائشة، احمدي الله، فقد برأك الله. فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]. الآيات، فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، بعد ما قال لعائشة. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه. وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ما علمت، ما

رأيت. فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيرا. قالت: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع.^(١)

وهكذا، وبعد شهر تقشعت سحابة الشك والارتباب، والقلق والاضطراب عن جو المدينة، وافتضح رأس المنافقين افتضاحا لم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك.^(٢)

قال ابن إسحاق رحمه الله: وجعل بعد ذلك -أي ابن سلول- إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه، ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي: أقتله، لأرعدت له أنف، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. فقال عمر رضي الله عنه: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.^(٣)

فلما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها، خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فخطب الناس، وتلا عليهم ما أنزل الله من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حد القذف ثمانين جلدة. **عن عائشة رضي الله عنها قالت:** لما نزل عذري، قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة، فضربوا حدهم.^(٤)

وفي رواية الطحاوي: وهم حسان، ومسطح، وحمنة.^(٥)



(١) أخرجه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠)

(٢) انظر الرحيق المختوم ص (٣٣٣)

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢١)

(٤) حسن: رواه خرجه أبو داود (٤٤٧٤) والنسائي في السنن الكبرى (٧٣٥١) والترمذي (٣١٨١) وابن

ماجه (٢٥٦٧) وأحمد (٢٤٠٦٦) باختلاف يسير، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣١٨١) و

صحيح ابن ماجه (٢٠٩٧)

(٥) قال شعيب الأرنؤوط في تخريج مشكل الآثار (٢٩٦٣): إسناده حسن.

غزوة الخندق (الأحزاب)

قال الناظم وفقه الله:

١٧٣- وَغَزْوَةُ الْأَحْزَابِ ضَائِقَةُ الْأَصْحَابِ

الشرح

قال ابن حجر رحمته الله: فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه فيما ذكر أصحاب المغازي. ^(١)

وقال السهيلي رحمته الله تعالى: وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكنه من مكاييد الفرس وحروبها. ^(٢)

وكانت في شوال سنة خمس، وهو قول جمهور العلماء، وهو الصحيح، كما قال ابن كثير، وابن القيم، وقال ابن حجر: وهو المعتمد. ^(٣)

وقد شذ ابن حزم بقوله أنه لم يكن بين أحد والخندق سوى سنة واحدة، وبنى رأيه على ظاهر حديث عبد الله بن عمر بأن الرسول ﷺ رده يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وأجازه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة. ^(٤)

ولكن البيهقي وابن القيم والذهبي وابن حجر فسروا ذلك بأن ابن عمر كان يوم أحد في بداية الرابعة عشرة ويوم الخندق في نهاية الخامسة عشرة. وهو الموافق لقول

(١) الفتح (٨ / ١٤٨)

(٢) في الروض الأنف (٣ / ٤١٦)

(٣) انظر البداية والنهاية (٤ / ٤٧٦) وزاد المعاد (٣ / ٢٤٠) والفتح (٨ / ١٤٩)

(٤) انظر جوامع السيرة (١٨٥)

جمهور علماء السيرة. (١)

وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرا من أشراف يهود بني النضير، الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، منهم سلام بن مشكم، وسلام بن أبي الحقيق، وحبي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وغيرهم، خرجوا إلى مكة، واجتمعوا بأشراف قريش، وحرصوهم على حرب رسول الله ﷺ، وألبوهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة، فقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله. فأجابتهم قريش إلى ذلك، وقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالْطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١-٥٢] (٢)

ثم خرجوا من مكة إلى نجد حيث حالفوا قبيلة غطفان الكبيرة على حرب المسلمين وهكذا تحالف الأحزاب بيهود من يهود بني النضير. ويذكر موسى بن عقبة أن وفد اليهود وعد غطفان بنصف ثمر خيبر لإغرائها بالمشاركة في التحالف وكان مكان تجمع جيش قريش وحلفائها في مر الظهران التي تبعد أربعين كيلا عن مكة، حيث وافاهم حلفاؤهم من بني سليم وكنانة وأهل تهامة والأحباش، ثم تحركوا نحو المدينة حتى نزلوا بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة. أما

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (١٢٢) وفتح الباري (٥ / ٢٧٨) وزاد المعاد (٣ / ٢٤٠)

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام (٣ / ٢٣٧) بإسناد صحيح إلى عروة لكنه من مرسل عروة، وابن كثير: في التفسير (١ / ٥١٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن إلى ابن عباس. انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢ / ٤١٩) وصحيح وضعيف تاريخ الطبري (٢ / ١٦٥)

غطفان وبنو أسد فنزلوا بذنب نغمي إلى جانب أحد وقد سمى السيوطي القبائل النجدية المشاركة - ومعظمها فروع من غطفان - وهي: غطفان وبنو سليم وبنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة، وكان عددهم عشرة آلاف. ^(١)

وما أن علم المسلمون بخبر تجمع الأحزاب لغزوهم حتى بدأ الرسول ﷺ باستشارتهم فيما ينبغي عمله لمواجهة الموقف، وكان هذا دأبه في المواقف كلها تأليفاً لقلوب أصحابه ويقتدي به من بعده وليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحرب والأمور الجزئية الأخرى. ^(٢)

ثم أمر النبي ﷺ بحفر الخندق في المنطقة الشمالية من المدينة ليربط بين طرفي حرة واقم وحره الوبرة، وهي المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة، أما الجهات الأخرى فكانت كالحصن تتشابك فيها الأبنية وأشجار النخيل وتحيطها الحرات التي يصعب على الإبل والمشاة السير فيها. ^(٣)

ويذكر أهل السير أن من أشار بذلك هو سلمان الفارسي.

قال شيخنا العلامة محدث الشام سليم الهاللي حفظه الله: اشتهر في كتب السير أن الذي أشار بحفر الخندق هو: سلمان الفارسي رضي الله عنه، لأنهم كانوا يفعلون ذلك ببلاد فارس، وهذا لا يصح سنده. ^(٤)

ولم يعترض أحد على خطة الدفاع عن المدينة، فقد كانت جموع الأحزاب كبيرة، وكانت دروس أحد ماثلة قريبة، والخندق يشكل حاجزاً يمنع الالتحام المباشر بين الغزاة والمسلمين، ويمنع اقتحام المدينة، ويوفر للمسلمين موقعا دفاعيا جيدا،

(١) انظر فتح الباري (٧/ ٣٩٣) والخصائص الكبرى (١/ ٥٦٥)

(٢) انظر السياسة الشرعية لابن تيمية (١٣٤)

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٦٦ - ٦٧)

(٤) انظر الصحيح المصنف من سيرة المصطفى (٢١٨)

فيكبدون الغزاة الخسائر برشقهم بالسهم من رواء الخندق. ^(١)
 وشرع المسلمون في حفر الخندق في جو بارد، ورسول الله ﷺ يحفر معهم بنفسه الشريفة، ويحمل التراب بنفسه ترغيباً للمسلمين في الأجر وتنشيطاً لهم.
عن أنس رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة. فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً ^(٢)
وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ، رأيتُه ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعتُه يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:
 اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصددقنا ولا صلينا
 فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا
 إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
قال: ثم يمد صوته بآخرها. ^(٣)

وكان الصحابة يلجأون إليه إذا عرضت لهم الصخرة الكبيرة فيأخذ المعول ويفتت الصخرة وهو رابط على بطنه الحجر من الجوع ﷺ.

عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢/ ٤٢٠)

(٢) رواه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٨٠٥)

(٣) رواه البخاري (٤١٠٥) ومسلم (١٨٠٣)

ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل. ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبشنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب الكدية، فعاد كثيبا أهيل، أو أهيم، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج، فقلت: طعم لي، فقم أنت يا رسول ورجل أو رجلان، قال: كم هو. فذكرت له، قال: كثير طيب، قال: قل لها: لا تنزع البرمة، ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا. فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاعطوا. فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز، ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة. (١)

أما المنافقون فقد كانوا يتأخرون في العمل، ويشبطون عزائم المسلمين ويتخاذلون، ويتسللون من العمل ويذهبون إلى أهليهم بغير علم الرسول ﷺ ولا إذنه. (٢)

وقد صور القرآن موقف المنافقين أدق تصوير قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَأْهْلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ

(١) رواه البخاري (٤١٠١)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٣٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٢٠ - ٤٣٥)

لَكُمْ فَأَرْجِعُوا وَيَسْتَعِذْنَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُلِواُ الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلَوْنَ الْأَذْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ [الأحزاب: ١٥-١٠]

والآيات تشير إلى حالة النفاق وما تولده من القلق في النفوس والجبن في القلوب وانعدام الثقة بالله عند تعاظم الخطوب والجرأة على الله تعالى بدل اللجوء إليه عند الامتحان، ولا يقف الأمر عند الاعتقاد بل يتبعه العمل المخذل المرجف، فهم يستأذنون الرسول ﷺ للانصراف عن ميدان العمل والقتال بحجج واهية زاعمين أن بيوتهم مكشوفة للأعداء، وإنما يقصدون الفرار من الموت لضعف معتقدتهم وللخوف المسيطر عليهم، بل ويحثون الآخرين على ترك مواقعهم والرجوع إلى بيوتهم، ولم يراعوا عقد الإيمان وعهود الإسلام. ورغم كل تخذيل المنافقين وإرجافهم وظروف المجاعة وشدة البرد، فقد مضى المسلمون في تنفيذ مهامهم وإكمال خطة الدفاع عن المدينة.

وما إن فرغ المسلمون من حفر الخندق حتى أقبلت قريش في أربعة آلاف فنزلت أعالي أرض المدينة بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف حتى نزلوا بذنب نغمى إلى جانب جبل أحد، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠] وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، ووجههم إلى نحو العدو، فضرب رسول الله ﷺ هنالك عسكره، والخندق بينه وبين العدو، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل، وأمر رسول الله ﷺ بالذرازي والنساء فجعلوا في الآطام. (١)

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٠٠)

واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة، ولواء الأنصار لسعد بن عبادَةَ رضي الله عنه، وأوصاهم رسول الله ﷺ إذا بيتهم العدو أن يكون شعارهم: حم لا ينصرون. ^(١)

ولما أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة، وجدوا خندقاً عريضاً يحول بينهم وبينها، فدهشوا وعجبوا فقالوا: والله إن هذه لمكيدة، ما كانت العرب تكيدها فلجؤوا إلى فرض الحصار على المسلمين، وأخذ المشركون يدورون حول الخندق، يتحسسون نقطة ضعيفة، لينحدروا منها، لكنهم لم يجدوا، فأخذوا يناوشون المسلمين، ورسول الله ﷺ وأصحابه وجاههم يحرسون خندقهم ويتطلعون إلى جولات المشركين، ويرشقونهم بالنبل، حتى لا يجترئوا على الاقتراب منه، وأقاموا على ذلك بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل، والحصار. ^(٢)

وقد اشتد الخطب على المسلمين عندما بلغهم أن حلفاءهم يهود بني قريظة قد نكثوا العهد وغدروا بهم، وكانت ديار بني قريظة في العوالي في الجنوب الشرقي للمدينة على وادي مهزور، فكان موقعهم يمكنهم من إيقاع ضربة بالمسلمين من الخلف. وقد أرسل الرسول ﷺ الزبير بن العوام وسعد بن معاذ وسعد بن عبادَةَ إلى بني قريظة للاستطلاع، فوجدوها قد نقضت العهد ومزقت الصحيفة إلا بني سعة فإنهم خرجوا من الحصون إلى المسلمين وفاء بالعهد. وكان ذلك على أثر سفارة حبي بن أخطب النضري الذي أقنع كعب بن أسد القرظي بنقض العهد مع المسلمين

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٧٧٧) وأحمد (١٦٦١٥) وأبو داود (٢٥٩٧) وغيرهم وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٩٧) وصحيح الترمذي (١٦٨٢) وصحيح أبي داود (٢٥٩٧) والوادعي في الصحيح المسند (١٥٢٥)

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨٣)

مبيناً له قوة الأحزاب وأنهم قادرون على القضاء على المسلمين مواعداً له إن رجع الأحزاب عن المدينة أن يدخل معه حصنه، فأعلنت قريظة نقض العهد، وشاع الخبر بين المسلمين، فخافوا على نسائهم وأطفالهم من بني قريظة. ^(١)

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف؟ قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: من يأت بني قريظة فيأتينني بخبرهم. فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: فذاك أبي وأمي. ^(٢)

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟، فقال الزبير: أنا، ثم قال ﷺ: من يأتينا بخبر القوم؟، فقال الزبير: أنا، ثم قال ﷺ: من يأتينا بخبر القوم؟، فقال الزبير: أنا، ثم قال ﷺ: إن لكل نبي حوارٍ وإن حوارِي الزبير. ^(٣)

وكان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم رضي الله عنه في مائتي رجل، وزيد بن حارثة رضي الله عنه في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير، تخوفاً على الذراري والنساء من بني قريظة، وكان أهل الأطم ما كانوا ينامون إلا عقبا خوفاً من بني قريظة أن يغيروا عليهم. ^(٤)

وقد فوجئت قريش برؤية الخندق، واحتاروا في كيفية اقتحامه، إذ كلما هموا بذلك أمطرهم المسلمون بالسهم، وقد أورد ابن إسحق وابن سعد روايات دون

(١) انظر البداية والنهاية (٤/ ١٠٣) وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٤٤) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٢٩)

(٢) رواه البخاري (٣٧٢٠) ومسلم (٢٤١٦)

(٣) رواه البخاري (٤١١٣) ومسلم (٢٤١٥)

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨٣)

أسانيد تفيد أن بعض المشركين اقتحموا الخندق وذكرنا أسماء خمسة منهم، وأن عليا بارز عمرو بن عبد ود فارس قريش وقتله، وأن الزبير قتل نوفل المخزومي وأن الثلاثة الآخرين فروا إلى معسكرهم. ^(١)

ولكن هجمات المشركين لم تنقطع حتى إن الرسول ﷺ والمسلمين لم يتمكنوا من أداء صلاة العصر - في أحد الأيام - في وقتها بل صلوها بعدما غربت الشمس. ولم تكن صلاة الخوف قد شرعت بعد لأنها إنما شرعت بعد ذلك في غزوة ذات الرقاع.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق، فقال: ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى، حتى غابت الشمس. وهي صلاة العصر. ^(٢)

ورغم طول مدة الحصار فقد استشهد من المسلمين ثمانية ^(٣)، منهم سعد بن معاذ زعيم الأوس، أصيب في أكحله، فضرب له النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، ثم مات بعد غزوة بني قريظة، حيث انتقض جرحه. وكان من خيرة

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٤) والطبقات الكبرى (٢/ ٦٨) وأورد الطبري مبارزة على لعمر بن عبد ود من مرسل الزهري ومراسيله ضعيفة ومن مرسل عكرمة بإسناد رجاله ثقات (تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٤٨ وكنز العمال ١٠/ ٤٥٥). ولكن لا يحتاج لإثبات صحة المبارزة إلى درجة الصحة الحديثية لأن مثل هذه الأخبار تشتهر وتعرف بين الناس، وقد شاهد المعركة ألوف المقاتلين. انتهى من السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢/ ٤٢٩)

وقد أخرج قصة قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عمرو بن ود: الحاكم في المستدرک - رقم الحديث (٤٣٨٥) - وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢٤٨) بدون سند. قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٥٧٧): قصة مبارزة علي رضي الله عنه لعمر بن ود وقتله إياه لا أعرف لها طريقا مسندا صحيحا، وإنما هي من المراسيل والمعاضيل. ولكنها منتشرة في كتب السير ومثل هذا يتساهل في سنده لتواتره.

(٢) رواه البخاري (٦٣٩٦) ومسلم (٦٢٧)

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٣) والطبقات الكبرى (٢/ ٦٨ - ٧٠)

الصحابة وله مناقب كثيرة وتوضيحات عظيمة من أجل قضية الإسلام. وقُتل من المشركين أربعة، فكانت غزوة الخندق أقل الغزوات قتلى رغم كثرة أعداد المشتركين فيها من الجانبين إذ لم يقع التحام مباشر بينهم حيث حال الخندق دون ذلك.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش، يقال له حبان بن العرقة، رماه في الأكلح، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفخ رأسه من الغبار، فقال: وضعت السلاح، والله ما وضعت، اخرج إليهم. قال النبي ﷺ: فأين. فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم: أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم.

قال هشام رضي الله عنه: فأخبرني أبي، عن عائشة: أن سعدا قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك، من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له، حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها، فانفجرت من لبتة، فلم يرعهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار، إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دما، فمات رضي الله عنه. (١)

وكان طول الحصار سببا في إضعاف معنوية الأحزاب، خاصة إن أهداهم لم تكن واحدة، فقريش تريد القضاء على المسلمين لتحرير طرق تجارتها وللانتصار لوثنيتهما، والأعراب يريدون نصرا سريعا لنهب المدينة، ويهود مترددة بحيث لم

تدخل القتال رغم نقضها للعهد خوفا من ترك الأحزاب للحصار وجعلها تقف وحدها وجها لوجه أمام المسلمين فهي تريد رهائن قبل اشتراكها في القتال. وقد ساق ابن إسحق وموسى بن عقبة والواقدي أخبارا وحكايات حول دور نعيم بن مسعود الغطفاني، وأنه كان مسلما جديدا لا تعرف قريش ويهود والأعراب بإسلامه، فقام بزرع الشك بين الأطراف المتحالفة بأمر من رسول الله ﷺ، فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعهم وتنصرف عن الحصار، وقال لقريش بأن يهود إنما تطلب الرهائن لتسليمهما للمسلمين ثمنا لعودتها إلى صلحهم، وهذه الروايات لا تثبت من الناحية الحديثية، ولكنها اشتهرت في كتب السيرة^(١). وهي لا تتنافى مع قواعد السياسة الشرعية فالحرب خدعة.^(٢)

وأيا كان فإن معنوية الأحزاب انهارت لطول الحصار من ناحية ولهبوب العواصف الشديدة الباردة فقد نصر الله المسلمين بريح الصبا. فاقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم ودفنت رجالهم، فنأدى فيهم أبو سفيان بالرحيل. وما نالهم من الغزوة سوى التعب وخسارة النفقات. وقد ثبت ذلك بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]

عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة. فسكتنا، فلم يجبه منا أحد. ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة. فسكتنا، فلم يجبه منا أحد. ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله

(١) ذكر قصة نعيم بن مسعود ابن إسحاق بدون إسناد، وعنه ابن هشام: (٢/ ١٩٣ - ١٩٤) وابن كثير:

البداية والنهاية (٤/ ١١٣)

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٤٣٠)

معني يوم القيامة. فسكتنا، فلم يجبه منا أحد. فقال: قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم. فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تدعهم علي. فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: ولا تدعهم علي. ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيت فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان. ^(١)

وهكذا انفض الأحزاب عن المدينة فتنفس المسلمون الصعداء ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] واستجاب الله لدعاء نبيه خلال الحصار حيث قال ﷺ: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم. ^(٢)

وقد عبر الرسول ﷺ عن الآثار الخطيرة التي ترتبت على فشل الأحزاب في غزوة المدينة رغم ما حشده من طاقاتهم - وهو أقصى ما يستطيعون - بقوله: الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم ^(٣). مما يدل على تغير الاستراتيجية الإسلامية من مرحلة الدفاع عن المدينة إلى مرحلة الهجوم ومما يوضح ذلك أن مسرح الأحداث انتقل من المدينة وما حولها إلى مكة والطائف ثم تبوك بعيدا عن عاصمة الإسلام المدينة المنورة. ^(٤)

ثم أذن الرسول ﷺ للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله

(١) رواه مسلم (١٧٨٨)

(٢) رواه البخاري (٧٤٨٩) ومسلم (١٧٤٢)

(٣) رواه البخاري (٤١١٠)

(٤) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٤٣٢ / ٢)

وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده.

وكانوا قد أقاموا بالخندق محاصرين في شتاء بارد أربعاً وعشرين ليلة فرجعوا مجهودين، ووضعوا السلاح، وكان انصرافهم يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة.^(١)



(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٠٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨٤) وسيرة ابن هشام (٣/

غزوة بني قريظة

قال الناظم وفقه الله:

١٧٤- ثُمَّ قُرِيطَۃَ إِلَهِهُ وَدُ النَّاكِثِينَ لِلْعُهِ وَدُ

١٧٥- ثُمَّ اصْطَفَى رَيْحَانَهُ رَفِيعَةَ الْمَكَانِ هُ

الشرح

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما قريظة، فكانت أشد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ وأغلظهم كفرا، ولذلك جرى عليهم ما لم يجر على إخوانهم من بني قينقاع والنضير. (١)

وكان فتح بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة. (٢)

وكان ذلك لما نكثوا العهد وظاهروا الأحزاب على النبي ﷺ فلما رجع النبي ﷺ من غزوة الخندق نادى في أصحابه لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة. (٣) وأعطى رسول الله ﷺ الراية علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ونازل حصون بني قريظة، وحصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه حيث حكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع

(١) زاد المعاد (٣/ ١١٧)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٩) ومصنف الرزاق (٥/ ٣٦٨ - ٣٧٣) وطبقات ابن سعد (٣/ ٦٥ -

٦٦) وفتح الباري (٧/ ٤١٢ - ٤١٤)

(٣) أخرجه البخاري (٩٤٦) ومسلم (١٧٧٠) من حديث ابن مسعود

سماوات. (١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق، ووضع السلاح، واغتسل أتاه جبريل عليه السلام، فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم. فقال ﷺ: فألى أين؟ " قال: ههنا وأشار إلى قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم. (٢)

فلما وصل النبي ﷺ إلى بني قريظة، حاصرهم خمسا وعشرين ليلة. (٣)

ولما اشتد الحصار وعظم البلاء على بني قريظة، أرادوا الاستسلام والنزول على أن يحكم الرسول ﷺ فيهم، وقد بعث ﷺ أبا لبابة بن عبد المنذر الأوسي - وكانوا حلفاء الأوس - فلما رأوه قاموا في وجهه ليكون رجالهم ونساؤهم، وقالوا: يا أبا لبابة! كيف ترى لنا؟ أننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه - يعني: أنه الذبح، ثم ندم على هذه الكلمة من وقته، فقام مسرعا فلم يرجع إلى رسول الله ﷺ حتى جاء مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف: لا يحلّه إلا رسول الله ﷺ بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبدا. فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك؛ قال: دعوه حتى يتوب الله عليه. وكان من أمره ما كان حتى تاب الله عليه. (٤)

(١) انظر زاد المعاد (١١٧/٣)

(٢) رواه البخاري (٤١١٧)

(٣) وهو قول الجمهور ورجحه الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٥٨٣/٢) وابن حزم في جوامع السيرة (١٩٣)

(٤) **صحيح لغيره:** قال شيخنا المحدث سليم الهلالي حفظه الله: صحيح لغيره - أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٩١٤/٣-٩١٥- ابن هشام) - ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٤/١٥)، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري مرسلا. وللفقرة الثانية - قصة أبي لبابة - شواهد؛ منها عن عائشة: أخرجه أحمد في مسنده (١٤١/٦-١٤٢) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٢١/٣-٤٢٣)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٢٨) بإسناد حسن وله شاهد آخر من مرسل قتادة أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٨٧)، وابن جرير الطبري في جامع البيان (٩/١٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٧٥). وشاهد ثالث من مرسل موسى بن عقبة: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٢/٤-١٤) وهو مرسل صحيح الإسناد. وبالجمل؛ فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم. الصحيح المصنف (ص ٢٣٢).

ولما اشتد الحصار على بني قريظة أذعنوا ورضوا أن ينزلوا على حكم الرسول ﷺ، بالرغم مما أشار إليهم أبو لبابة رضي الله عنه أنه الذبح، فقد قذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم سعد ابن معاذ.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأَنْصار: قوموا إلى سيدكم، أو خيركم. فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك. فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: قضيت بحكم الله، وربما قال: بحكم الملك. ^(١)

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ، فقطعوا أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فحسمه فانتفخت يده فحسمه أخرى، فانتفخت يده، فترفه، فلما رأى ذلك، قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقرر عيني من بني قريظة. فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه، فحكم أن تقتل رجالهم، وتستحيا نساؤهم وذراريهم، ليستعين بهم المسلمون، فقال رسول الله ﷺ: أصبت حكم الله فيهم " وكانوا أربع مئة، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات. ^(٢)

ثم أمر رسول الله ﷺ بالأسارى فجمعوا في دار رملة بنت الحارث امرأة من بني النجار، وقيل: دار أسامة بن زيد.

قال ابن حجر رحمته الله: ويمكن الجمع بينهما بأنهم جعلوا في بيتين. ^(٣)

فلما أخذوا للقتل فرقا يتبع بعضهم بعضا، قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسد: يا

(١) رواه البخاري (٤١٢١) ومسلم (١٧٦٨)

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (٤٧٨٤) والترمذي (١٥٨٢) والنسائي في السنن الكبرى (٨٦٧٩) وأحمد

(١٤٨١٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٨٢) وقال في إرواء الغليل (٣٨/٥): إسناده على

شرط مسلم. وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٢١١)

(٣) فتح الباري (٨/ ١٧٥)

كعب! ما تراه يصنع بنا؟ قال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل، فلم يزل يؤتى بهم جماعات حتى فرغ رسول الله منهم.^(١)

ولم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ما قتل رسول الله ﷺ امرأة قط من بني قريظة إلا امرأة واحدة، والله إنها لعندي تضحك، وإن رسول الله ﷺ ليقتل رجالهم بالسيوف إذ يقول هاتف باسمها: أين فلانة؟ فقالت: أنا والله، قلت: وما شأنك؟، قالت: أقتل والله، قلت: ولم؟، قالت: لحدث أحدثته، فانطلق بها فضرب عنقها.^(٢)

وكان الرسول ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم، وترك من لم ينبت، فكان عطية القرظي ممن لم ينبت، فخلي سبيله وألحق بالسبي.

عن عطية القرظي قال: كنت فيمن حكم فيهم سعد بن معاذ، فشكوا في: أمن الذرية أم من المقاتلة؟ فقال الرسول ﷺ: انظروا، فإن كان أنبت الشعر فاقتلوه، وإلا فلا تقتلوه. ففتشوني، فوجدوني لم أنبت، فخلي سبيلي.^(٣)

وبعد إنفاذ حكم القتل في مقاتلة بني قريظة شرع في تقسيم أموالهم وذرايرهم بين المسلمين وقد اصطفى الرسول ﷺ ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بين السبي لنفسه.

وهي ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قُريظة، اصطفاها

(١) انظر التفاصيل في: سيرة ابن هشام (٣/ ٢٦٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١٩ - ٢٠) والطبقات

الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨٧) والبداية والنهاية (٤/ ٥٠٨) وشرح المواهب (٣/ ٨٦ - ٨٧)

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٤٣٩٠) وأبو داود (٢٦٧١) - وابن إسحاق في السيرة (٣/ ٢٦٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٢٥)

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٤٧٨٠) والترمذي (١٥٨٤) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ١٥٤)

النبي ﷺ لنفسه فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه. ^(١)

وعرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في مالك فهو أخف عليك وعلي. فتركها وقد كانت أولا توقفت عن الإسلام ثم أسلمت، فسر النبي ﷺ بذلك. ^(٢)

(١) انظر تاريخ الطبري (٧/ ١٦٠)

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (سيرة ١/ ٥١٦)

غزوة بني لحيان

قال الناظم وفقه الله:

١٧٦- ثُمَّ مَضَى الْعَدَنَانِي إِلَى بَنِي لَحْيَانِ
١٧٧- غَزَاهُمْ وَعَادَا وَذَاكَ فِي جُمَادَى

الشرح

بنو لحيان هؤلاء هم الذين غدروا بخبيب بن عدي رضي الله عنه وأصحابه يوم الرجيع، ولما كانت ديارهم متوغلة في بلاد الحجاز إلى حدود مكة، ولوجود ثارات بين المسلمين من جهة، وقريش والأعراب من جهة أخرى، رأى رسول الله ﷺ ألا يتوغل في البلاد القريبة من العدو الأكبر والرئيسي قريش، فلما تخاذلت الأحزاب، وانكسرت عزائمهم، رأى أن الوقت قد حان لغزو بني لحيان وأخذ الثأر لأصحاب الرجيع.

وكانت غزوة بني لحيان بعد قريظة بستة أشهر، حيث خرج رسول الله ﷺ في مائتي رجل، وأظهر أنه يريد الشام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران واد من أودية بلادهم، وهو بين أمج - يعرف اليوم باسم خُلَيْص - وعسفان حيث كان مصاب أصحابه - أي من أصحاب الرجيع: عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي ومن كان معهما - فترحم عليهم، ودعا لهم، وسمعت بنو لحيان، فهربوا في رءوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومين بأرضهم، وبعث السرايا، فلم يقدرُوا عليهم، فسار إلى عسفان، فبعث عشرة فوارس إلى كراع الغميم لتسمع به قريش، ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة. ^(١) وفيها شرعت صلاة الخوف صلاها النبي ﷺ بعسفان عند رجوعه ﷺ ومن معه

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٤٧) وانظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢١) والبداية والنهاية (٤/ ٨١)

من غزوة بني لحيان حيث استقبلهم جمع من المشركين على رأسهم خالد بن الوليد، فصلى النبي بأصحابه صلاة الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو أصبنا منهم غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل على رسول الله ﷺ بآية صلاة الخوف. الحديث عند أبي داود وغيره عن أبي عياش الزرقى. قال ابن كثير: وفي سياق حديث أبي عياش الزرقى ما يقتضي أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فافتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها. والله أعلم. ^(١)

وقال ابن القيم رحمه الله: والظاهر أن النبي ﷺ أول صلاة صلاها للخوف بعسفان كما قال أبو عياش الزرقى ^(٢): كنا مع النبي ﷺ بعسفان، فصلى بنا الظهر، وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد، فقالوا: لقد أصبنا منهم غفلة، ثم قالوا: إن لهم صلاة بعد هذه هي أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم، فنزلت صلاة الخوف بين الظهر والعصر، فصلى بنا العصر، ففرقنا فرقتين. وذكر الحديث، رواه أحمد وأهل السنن. وقال أبو هريرة ^(٣): كان رسول الله ﷺ نازلاً بين ضحجان وعسفان محاصراً للمشركين، فقال المشركون: إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأموالهم، أجمعوا أمرهم، ثم ميلوا عليهم ميلة واحدة، فجاء جبريل، فأمره أن يقسم أصحابه نصفين. وذكر الحديث، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ^(٤)

(١) البداية والنهاية (٥ / ٥٥٨)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٢٣٦) والنسائي (١٥٤٩) وأحمد (١٦٥٨٠) باختلاف يسير وقال محققوا المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن أصحابه لم يخرج له سوى أبي داود والنسائي. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٤٥٨) وصحيح أبي داود (١١٢١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٠٧٧٥) والبزار (٩٤٤١) والترمذي (٣٠٣٥) والنسائي (١٩٤٥) وابن حبان (٢٨٧٢) قال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤ / ٤٣٠): حسن صحيح.

(٤) زاد المعاد (٣ / ٢٢٥)

سرية الخطب

قال الناظم وفقه الله:

١٧٨- وَبَعْدَهَا جَيْشُ الْخَبَطِ لِسَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَطُّ

الشرح

الخطب: ما سقط من ورق الشجر بالخطب والنفض. (١)

وسُميت بسرية الخطب لأن الصحابة كانوا يخطون ورق الشجر ويأكلونه كما سيأتي.

وكانت بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار لرصد قافلة لقريش قرب ساحل البحر فأصابهم الجوع حتى أكلوا الخطب، فسمي جيش الخطب، وقد نحروا بعض الإبل ثم نهاهم أبو عبيدة لحاجتهم إليها إذا لقوا عدوهم، فألقى إليهم البحر بحوت عظيمة فأكلوا منها نصف شهر وحملوا بعضها إلى النبي ﷺ فأكل منها.

عن جابر رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرا لقريش، وزودنا جرابا من تمر، لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة تمر. قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخطب (٢) ثم نبله بالماء فنأكله. قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا. قال: فأقمنا عليه شهرا، ونحن ثلاثمائة

(١) انظر النهاية (٢/ ٨)

(٢) قال ابن حجر: الخطب: بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة هو ورق السلم. فتح الباري

حتى سمنا. قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقتطع منه الفدر كالثور، أو كقدر الثور، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال: هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله. ^(١)

ولعل هذه السرية آخر ما أرسل من سرايا وبعوث لتهديد تجارة مكة حيث توقف ذلك تطبيقاً لمعاهدة صلح الحديبية. ^(٢)

والصحيح أن سرية الخطب هذه كانت قبل صلح الحديبية، وليس في رجب سنة ثمان من الهجرة كما ذكر ابن سعد في طبقاته ^(٣) وذلك لثلاثة أسباب:

السبب الأول: أن الرسول ﷺ لم يغز، ولم يبعث سرية في الشهر الحرام.

السبب الثاني: أن رجب سنة ثمان هو ضمن فترة سريان صلح الحديبية.

السبب الثالث: أنه وقع في هذه القصة ذكر القلة والجهد في جيش هذه السرية، والواقع أنهم في سنة ثمان كان حالهم اتسع بفتح خيبر وغيرها، والجهد المذكور في القصة يناسب أنها كانت قبل الحديبية، والله أعلم.

وممن ذهب إلى أن هذه السرية كانت قبل الحديبية: الحافظ ابن حجر، وابن القيم، والذهبي، وابن كثير ^(٤)

(١) رواه البخاري (٥٤٩٤) ومسلم (١٩٣٥)

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢/ ٤٣٣)

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣١٥) وعد الإمام الذهبي رحمه الله تعالى في السيرة (٢/ ١٥٢) ما ذكره ابن سعد زعماء، فقال: زعم بعض الناس أن هذه السرية كانت في رجب سنة ثمان من الهجرة.

(٤) انظر الفتوح (٨/ ٤٠٨) (١١/ ٤٥) وزاد المعاد (٣/ ٣٤٤) السيرة النبوية للذهبي (٢/ ١٥٢) والبداية والنهاية (٤/ ٦٦٩)

غزوة الحديبية وبيعة الرضوان

قال النازم وفقه الله:

١٧٩- ثُمَّ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ صَلَّحَ الشُّرُوطِ الْمُنْكَيَّةِ
١٨٠- وَيَبْعُهُ الرِّضْوَانَ عِنْدَ اخْتِفَاعِ عُثْمَانَ

الشرح

الحديبية اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلاً إلى الشمال الغربي من مكة وتعرف الآن بالشميسي، وفيها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان. وأطرافها تدخل في حدود الحرم المكي ومعظمها من الحِلِّ. وقد سميت الغزوة بها لأن قريشاً منعت المسلمين من دخول مكة وهم في الحديبية. (١)

وقد أجمع أهل العلم أن غزوة الحديبية كانت في يوم الاثنين مستهل ذي القعدة من السنة السادسة. (٢)

خرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجهاً إلى مكة ومعه زوجه أم سلمة رضي الله عنها، وخرج معه ﷺ عدد من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من الأعراب.

وأما عدد من خرج مع النبي ﷺ فقد جاءت الروايات في عددهم على ثلاثة أوجه: فمن قائل إنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة، وكلها في الصحيح.

الأولى أنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة: عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين. (٣)

(١) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (٢/ ٤٣٤)

(٢) قاله النووي: في المجموع (٧/ ٧٨) وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٦٤) وابن حجر في التلخيص

الحبير (٤/ ٩٠)

(٣) أخرجه البخاري (٤١٥٥) ومسلم (١٨٥٧)

الثانية أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة. ^(١)

الثالثة أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: ما لكم. قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. ^(٢)

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله تعالى: والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال: ألفاً وخمسمائة جبر الكسر ومن قال: ألفاً وأربعمائة ألغاه ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء وألفاً وأربعمائة أو أكثر واعتمده النووي. وأما البيهقي فمال إلى الترجيح وقال: إن رواية من قال ألف وأربعمائة أصح..... وأما قول عبد الله بن أبي أوفى ألفاً وثلاثمائة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم والزيادة من الثقة مقبولة أو العدد الذي ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك أو العدد الذي ذكره هو عدد المقاتلة والزيادة عليها من الأتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم. ^(٣)

وقد صلى المسلمون بذئ الحليفة وأحرموا بالعمرة وساقوا الهدى سبعين بدنة، وبعث الرسول ﷺ بسر بن سفيان الخزاعي الكعبي عيناً إلى مكة.

(١) أخرجه البخاري (٤١٥٦) ومسلم (١٨٥٦)

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٢) ومسلم (١٨٥٦)

(٣) فتح الباري (٧/ ٤٤٠ - ٤٤١)

أخرج البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق حديث كل

منهما حديث صاحبه قالاً: خرج رسول الله ﷺ زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذى الحليفة قلد رسول الله ﷺ الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش. ^(١)

ولما بلغ المسلمون الروحاء على بعد ٧٣ كيلا عن المدينة، أرسل أبا قتادة الأنصاري - ولم يكن محرما بالعمرة - مع جمع من الصحابة إلى غيقة على ساحل البحر الأحمر حيث بلغه وجود بعض المشركين الذين يخشى من مباغتتهم للمسلمين، وقد اصطاد لهم أبو قتادة حمارا وحشيا وهم حرم فأكلوا منه ثم شكوا في حل ذلك، فالتقوا بالرسول ﷺ في السقيا على بعد ١٨٠ كيلا عن المدينة فسألوه فأذن لأصحابه بأكل اللحم ما داموا لم يعينوا على صيده.

عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحديبية، فأحرم أصحابه ولم أحرم، فأنبئنا بعدو بغيقة ^(٢)، فتوجهنا نحوهم، فبصر أصحابي بحمار وحش، فجعل بعضهم يضحك إلى بعض، فنظرت فرأيت، فحملت عليه الفرس فطعته فأثبته، فاستعنتهم فأبوا أن يعينوني، فأكلنا منه، ثم لحقت برسول الله ﷺ، وخشنا أن نقتطع، أرفع فرسي شأوا وأسير عليه شأوا، فلقيت رجلا من بني غفار في جوف الليل، فقلت: أين تركت رسول الله ﷺ؟ فقال: تركته بتعهن، وهو قائل السقيا، فلحقت برسول الله ﷺ حتى أتيت، فقلت: يا رسول الله، إن أصحابك أرسلوا يقرؤون عليك السلام ورحمة الله وبركاته، وإنهم قد خشوا أن يقتطعهم العدو دونك فانظرهم، ففعل، فقلت: يا رسول الله، إنا اصدنا حمار وحش، وإن عندنا فاضلة؟ فقال رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري (٤١٧٨)

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤ / ٤٩٢): بغيقة: أي في غيقة وهو بفتح الغين بعدها ياء ساكنة، وهو ماء لبني غفار بين مكة والمدينة.

لأصحابه: كلوا. وهم محرمون. (١)

ومضى المسلمون إلى أن وصلوا عسفان على ثمانين كيلا من مكة فجاءهم بسر بن سفيان الكعبي بخبر قريش وأنها سمعت بمسيرهم، وجمعت لهم الجموع لصدّهم عن دخول مكة، وأن خالد بن الوليد خرج بخيلهم إلى كراع الغميم - على بعد ٦٤ كيلا عن مكة - طليعة، فاستشار النبي أصحابه في أن يغير على ديار الذين ناصروا قريشا واجتمعوا معها ليدعوا قريشا ويعودوا للدفاع عن ديارهم، فقال: أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عنا من المشركين وإلا تركناهم محروبين؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامرا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله. (٢)

ثم إن رسول الله ﷺ تفادى الاصطدام والاشتباك مع خيل المشركين وسار رسول الله ﷺ حتى إذا وصل إلى ثنية المرار قال لأصحابه: من يصعد الثنية، ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل. قال جابر رضي الله عنه: فكان أول من صعدا خيلنا، خيل بني الخزرج. (٣)

وفي هذا المكان في ثنية المرار التي يهبط منها على قريش، بركت القصواء ناقة الرسول ﷺ، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقال الصحابة رضي الله عنهم: خلأت القصواء. فقال رسول الله ﷺ: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرّات الله إلا

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٢) ومسلم (١١٩٦)

(٢) رواه البخاري (٤١٧٨) إلا ما يتعلق بذكر خالد بن الوليد فهو عند أحمد (١٨٩٢٨) وابن حبان

(٤٨٧٢) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ٢٣٠)

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٠)

أعطيتهم إياها. ^(١)

وفي رواية أخرى قال ﷺ: "يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ^(٢)

ثم زجر رسول الله ﷺ ناقته فوثبت، ثم عدل عن دخول مكة، وسار حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش وكان الحر شديدا - فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه. ^(٣)

وفي رواية أخرى عن البراء بن عازب ؓ قال: ... فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأتاها فجلس على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر، فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا، وروت ركائبنا. ^(٤)

قال الحافظ في الفتح: ويمكن الجمع بأن يكون الأمران وقعا معا. ^(٥)

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ؓ أنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: مالكم؟ قالوا: يا رسول الله! ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك، قال: فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قال جابر: فشربنا وتوضأنا، فقل لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. ^(٦)

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري قال جابر ؓ: قد رأيتني مع النبي ﷺ وقد

(١) رواه البخاري (٢٧٣١)

(٢) رواه أحمد (١٨٩١٠) بسند حسن

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١)

(٤) رواه البخاري (٣٥٧٧)

(٥) فتح الباري (٥ / ٦٨٥)

(٦) رواه البخاري (٤١٥٢)

حضرت العصر، وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء، فأتى النبي ﷺ به، فأدخل يده فيه وفرج أصابعه، ثم قال: حي على الوضوء البركة من الله. قال جابر: فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة. فقليل لجابر رضي الله عنه: كم كنتم؟ قال: ألف وأربعمائة. (١)

قال ابن حجر: وهذه القصة غير القصة التي رواها البراء بن عازب رضي الله عنه، فإن حديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك. (٢)

وفي الحديبية أصاب المسلمين مطر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يصلوا في رحالهم، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: "أتدرون ماذا قال ربكم؟. قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: "قال الله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي. (٣)

ولما اطمأن رسول الله ﷺ في منزله أتاه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضررت بهم، فإن شأؤوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني

(١) رواه البخاري (٥٦٣٩)

(٢) فتح الباري (٨/ ٢١٠)

(٣) البخاري (٤١٤٧)

وبين الناس، فإن أظهر: فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينقذن الله أمره. فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، قال: فانطلق حتى أتى قريشا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ. ^(١)

وفي رواية الإمام أحمد في مسنده قال لهم بديل بن ورقاء: يا معشر قريش! إنكم تعجلون على محمد، وإن محمدا لم يأت لقتال، إنما جاء زائرا لهذا البيت، معظما لحقه. فاتهموهم، وقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك، فلا والله لا يدخلها أبدا علينا عنوة، ولا نتحدث بذلك العرب. ^(٢)

وقد سعى الرسول ﷺ لبيان موقفه أمام الناس جميعا، فأرسل رسله تترى إلى قريش يعلنون مقصدهم، فأرسل خراش بن أمية الخزاعي فأرادت قريش قتله لولا أن منعهم الأحابيش. ^(٣)

وأراد أن يرسل عمر بن الخطاب ثم عدل عنه إلى عثمان بن عفان عندما بين عمر شديد عداوته لقريش وأنها تعلم ذلك وأن بني عدي قومه لا يحمنه. ^(٤)

فذهب عثمان إلى قريش، فأجاره أبان بن سعيد بن العاص حتى أبلغهم رسالة النبي ﷺ. وقد سمحت له قريش بالطواف فأبى أن يسبق الرسول ﷺ بالطواف، وقد أخرته قريش فحسب المسلمون أنها قتلتها. ^(٥)

(١) رواه البخاري (٢٧٣١)

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٩١٠) وصححه محققوا المسند

(٣) الخبر في مسند أحمد (١٨٩١٠) وسيرة ابن هشام (٣/ ٣٠٨) وحسنه محققوا المسند.

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق

فدعا رسول الله ﷺ أصحابه للبيعة تحت شجرة سمرة فبايعوه جميعاً سوى الجد ابن قيس - وكان منافقاً. (١)

ويُذكر أن أول من بادر إلى البيعة هو: أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدي.
قال الحافظ في الإصابة: أخرج الحاكم أبو أحمد (٢) من طريق عاصم الأحول عن الشعبي قال: أتاني عامري وأسدي يعني كانا متفاخرين، فقلت: كان لبني أسد ست خصال ما كانت لحى من العرب أول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدي قال: يا رسول الله ابسط يدك أبايك قال: على ماذا؟ قال: على ما في نفسي قال: فتح وشهادة. قال: نعم، فبايعه قال: فخرج الناس يبايعون على بيعة أبي سنان. أخرجه الحسن بن علي الحلواني، ومحمد بن إسحاق والسراج من طرفه عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، وأخرجه ابن مندة من طرق عن عاصم عن زر بن حبیش قال: أول من بايع تحت الشجرة أبو سنان بن وهب. (٣)

(١) رواه مسلم (١٨٥٦)

(٢) في علوم الحديث (ص ١٨٣)

(٣) **ضعيف:** انظر الإصابة (٤ / ٩٦) وهو في مصنف عبد الرزاق (٣٨٥٣٠) بتحقيق الشيخ سعد الشثري وقال معلقاً عليه: أخرجه ابن سعد (٢ / ١٠) وأحمد في الفضائل (١٦٨٩) والعلل (٢ / ٣٣٦) والخلال في السنة (٣٦) وأبو عروبة في الأوائل (٦٥) والدولابي في الكنى (١ / ١١١) والفاكهي في أخبار مكة (٢٨٧) والبيهقي في الدلائل (٤ / ١٣٧) وأبو أحمد الحاكم في علوم الحديث (ص ١٨٣) وابن جرير (٢٦ / ٨٦) وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٣١٥) وابن عساكر (١٠ / ٤٢). قلت: وجاء عند الطبراني في الأوسط (٢١١٩) بلفظ: دعا رسول الله ﷺ يوم الحديبية الناس للبيعة، فجاء أبو سنان بن محصن، فقال: يا رسول الله، أبايك على ما في نفسك قال: «وما في نفسي؟» قال: أضرب بسيفي بين يديك حتى يظهر لك الله أو أقتل، فبايعه، وبايع الناس على بيعة أبي سنان. وقال عقبه: لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، ولا عن محمد إلا عبد العزيز بن عمران، تفرد به: يعقوب بن محمد. قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو متروك. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦ / ١٤٦)

ثم تتابع الأصحاب وقد أثنى الرسول ﷺ على موقف الصحابة ومبادرتهم إلى البيعة، فقال: أنتم خير أهل الأرض. ^(١) وقال: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها. ^(٢) ولما كان عثمان محبوبا في قريش فقد قال النبي ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان. ^(٣) فعد في المبايعين تحت الشجرة، ولكن عثمان رجع إلى المسلمين بعد بيعة الرضوان مباشرة. ^(٤)

وأرسلت قريش عدداً من الرسل للتفاوض، أولهم عروة بن مسعود الثقفي، وقد لاحظ تعظيم المسلمين للرسول ﷺ وحبهم له وتفانيهم في طاعته، فلما رجع إلى قريش قال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً. ^(٥)

ثم أرسلت قريش الحليس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش، فلما رآه الرسول ﷺ مقبلاً طلب من أصحابه أن يظهروا أمامه الإبل المشعرة، وأن يلبوا أمامه لأنه من قوم يعظمون ذلك، فلما رأى ذلك رجع إلى قريش، فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت. ^(٦) فقالوا: أجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك. ^(٧)

ثم أرسلت قريش مكرز بن حفص وأعقبته بسهيل بن عمرو فقال النبي ﷺ متفائلاً: لقد

(١) رواه البخاري (٤١٥٤)

(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦)

(٣) رواه البخاري (٤٠٦٦)

(٤) انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٤٤٠ / ٢)

(٥) رواه البخاري (٢٧٣١)

(٦) رواه البخاري (٢٧٣١)

(٧) رواه أحمد (٣٢٤ / ٤) بإسناد حسن

سهل لكم أمركم. وقال: لقد أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل. وكانت قریش قد ألزمت سهيل بن عمرو ألا يكون في صلحه إلا أن يرجع المسلمون دون عمرة في ذلك العام. وقد جرت مفاوضة طويلة بين الرسول ﷺ وسهيل بن عمرو وانتهت إلى عقد صلح الحديبية. ^(١)

والحديث بنصه في البخاري من حديث المسور بن مخرمة وفيه:..فقام رجل منهم، يقال له مكرز ابن حفص، فقال: دعوني آتية، فقالوا: آتته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: هذا مكرز، وهو رجل فاجر. فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب، عن عكرمة: أنه لما جاء سهيل بن عمرو: قال النبي ﷺ: لقد سهل لكم من أمركم. قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم. قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: اكتب باسمك اللهم. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتوني، اكتب: محمد بن عبد الله. قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألونني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. فقال له النبي ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به. فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء

مسلمًا، فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد. قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا، قال النبي ﷺ: فأجزه لي. قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله. قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتكم أنا تأتية العام. قال: قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقا، قال بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق؟ قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به، قال: بلى، أفأخبركم أنك تأتية العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، أخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيلحقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا

فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ غَمًا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَسَّأَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠]. فطُلِقَ عَمْرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةٍ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ، رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَا ذَا الْحَلِيفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فَلَانَ جِيدًا، فَاسْتَلَهُ الْآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجِيدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَمَكَّنَهُ مِنْهُ، فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: لَقَدْ رَأَى هَذَا ذَعْرًا. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَتَلَ وَاللَّهُ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ: فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهُ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ نَجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَيْلَ أُمِّهِ، مَسْعَرُ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سِيرَدَهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ، قَالَ: وَينفَلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم: لما أرسل: فمن آتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأَنْزَلَ اللَّهُ

تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الفتح: ٢٤-٢٦]﴾. وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا أنه نبي الله، ولم يقرأوا باسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت. (١)

وقد تم الاتفاق على الأمور التالية:

على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض. على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم، ومن أتى قريشا ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه.
وأن يبيننا عيبة مكفوفة. (٢)
وأنه لا إسلال ولا إغلال. (٣)
وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.
فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده.

(١) رواه البخاري (٢٧٣٢)

(٢) أي بينهم صدر نقي من الغل والخداع مطوي على الوفاء بالصلح. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٢٧

(٣) الإسلال السرقة، وقيل سل السيوف، والأغلال: الخيانة وقيل لبس الدروع (النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٩٢، ٣٨٠)

وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

وأنتك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك. وأقمت فيها ثلاث معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب. ^(١)

وقد رد النبي ﷺ كل من جاءه من الرجال بعد إبرام الصلح إلا النساء وكان ممن جاء منهن أم كلثوم بنت أبي معيط رضي الله عنها.

عن عروة بن الزبير: أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما: يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ، قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ، كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه. فكره المؤمنون ذلك وامتنعوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً، وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلك يرجعها إليهم، لما أنزل الله فيهن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]. ^(٢)

وهكذا وقعت الهدنة لمدة عشر سنوات، على ألا يدخل المسلمون مكة إلا بعد مرور عام فيقيموا بها ثلاثة أيام معهم السيوف مغمودة فقط، ولا يقوم الطرفان بأي

(١) مسند أحمد (٤/ ٣٢٥) من طريق ابن إسحق بإسناد حسن حيث صرح بالسماع في سيرة ابن هشام

(٣/ ٣٠٨) انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٤٤٣)

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٤)

أعمال دعائية أو عدوانية، ويجوز للطرفين التحالف مع القبائل العربية على قدم المساواة، ويلتزم المسلمون برد المسلمين الفارين من قريش إليها، ولا تلتزم قريش برد المسلمين الفارين إليها.

والواقع أن المسلمين تدمروا من هذه الاتفاقية وضاقوا بها ذرعا، خاصة بعد أن جرت التعديلات على الصياغة الإسلامية للعقد، فقد اعتذر علي بن أبي طالب عن مسح كلمة رسول الله فأخذ الرسول ﷺ الكتاب فكتب ما أراد سهيل بن عمرو. وغضب المسلمون لرد المسلمين الفارين من قريش إليها فقالوا: "يا رسول الله تكتب هذا؟ قال: نعم. إنه من ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا. (١)

وقد سبق في حديث المسور بن مخرمة غضب عمر بن الخطاب ﷺ من هذا ومراجعة النبي ﷺ في ذلك. وكان عمر ﷺ يراجع الرسول ﷺ ليقف على الحكمة من موافقته على شروط الصلح، وكان يرغب في إذلال المشركين فجميع ما صدر منه كان معذورا فيه بل هو مأجور لأنه مجتهد فيه. (٢)

وكان المسلمون لا يشكون في دخول مكة فلما جرى الصلح تألموا حتى كادوا أن يهلكوا وخاصة عندما أعيد أبو جندل وهو يستنجد بهم ويقول: يا معشر المسلمين أتروذنني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني والرسول ﷺ يقول: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله عز وجل جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا. وكان عمر يمشي بجانب أبي جندل يغريه بأبيه ويقرب إليه سيفه، لكن أبا جندل لم يفعل فأعيد. (٣)

(١) رواه مسلم (١٧٨٤)

(٢) انظر فتح الباري ٥ / (٣٤٦ - ٣٤٧)

(٣) مسند أحمد (٤ / ٣٢٥) بإسناد حسن. انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢ / ٤٤٥)

ويلاحظ أن قريشا لم تكف عن التحرش بالمسلمين خلال المفاوضات لكتابة الصلح بل وبعد إنجازه، وسواء أكان ذلك بعلم قادتها للضغط على المسلمين خلال المفاوضات، أم هو من تصرفات شبابها الطائشين، وقد احتمل المسلمين ذلك بانضباط دقيق، فقد أراد ثمانون رجلا من أهل مكة أخذ معسكر المسلمين غرة فأسروا وعفا عنهم الرسول ﷺ فأطلقهم.

فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ضمن حديث طويل قال: ... أتيت شجرة فمسحت شوكة، واضطجعت في أصلها، فأتاني أربعة من أهل مكة من المشركين، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ، فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا. فبينما هم كذلك، إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم قال: فاخترطت سيفي ثم شددت على هؤلاء الأربعة، وهم رقود، فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثا في يدي. قال: ثم قلت: والذي كرم وجهه محمد! لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ. قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ، على فرس مجفف في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: دعوهم. يكن لهم بدء الفجور وثناه. فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].^(١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلما، فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].^(٢)

(١) رواه البخاري (٢٤٨٤) ومسلم (١٧٢٩)

(٢) رواه مسلم (١٨٠٨)

وخرج على معسكر المسلمين ثلاثون شابا من قريش أثناء كتابة الصلح فأسرهم المسلمون، وأطلق سراحهم النبي ﷺ.

عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله عز وجل في القرآن، وكان يقع في أغصان الشجرة على ظهر النبي ﷺ، وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وأنا رسول الله، فكتب فينما نحن كذلك فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله أبصارهم، فقمنا إليهم، فقال رسول الله ﷺ: هل جئتم في عهد أحد وهل جعل لكم أمانا؟ قالوا: لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] ^(١)

ولما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب، قال لأصحابه: قوموا، فانحروا ثم احلقوا.

فما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس. قالت رضي الله عنها: يا رسول الله! أتحب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك، فيحلقك، فخرج رسول الله ﷺ فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه خراش بن أمية رضي الله عنه فحلق رأسه الشريفة، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما. ^(٢)

ثم دعا رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثا، وللمقصرين مرة.

(١) صحيح: أخرجه أحمد في المسند: (١٦٨٠٠) والحاكم: (٣٧١٦) وصححه. والنسائي في الكبرى (١١٤٤٧) وقال الهيثمي في: مجمع الزوائد: (٦/ ١٤٥) رجاله رجال الصحيح وأورده الحافظ في الفتح (٥/ ٣٥١) مختصرا، وقال: إسناده صحيح. وصححه محققو المسند.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق رجال يوم الحديبية، وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله المحلقين، قالوا: يا رسول الله والمقصرين، قال: يرحم الله المحلقين، قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال ﷺ: والمقصرين، قالوا: فما بال المحلقين يا رسول الله ظهرت لهم الترحم؟ قال: لم يشكوا. ^(١)

قال الإمام الطحاوي رحمته الله تعالى: فكان في هذا الحديث تفضيل المحلقين على المقصرين؛ لأنهم لم يشكوا، فكان في ذلك إثبات الشك على المقصرين، فقال قائل: وما كان شك المقصرين في ذلك؟ لأنه كان في قلوبهم أنهم رأوا رسول الله ﷺ خلق في غير موضع الحلق الذي كانوا يعلمون الحلق فيه، ويقفون عليه من شريعته، وقد كان يجب عليهم أن يكون اقتداؤهم واتباعهم له ﷺ فيما رأوه يفعل به أوثق في قلوبهم مما تقدم علمهم له منه قبل ذلك، وكانوا بذلك مقصرين في الواجب له عليهم ﷺ في ذلك، وكان الحالقون فاعلين لما يجب عليهم من امتثال فعله ﷺ، وترك التخلف عن القدوة به، ففضلوا بذلك من تخلف عن مثله، لا لفضل في الحلق على التقصير. ^(٢)

ثم نحر الصحابة رضي الله عنهم الهدى، فكانت البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة. ^(٣)

وقد نحر الرسول ﷺ جملاً كان لأبي جهل غنمه المسلمون ببدر ليغيظ بذلك

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه (٣٠٤٥) وأحمد (٣٣١١) باختلاف يسير والطحاوي في شرح معاني الآثار

(٤١٤١) وصححه العيني في نخب الأفكار (٢٣٢/١٠) وأحمد شاكر في تخريج المسند (١٠٧/٥)

ومحققوا المسند. وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٢٨٥/٤)

(٢) شرح مشكل الآثار (٣/٣٩٣)

(٣) رواه مسلم (١٣١٨)

المشركين. (١)

وفي عمرة الحديبية أنزل الله تعالى آية الفدية في شأن كعب بن عجرة رضي الله عنه، وذلك بسبب هوام رأسه.

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية، ونحن محرمون، وقد حصرنا المشركون، قال: وكانت لي وفرة، فجعلت الهوام تساقط من رأسي، فمر بي النبي ﷺ فقال: أيؤذيك هوام رأسك؟ قلت: نعم. وأنزلت هذه الآية ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]. (٢)

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد أن أقام بالحديبية نحو عشرين يوماً (٣)، فلما وصل الرسول ﷺ إلى كراع الغميم بين مكة والمدينة، وقيل: بضجنان (٤)، نزلت عليه سورة الفتح.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من الحديبية... وكان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي اشتد ذلك عليه، وعرفنا ذاك فيه، قال: فتنحى متبذاً خلفنا، فجعل يغطي رأسه بثوبه، ويشد ذلك عليه، حتى عرفنا أنه قد أنزل عليه، فأتانا، فأخبرنا أنه قد أنزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] (٥)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: نزلت على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية:

(١) حسن: أخرجه أبو داود (١٧٤٩) وابن ماجه (٣١٠٠) وأحمد (٢٠٧٩) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٤٩) وفي هداية الرواة (٢٥٧٢)

(٢) أخرجه البخاري (٤١٩١) ومسلم (١٢٠١) باختلاف يسير

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٩٨)

(٤) ضجنان: بفتح الضاد وسكون الجيم هو موضع، وقيل: اسم جبل بين مكة والمدينة. انظر النهاية (٣/

٦٩)

(٥) صحيح: قال الألباني في إرواء الغليل (٢٩٣/ ١) إسناده صحيح أخرجه أبو داود (٤٤٧) باختلاف يسير، وأحمد (٣٧١٠) مطولاً

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-
 ٢]، وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين نسكهم، ونحروا الهدى
 بالحديبية، فقال النبي ﷺ: لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا، فقرأها
 نبي الله ﷺ عليهم، فقال رجل من القوم: هنيئا مريئا يا رسول الله، قد بين الله عز وجل
 لنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿يُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ
 فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]. فبين الله عز وجل ما يفعل بنبيه ﷺ، وماذا يفعل بهم. (١)

فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح غامر، وأدركوا أنهم لا يمكن أن
 يحيطوا بالأسباب والنتائج، وأن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كل الخير لهم ولدعوة
 الإسلام. (٢)

ولما نزلت سورة الفتح أرسل رسول الله ﷺ إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقرأها
 عليه.

عن سهل بن حنيف رضى الله عنه أنه قال: ... فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح،
 فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه. فقال عمر رضى الله عنه: يا رسول الله! أوفتح هو؟ فقال ﷺ: نعم.
 فطابت نفسه رضى الله عنه ورجع. (٣)

وكانت الحديبية أعظم فتح في الإسلام.

قال ابن القيم: فصل في الإشارة إلى بعض الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة، وهي
 أكبر وأجل من أن يحيط بها إلا الله تعالى الذي أحكم أسبابها، ف وقعت الغاية على

(١) رواه مسلم (١٧٨٦)

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢/ ٤٤٩)

(٣) رواه البخارى ومسلم (١٧٨٥)

الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده. ^(١)

وقال الطحاوي في شرح مشكل الآثار: أجمع الناس أن الفتح المذكور في الآية التي تلونها ^(٢) هو ما كان من أمر الحديبية من الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة ما كان سببا لفتحها. ^(٣)

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. ^(٤)

وقال الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك. قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بستين في عشرة آلاف. ^(٥)

وقد استمرت هدنة الحديبية نحو سبعة عشر أو ثمانية عشر شهراً، ثم نقضت قريش الهدنة حيث أعانت حلفاءها بني بكر ضد خزاعة حلفاء المسلمين على ماء الوثير قريبا من مكة، فاستنصرت خزاعة بالمسلمين، وبذلك بطلت المعاهدة، وكان ذلك سببا مباشرا لفتح مكة. ^(٦)

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٧٥)

(٢) أي قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]

(٣) شرح مشكل الآثار (١٤/ ٤٧٧)

(٤) رواه البخاري (٤١٥٠)

(٥) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٢٢)

(٦) انظر البداية والنهاية (٤/ ٢٧٨)

إصابة الرسول ﷺ من سحريهود

من الأحداث التي وقعت في زمن صلح الحديبية إصابة النبي ﷺ بالسحر. وذلك لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل شهر المحرم جاءت رؤساء من اليهود من الذين بقوا بالمدينة ممن يظهرون الإسلام إلى لبيد بن الأعصم من بني زريق، وكان ساحرا قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسحر، فقالوا له: يا أبا الأعصم! أنت أسحر منا، وقد سحرنا محمد فسحر منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئا، وأنت ترى أثره فينا وخلافه ديننا، ومن قتل منا وأجلى، ونحن نجعل لك على ذلك. (١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخیل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي - أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان. قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: يا عائشة، والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين. قالت: فقلت: يا رسول الله، أفلا أحرقتة؟ قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شرا، فأمرت بها فدفنت. (٢)

(١) انظر طبقات ابن سعد (٢/ ١٧٦)

(٢) رواه البخاري (٥٤٣٠) ومسلم (٢١٨٩) واللفظ له

قال القاضي عياض: اعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدر في نبوته. وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدر في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروءه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفضل الحديث الآخر من قوله: حتى يخيل إليه أني يأتي أهله ولا يأتيهن. وقد قال سفيان: هذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خير منها أنه نقبل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة، هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحنا من معني كلامهم وزدناه بيانا. ^(١)

رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء

قال الناظم وفقه الله:

- ١٨١- وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرْسَلَا إِلَى الْمُلُوكِ الرُّسُلَا
١٨٢- وَنَالَ فِي الْهَدْيِ عَنْهُ مَارِيَةً الْقَبْطِيَّةَ
١٨٣- لَهُ مِنْهَا الْكَرِيمُ الْإِبْنُ بْنُ رَاهِيْمٍ

الشرح

اختلف في زمن إرسال رسول الله ﷺ الكتب إلى الملوك والأمراء، فعند ابن سعد: أن رسول الله ﷺ كتب إليهم في المحرم سنة سبع من الهجرة. (١)
ولم يحدد ابن إسحاق تاريخاً محدداً لإرسال الكتب، بل جعل ذلك ما بين الحديبية ووفاته ﷺ. واستدرك عليه ابن هشام في تهذيبه على سيرة ابن إسحاق فقال: بأن إرساله ﷺ الكتب للملوك كان بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية. (٢)
بينما جعل الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى في أعقاب غزوة تبوك في العام التاسع الهجري. (٣)

قال ابن حجر رحمه الله: وفي إيراد هذا الحديث -أي حديث إرسال الرسول ﷺ الكتاب لكسرى- آخر هذا الباب إشارة إلى أن إرسال الكتب إلى الملوك كان في سنة غزوة تبوك، ولكن لا يدفع ذلك قول من قال: إنه كاتب الملوك في سنة الهدنة كقيصر، والجمع بين القولين أنه كاتب قيصر مرتين، وهذه المرة الثانية قد وقع التصريح بها في

(١) انظر الطبقات (١/ ١٢٥)

(٢) انظر السيرة لابن هشام (٤/ ٢٦٢)

(٣) صحيح البخاري (٨/ ٤٦٩)

مسند الإمام أحمد،^(١) وكاتب النجاشي الذي أسلم وصلى عليه لما مات، ثم كاتب النجاشي الذي ولي بعده وكان كافراً، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: كتب النبي ﷺ إلى كل جبار يدعوهم إلى الله، وسمى منهم: كسرى، وقيصر، والنجاشي، قال: وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ.^(٢)

وقد أرسل النبي ﷺ دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وعبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى، وعمر بن أمية الضمري إلى نجاشي الحيشة، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس حاكم مصر، وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي في اليمامة. كان ذلك عقب عودته ﷺ من الحديبية وقد أرخ ابن سعد إرسالهم وهم ستة رسل في يوم واحد في المحرم سنة سبع.^(٣)

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى.^(٤)

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الملوك والأمراء، قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا وعليه خاتم، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس من الأعاجم، ف قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة نقشه: محمد رسول الله.^(٥)

فكان الخاتم في يد رسول الله ﷺ، ثم في يد أبي بكر رضي الله عنه بعده، ثم في يد عمر رضي الله عنه

(١) رقم الحديث (١٥٦٥٥)

(٢) رواه مسلم (١٧٧٤) انظر الفتح (٨ / ٤٧٣)

(٣) طبقات ابن سعد (١ / ١٥ / ٢) وتابعه ابن القيم في زاد المعاد (١ / ٣٠) وانظر تاريخ الطبري (٢ / ٢٢٨)

وسيرة ابن هشام (٤ / ٢٧٩)

(٤) رواه مسلم (١٧٧٤)

(٥) رواه البخاري (٥٨٧٢) ومسلم (٢٠٩٢)

بعد أبي بكر رضي الله عنه، ثم كان في يد عثمان رضي الله عنه بعد عمر رضي الله عنه ست سنين، فلما كان في الست الباقي كان معه على بئر أريس، فحرك خاتم رسول الله ﷺ في يده فوقع في البئر، فطلبه عثمان رضي الله عنه ومن كان معه ثلاثة أيام، فلم يقدر عليه. ^(١)

قال الحافظ في الفتح: والذي يظهر أنه إنما بالغ عثمان رضي الله عنه في التفتيش على الخاتم لكونه أثر النبي ﷺ قد لبسه واستعمله وختم به، ومثل ذلك يساوي في العادة قدرا عظيما من المال، وإلا لو كان غير خاتم النبي ﷺ لاكتفى بطلبه بدون ذلك، وبالضرورة يعلم أن قدر المؤنة التي حصلت في الأيام الثلاثة تزيد على قيمة الخاتم لكن اقتضت صفته عظيم قدره فلا يقاس عليه كل ما ضاع من يسير المال. ^(٢)

وقد أهدى المقوقس حاكم مصر النبي ﷺ مارية القبطية وأختها سيرين. ^(٣)

روى الطحاوي في شرح مشكل الآثار بسند حسن عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال:

أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية - يعني بكتابه معه إليه - فقبل كتابه، وأكرم حاطبا، وأحسن نزله، ثم سرحه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة شهباء بسرجهما، وجاريتين إحداهما: أم إبراهيم، وأما الأخرى، فوهبها لجهم بن قيس العبدي رضي الله عنه، وهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر. ^(٤)

ومارية القبطية هي مولاة رسول الله ﷺ وأم ولده إبراهيم، وهي مارية بنت شمعون، وتوفيت مارية في خلافة عمر بن الخطاب، وذلك في المحرم من سنة ست عشرة، وصلى عليها عمر، ودفنت بالبقيع. ^(٥)

(١) رواه البخاري (٥٨٦٦)

(٢) فتح الباري (١١ / ٥١٧)

(٣) انظر تفاصيل ذلك في: الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ١٢٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٤ / ٣٩٥ - ٣٩٦)

(٤) صححه شعيب الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار (٤٣٤٩)

(٥) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ / ١٩١٢)

غزوة ذي قرد أو الغابة

قال الناظم وفقه الله:

١٨٤- وَبَعْدَهَا ذِي قَرْدٍ عَنْدَ فِرَارِ الْمُعْتَرِدِي

الشرح

ذي قرد: بفتح القاف والراء: ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. ^(١)
وتسمى كذلك هذه الغزوة باسم: غزوة الغابة وهي موضع على بريد - البريد مسافة معلومة قدرت بفرسخين، والفرسخ: ثلاثة أميال - من المدينة في طريق الشام، أضيفت إليها الغزوة؛ لأن اللقاح - وهي الإبل - التي أغير عليها كانت بها. ^(٢)
وكانت هذه الغزوة قبل غزوة خيبر بثلاثة أيام كما جاء في الصحيحين، وهو الصحيح.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية، وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازي والسير، فذكروا أنها كانت قبل الحديبية، والدليل على صحة ما قلناه ما رواه الإمام أحمد ^(٣) والحسن بن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا هاشم بن القاسم، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثني إياس بن سلمة عن أبيه، قال: قدمت المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ قال: خرجت أنا ورباح بفرس لطلحة أنديه مع الإبل، فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ فقتل راعيها، وساق القصة رواها مسلم ^(٤) في صحيحه بطولها. ووهم عبد المؤمن بن

(١) انظر النهاية (٤/ ٣٣)

(٢) انظر شرح المواهب (٣/ ١٠٩) ولسان العرب (١/ ٣٦٧) ومعجم البلدان (٦/ ٣٧٣)

(٣) برقم (١٦٥٣٩)

(٤) برقم (١٦٤١) وسيأتي معنا

خلف في سيرته في ذلك وهما بينا، فذكر غزاة بني لحيان بعد قريظة بستة أشهر، ثم قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لم يمكث إلا ليالي حتى أغار عبد الرحمن بن عيينة، وذكر القصة. والذي أغار عبد الرحمن، وقيل: أبوه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، فأين هذا من قول سلمة قدمت المدينة زمن الحديبية؟^(١)

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: بعد أن ساق حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: فعلى هذا ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكره أهل السير.^(٢) وهذا ترجيح ابن كثير، والبيهقي.^(٣)

وذهب أهل المغازي والسير إلى أنها كانت قبل الحديبية^(٤) وما في الصحيح أصح.

وهذه الغزوة هي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بعد الحديبية، وكان بطل هذه الغزوة سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكان سببها: أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة ترعى بالغابة، وكان عليها رجل من غفار ومعه امرأته، فأغار عليهم عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري، فقتلوا الرجل وأسروا امرأته، واستاقوا اللقاح.

عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه: في حديث طويل وفيه: ... ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فنزلنا منزلاً بيننا وبين بني لحيان جبل، وهم المشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة، كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه، قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً، ثم قدمنا المدينة، فبعث رسول الله ﷺ

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٥٠)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٦١)

(٣) انظر البداية والنهاية (٤/ ٥٤١) والدلائل للبيهقي (٤/ ١٧٨)

(٤) انظر طبقات بن سعد (٢/ ٢٨٩)

بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ، فاستاقه أجمع، وقتل راعيه، قال: فقلت: يا رباح، خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال: ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثا: يا صباحاه! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل، وأرتجز أقول: أنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع. فألحق رجلا منهم، فأصك سهما في رحله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه. قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع قال: فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها، ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل، فجعلت أرميهم بالحجارة، قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، وخلصوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا، يستخفون ولا يطر حون شيئا إلا جعلت عليه أراما من الحجارة، يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى أتوا متضايقا من ثنية، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتضحون (يعني يتغدون) وجلست على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح، والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا. قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إلي منهم أربعة في الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجهه محمد ﷺ لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظن، قال: فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود

الكندي، قال: فأخذت بعنان الأخرم قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم احذرهم، لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، فطعنه فقتله، فوالذي كرم وجهه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له: ذو قرد، ليشربوا منه، وهم عطاش، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم، فخليتهم عنه (يعني: أجليتهم عنه)، فما ذاقوا منه قطرة، قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية، قال: فأعدو، فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نغص كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع ... واليوم يوم الرضع. قال: يا ثكلته أمه، أكوعه بكرة، قال: قلت: نعم يا عدو نفسه، أكوعك بكرة، قال: وأردوا فرسين على ثنية، قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ، قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي خلितهم عنه، فإذا رسول الله ﷺ، قد أخذ تلك الإبل، وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، قال: قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: يا سلمة، أترأك كنت فاعلاً؟ قلت: نعم، والذي أكرمك، فقال: إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان، قال: فجاء رجل من غطفان، فقال: نحر لهم فلان جزورا، فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا، فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا، قال رسول الله ﷺ: كان خير فرساننا اليوم أبو

قتادة، وخير رجالتنا سلمة. قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين؛ سهم الفارس وسهم الراجل، فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، قال: فبينما نحن نسير قال، وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ. قال: قلت: يا رسول الله، بأبي وأمي ذرني فلاسابق الرجل، قال: إن شئت. قال: قلت: اذهب إليك، وثبت رجلي، فطفرت فعدوت، قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين، أستبقي نفسي، ثم عدوت في إثره فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعت حتى ألحقه، قال فأصكه بين كتفيه، قال: قلت: قد سبقت والله، قال: أنا أظن، قال: فسبقتني إلى المدينة، قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خير مع رسول الله ﷺ. ^(١)

وقد أسرت في هذه الغزوة امرأة واستطاعت أن تفلت من وثاقها، فأنت الإبل، فجعلت كلما دنت إلى بعير رغا فتركه، حتى انتهت إلى العضباء ناقة الرسول ﷺ، فلم ترغ، ثم ركبتها ووجهتها قبل المدينة، ونذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء، ناقة رسول الله ﷺ، فقالت: إنها نذرت، إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فأتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فقال ﷺ: سبحان الله! بئسما جزتها، أو قال: بئسما جزيتها، لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم. ^(٢)

(١) رواه مسلم (٢٧٥٢)

(٢) رواه مسلم (١٦٤١)

قصة عكل وعرينة

قال الناظم وفقه الله:

١٨٥- وَبَعْدَ ذَا عُرَيْنَةَ عَكْلُ الْمَاهِيَةِ

الشرح

قال ابن حجر رحمته الله: عكل بضم العين وإسكان الكاف قبيلة من ثيم الرباب. وعرينة بضم العين مصغرا حي من قبيلة بجيلة. ^(١)

قال الحرصي: وكانت بعد ذي قرد بستة أشهر وذكرها البخاري قبلها. ^(٢)
وذكر الحافظ بن حجر أن بعض أهل المغازي يرى أن قصة العرنيين متحدة مع غزوة ذي قرد، ورجَّح خلاف ذلك. ^(٣)

وممن ذهب إلى أنها كانت بعد غزوة ذي قرد أكرم العمري حيث قال: وبعد غزوة ذي قرد قدم رجال من قبيلتي عكل وعرينة إلى المدينة معلنين إسلامهم، ثم طلبوا أن يسكنوا الريف لأنهم يستوخمون المدينة، فأمر لهم الرسول ﷺ بنياق وراع فخرجوا إلى الحرة فارتدوا وقتلوا الراعي وأخذوا النياق، فأرسل إليهم بعثا فجاءوه بهم حيث سمرت أعينهم وقطعت أيديهم وتركوا في حرة حتى ماتوا. وقد نهى النبي ﷺ عن المثلة بعدها. ^(٤)

وذهب أكثر المؤرخين إلى أنها كانت في شوال من سنة ست للهجرة أي قبل الحديبية.

(١) الفتح (١/ ٤٤٩)

(٢) بهجة المحافل وبغية الأماثل (١/ ٣٣٢)

(٣) انظر فتح الباري (٧/ ٤٦٠)

(٤) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٤٦١)

وقصتهم ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه: إن ناسا من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ، وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا، حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذود، فبلغ النبي ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم، فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم.

وفي رواية مسلم: أن نفرا من عكل، ثمانية، قدموا على رسول الله ﷺ، فبايعوه على الإسلام، فاستوخموا الأرض، وسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: ألا تخرجون مع راعينا في إبله، فتصيرون من أبوالها وألبانها؛ فقالوا: بلى، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها، فصحوا، فقتلوا الراعي وطرّدوا الإبل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث في آثارهم، فأدركوا فجيء بهم، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسمروا أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا. ^(١)

غزوة خيبر

قال الناظم وفقه الله:

١٨٦- وَبَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرٍ كَأَنَّ مَجْرِيَّ جُفَى

الشرح

وكان فتح خيبر في المحرم من السنة السابعة، وهو قول الجمهور ورجحه ابن إسحاق ووافقه ابن شهاب، وابن حجر، وابن كثير، وابن القيم. (١)

ويؤيده ما جاء في حديث سلمة بن الأكوع أنها كانت بعد غزوة ذي قرد بثلاث ليال كما جاء في نص الحديث بقوله قال فسبقته إلى المدينة. قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ. (٢)

وخيبر واحدة زراعية تقع شمال المدينة المنورة وتبعد عنها بحوالي ١٦٥ كم. (٣) ولم يظهر يهود خيبر العداء للمسلمين حتى نزل فيهم زعماء بني النضير، الذين حز في نفوسهم إجلاؤهم عن ديارهم، ولم يكن الإجماع كافياً لكسر شوكتهم، فقد غادروا المدينة ومعهم النساء والأبناء والأموال وخلفهم القيان يضربن الدفوف والمزامير بزهاء وفخر مأرئي مثله في حي من الناس في زمانهم. وكان من أبرز زعماء بني النضير الذين نزلوا في خيبر سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب فلما نزلوا دان لهم أهلها. (٤)

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ١٣٠) وفتح الباري (٧/ ٤٦٤) والبداية والنهاية (٤/ ٥٧٠) وزاد المعاد (٣/ ٣٧٦)

(٢) رواه مسلم (١٨٠٧)

(٣) انظر السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (١/ ٣١٨)

(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٧٢)

وكان أول تحرّك قوي ما حدث في غزوة الأحزاب حيث كان لخير وعلى رأسها زعماء بني النضير دور كبير في حشد قريش والأعراب ضد المسلمين وتسخير أموالهم في ذلك، ثم سعيهم الناجح في إقناع بني قريظة بالغدر والتعاون مع الأحزاب.^(١)

فتجهز رسول الله ﷺ لغزو خير وفتحها، وكان الله سبحانه وتعالى، قد وعد رسوله ﷺ عند انصرافه من الحديبية بفتحها، فقال سبحانه: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] قال المفسرون في الوعد الذي في هذه الآية: هي خير.^(٢)

ولما تجهز رسول الله ﷺ جاءه المخلفون عنه في غزوة الحديبية يريدون الخروج معه رجاء الغنيمة، فلم يأذن لأحد منهم، قال الله تعالى عنهم: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُخْشَدُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥]

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مخبرا عن الأعراب الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة الحديبية، إذ ذهب النبي ﷺ وأصحابه إلى خير يفتتحونها: أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله رسوله ﷺ ألا يأذن لهم في ذلك، معاقبة لهم من جنس ذنبهم. فإن الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خير وحدهم لا يشركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعا وقدرًا؛ ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٣) وقد نقل ذلك عن أئمة السيرة جامعا لأسانيدهم وفيها راو مجهول وهي معلولة بالإرسال لكنها مما يتساهل فيها من الأخبار ولا يشترط لقبولها بلوغ درجة الصحة الحديثية.

انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ٣١٩)

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤١) وتفسير القرطبي (١٩/ ٣٢٠)

كَلَّمَ اللَّهُ^(١)واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** أنه قدم المدينة في رهط من قومه، والنبى ﷺ بخير، وقد استخلف سباع ابن عرفطة على المدينة قال: فانتهيت إليه، وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بكهيعص، وفي الثانية ويل للمطففين قال: فقلت لنفسي: ويل لفلان إذا اكتال! اكتال بالوافي، وإذا قال قال بالناقص، قال: فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خير، قال فكلّم رسول الله ﷺ المسلمين فأشركونا في سهامهم^(٣).

ولما توجه المسلمون بقيادة المصطفى ﷺ **إلى خير كانوا يكبرون ويهللون رافعين أصواتهم فطلب منهم أن يرفقوا بأنفسهم قائلاً:** إنكم تدعون سمعياً قريباً وهو معكم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه **قال:** لما غزا رسول الله ﷺ خير، أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ، أشرف الناس على واد، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سمعياً قريباً، وهو معكم. وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس. قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة. قلت: بلى يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله^(٣).

(١) انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٧) وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٠٣)

(٢) **صحيح:** أخرجه الحاكم (٢٢٧٥) وأحمد (٨٥٥٢) واللفظ له، والطيالسي (٢٧١٣) وابن خزيمة (١٠٣٩) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٥٦٣٦) والبزار (٨١٤٢) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٠٩٣) باختلاف يسير قال ابن كثير في الأحكام الكبير (٣/ ١٥٤) إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٢٢) رجاله رجال الصحيح. وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند لشاكر (٢٢٩/ ١٦) ومحققوا المسند (٨٥٥٢)

(٣) رواه البخاري (٤٢٠٥)

وفي الطريق كان عامر بن الأكوع عم سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يحدوا وكان رضي الله عنه شاعراً.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: "خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأغفر فداء لك ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقيين سكينه علينا إنا إذا صيح بنا أبينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع، قال: ي رحم الله. قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به ^(١)

وفي رواية لمسلم: فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ قال: أنا عامر، قال: غفر لك ربك. قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب، وهو على جملة: يا نبي الله؟ لولا ما متعتنا بعامر. ^(٢)

وسار النبي ﷺ حتى اقترب من خيبر ليلاً، فبات هو وأصحابه قريباً منها، وكان رسول ﷺ إذا أتى قوماً بليل لم يغر عليهم حتى يصبح، فلما أصبح صلي الفجر بغلس، وركب هو وأصحابه، فأتى خيبر.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ غزا خيبر قال: فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله ﷺ، وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي

(١) رواه البخاري (٤١٩٦) ومسلم (١٨٠٢)

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٧)

الله ﷺ في زقاق خيبر، وإن ركبتني لتمس فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: الله أكبر! خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. قالها ثلاث مرار. قال: وقد خرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمد - قال عبد العزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس، قال: وأصبتها عنوة. رواه مسلم ^(١)

وجاء في البخاري بلفظ: إن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقر بهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. ^(٢)

وشن المسلمون هجومهم على الحصون المشيدة، فبدأت تتداعى تحت وطأتهم حصناً بعد حصن، ودافع اليهود عنها دفاع المستميت، فإن خيبر أخصب أرضهم وأمنع بقاعهم.

ولما بدأ الحصار يمتد؛ وبنو إسرائيل إذا سقطت لهم قلعة تمسكوا بأخرى، قال رسول الله ﷺ: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يا رسول الله هو يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم. فخرج مرحب وهو يقول:

(١) رواه مسلم (١٣٦٥)

(٢) رواه البخاري (٤١٩٧)

أنا الذي سمتني أمي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز إليه علي وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدر كليث غابات كربه المنظره
أوفيههم بالصاع كيل السندره
فضرب مرحبا ففلق هامته، وكان الفتحة. ^(١)

وتشبت اليهود بما بقي من حصونهم، يذودون عنها ذياذ اليائسين، وشدد المسلمون عليهم الحصار، يريدون الانتهاء من هذا القتال مسرعين، فقد أجهداهم الجوع وضاق بهم المقام، وأصيب كثير منهم بعزل شتى لرداءة الجو ووخامة المستنقعات. فخرجوا واشتبكوا مع المسلمين في صراع شديد، استشهد فيه عدد من المسلمين بعد أن مهدوا الطريق لسقوط الحصن، ويسمى حصن (الزبير) وهو نهاية سلسلة من القلاع تسمى (النطاة)، استولى المسلمون عليها جميعا بعد ما دخلوا حصون (ناعم)، و (الصعب)، و (الوطيح)، و (السلالم). ^(٢)

فلما اشتد عليهم الحصار وأيقنوا بالهلاك نزلوا على الصلح.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى مقرهم، فغلب على الأرض والنخل والزرع، فصالحوه على أن يجلوا منها، ولهم ما حملت ركا بهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء، والحلقة، ويخرجون منها. فاشتراط عليهم أن لا يكتموا شيئا، ولا يغيبوا شيئا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة فغيبوا مسكا لحبي بن أخطب، وقد كان قتل قبل خيبر. وكان احتمله معه يوم بني النضير

(١) رواه مسلم (١٨٠٧)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤٣٨ / ٣)

حين أجليت النضير، فيه جلبهم قال: فقال لسعية أين مسك حيي بن أخطب؟ قال: أذهبتة الحروب والنفقات. قال: العهد قريب، والمال أكثر من ذلك. فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير، فمسه بعذاب، وقد كان قبل ذلك دخل خربة، فقال: قد رأيت حيا يطوف في خربة ها هنا. فذهبوا فطافوا، فوجدوا المسك في الخربة. فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق - وأحدهما زوج صفية - بالنكت الذي نكثوا. (١)

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يخرج أهل خير من أرضهم كما صالحوه، سألوه أن يقرهم فيها على أن يعملوا على نصف ما خرج منها من الثمر والزرع، فقالوا له: يا محمد! دعنا نكن في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم وأمر لها. ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك على أن يكفوا المسلمين العمل ولهم نصف الثمر.

عن ابن عباس، أن النبي ﷺ حين افتتح خير، اشترط عليهم أن له الأرض، وكل صفراء وبيضاء؛ يعني الذهب والفضة، وقال له أهل خير: نحن أعلم بالأرض، فأعطناها على أن نعملها ويكون لنا نصف الثمرة ولكم نصفها، فزعم أنه أعطاهم على ذلك، فلما كان حين يصرم النخل، بعث إليهم ابن رواحة، فحزر النخل، وهو الذي يدعونه أهل المدينة الخرص، فقال: في ذا كذا وكذا، فقالوا أكثرت علينا يا ابن رواحة، فقال: فأنا أحزر النخل وأعطيك نصف الذي قلت. قال: فقالوا: هذا الحق، وبه تقوم السماء والأرض. فقالوا: قد رضينا أن نأخذ بالذي قلت. (٢)

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٠٠٦) وابن حبان (٥١٩٩) والبيهقي (١١٩٦٠) وقال الألباني في صحيح أبي داود (٣٠٠٦): إسناده حسن. وقال في تحقيق فقه السيرة (ص ٣٤٥): حديث صحيح، أخرجه البيهقي في سننه: ٩ / ١٣٧، عن ابن عمر بسند صحيح، وكذلك رواه أبو داود: ٢ / ٣٨.

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (١٨٢٠) وأبو داود (٣٤١٠) اختلافاً يسيراً، وأحمد (٢٢٥٥) مختصراً بنحوه وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤١٠) وصحيح ابن ماجه (١٤٨٥) وفي إرواء الغليل

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها. وكانت الأرض -لما ظهر عليها- لليهود وللرسول وللمسلمين. فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر. فقال رسول الله ﷺ: نترككم على ذلك ما شئنا. فأقروا، حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحاء. ^(١)

وسبى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، وكانت تحت كنانة بن أبي الحقيق، وسيأتي زواج الرسول ﷺ بها. ثم قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر بين أهل الحديبية؛ لأن الله تعالى كان وعدهم إياها.

وقد قسم الرسول ﷺ أرض خيبر إلى نصفين، نصف لما ينزل به من النوائب والوفود ونصف للمسلمين من أهل الحديبية، وبلغ عدد الأسهم كلها ستة وثلاثين سهما منها ثمانية عشر سهما، قسمت على أهل الحديبية، وكان الجيش ألفا وخمسمائة فيهم ثلاثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين والراجل سهما.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفارس سهمين وللراجل سهما، قال: فسره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم. ^(٢)

وعن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين نصفاً لنوائبه

(١) رواه البخاري (٣١٥٢) ومسلم (١٥٥١)

(٢) رواه البخاري (٤٢٢٨) ومسلم (١٧٦٢) باختلاف يسير

وحاجته، ونصفا بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سهما. ^(١)

وفي رواية أبي داود عن رجال من أصحاب النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خير قسمها على ستة وثلاثين سهما... فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك، وعزل النصف الباقي لمن نزل به من الوفود، والأمور، ونوائب الناس. ^(٢)

قال البيهقي في دلائله: وهذا لأن خير فتح شطرها عنوة، وشطرها صلحا، فقسم ما فتح عنوة بين أهل الخمس والغنمين، وعزل ما فتح صلحا لنوائبه وما يحتاج إليه من أمور المسلمين. ^(٣)

ولقد استغنى المسلمون بفتح خير، فقد روي الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ما شبعنا حتى فتحنا خير. ^(٤)

وروي الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما فتحت خير قلنا: الآن نشبع من التمر. ^(٥)

قال الحافظ في الفتح: أي لكثرة ما فيها من النخيل، إشارة إلى أنهم كانوا قبل فتحها في قلة من العيش. ^(٦)

وفي هذه الغزوة خرج رجل من المسلمين وقاتل قتالا شديدا، فأعجب به الصحابة رضي الله عنهم، فقال رسول الله ﷺ: إنه من أهل النار.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٠١٠) والبيهقي (١٣٢٠٣) واللفظ لهما، والطبراني (١٠٢/٦) (٥٦٣٤) باختلاف يسير وصححه العيني في نخب الأفكار (٣٥٦/١٢) والألباني في صحيح أبي داود (٣٠١٠) والوادعي في الصحيح المسند (٤٦٠)

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٠١٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٠١٢)

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٤/٢٣٦)

(٤) رواه البخاري (٤٢٤٣)

(٥) رواه البخاري (٤٢٤٢)

(٦) فتح الباري (٨/٢٨٠)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال الرسول ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام: هذا من أهل النار"، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال، حتى كثرت به الجراحة، فأثبتته، فكاد بعض الناس يرتاب، فينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها سهمًا فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله صدق الله حديثك، قد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال قم فأذن، إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. ^(١)



(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٢) ورواه مسلم (١١١) بلفظ شهدنا مع رسول الله ﷺ حنينًا. قال القاضي عياض: وقوله في حديث أبي هريرة: شهدنا مع رسول الله ﷺ حنينًا كذا وقعت الرواية فيها عن عبد الرزاق في الأم، هـ قد رواه الذهلي "خير" وهو الصواب. إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٩٣). وقال العلامة الإثيوبي رحمته الله: (قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ حنينًا) أي غزوة حنين، كذا وقع هنا وعند "أبي نعيم" في "مستخرجه على صحيح مسلم" بلفظ "شهدنا حنينًا"، ووقع عند البخاري من "طريق شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري"، بلفظ "شهدنا خيبر"، وهو الذي عند "أبي عوانة" في "مسنده المستخرج على صحيح مسلم"، وهو الصواب، كما قاله القاضي عياض رحمته الله تعالى. قال في "الفتح": قوله: "شهدنا خيبر" أراد جيشها من المسلمين؛ لأن الثابت أن أبا هريرة رضي الله عنه إنما جاء بعد أن فتحت خيبر، ووقع عند الواقدي أنه قدم بعد فتح معظم خيبر، فحضر فتح آخرها، ولا يعارضه ما ثبت في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ، وهو بخيبر، بعدما افتتحها؛ لإمكان الحمل على معنى بعدما افتتح معظمها، والله تعالى أعلم.

[تنبيه:] نسب بعضهم الوهم في ذكر حنين إلى عبد الرزاق، وهو غير صحيح؛ لأنه وقع في "مصنفه" على الصواب بلفظ خيبر، ودونك نصه: (٩٥٧٣) "عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، أو قال: لما كان رسول الله ﷺ بخيبر، قال لرجل... الحديث. فتبين بهذا أن الخطأ ليس من عبد الرزاق، والله تعالى أعلم. انتهى من البحر المحيط الشجاف في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٣/ ٣٣٦)

قدوم جعفر عليه السلام من الحبشة

ووافق فتح خبير قدوم جعفر بن أبي طالب ومن معه من المهاجرين إلى الحبشة. وقد سر رسول الله ﷺ أيما سرور لمجيء هؤلاء الصحابة الكرام. وعند ما حلوا بالمدينة قال رسول الله ﷺ مبتهجا: والله ما أدري بأيهما أفرح؟! بفتح خبير أم بقدوم جعفر.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ من خبير قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة، فقال رسول الله ﷺ: والله ما أدري بأيهما أنا أفرح، بفتح خبير، أم بقدوم جعفر. ^(١)

وقدم مع مهاجري الحبشة الأشعريون، وكانوا ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا، فيهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وقد أشركهم النبي ﷺ في مغانم خبير مع أهل الحديبية ولم يقسم لأحد غيرهم معهم. فإن الله جعل خبير مكافأة سخية لمن ساروا إلى مكة، وبايعوا على الموت تحت شجرة الرضوان.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه -أنا وأخوان لي أنا أصغرهم: أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي، فركبنا سفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خبير، فأسهم لنا، أو قال: فأعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خبير منها شيئا، إلا لمن شهد

(١) حسن: رواه الحاكم (٤٣٠١) وقال صحيح الإسناد وأخرجه مطولا ابن أبي شيبه (٣٢٨٧٠) باختلاف يسير، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٤٦/٤) وحسنه الألباني في فقه السيرة (ص ٣٤٧)

معه، إلا أصحاب سفيتتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم ^(١)
وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الإمام أحمد في مسنده والطحاوي في شرح
مشكل الآثار، ولفظه: ما شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنما قط إلا قسم لي، إلا خير،
فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة. ^(٢)
فإسناده ضعيف، ومع ضعف إسناده، منكر المتن لمخالفته لما صح من حديث
أبي موسى الأشعري المتقدم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم لهم، وهم لم يشهدوا خير.

(١) رواه البخاري (٣١٣٦) ومسلم (٢٥٠٢)

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (١٠٩١٢) واللفظ له، والطحاوي في مشكل الآثار (٢٩١١) والدارمي (٢٤٧٤) والطيالسي (٢٥٩٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨/٦): فيه علي بن يزيد وهو سيء الحفظ. وقال ابن المنذر في الأوسط (٣٧٥/٦): لا أحسبه يثبت.

في أعقاب غزوة خيبر

وضع السم للنبي ﷺ في الشاة التي قدمت له هدية

قال النازم وفقه الله:

١٨٧- وَوَضَعُوا السُّمَّ لَهُ فِي الشَّاةِ كَيْ يَقْتُلَهُ

الشرح

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لي من ها هنا من اليهود. فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: كذبتكم بل أبوكم فلان فقالوا: صدقت وبررت. فقال: هل أنتم صادقوني عن شيء إن أنا سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبتكم عرفنا عرفته في أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا. ثم قال لهم: هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم، فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذابا أن نستريح منك، وإن كنت نبيا لم يضرنا. ^(١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، قالت: أردت لأقتلك،

فقال: ما كان ليسلطك على ذلك، أو علي، قال: قالوا: ألا تقتلها، قال: لا، فما زالت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ. (١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم. (٢)

قال القاضي عياض رحمه الله: اختلفت الآثار واختلف العلماء، هل قتلها رسول الله ﷺ أم لا؟ فذكرها هنا ما تقدم، ومثله عن أبي هريرة من رواية ابن وهب وجابر، وذكر عنه في رواية أبي سلمة أنه قتلها. وفي رواية ابن عباس: أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء، وكان أكل منها فمات، فقتلوها. وقال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتلها. قال القاضي: وجه الجمع عندي - والله أعلم - أنه لم يقتلها أولاً لما فعلته من السم إذ اطلع عليه، وأشار عليه من حضر بقتلها فقال: لا. فلما مات بشر بن البراء من ذلك السم، وكان أكل منها أسلمها - كما قال في الحديث - لأولياءه فقتلوها. فهو قول من قال: قتلها. (٣)



(١) رواه مسلم (٢١٩٠) والبخاري (٢٦١٧) باختلاف يسير

(٢) رواه البخاري (٤٤٢٨)

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٩٣-٩٤)

سبي صفية بنت حبي وزواج النبي ﷺ منها

قال الناظم وفقه الله:

١٨٨- ثُمَّ اضْطَفَى صَفِيَّةَ الْبَرَّةِ النَّفِيَّةَ

الشرح

هي صَفِيَّةُ بِنْتُ حُبَيْبٍ بْنِ أَخْطَبَ بْنِ سَعِيَّةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ بْنِ النَّضِيرِ بْنِ النَّحَّامِ بْنِ يَنْحُومٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سِبْطِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ، وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ سَمُوَالٍ أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير وكانت صفية تزوجها سَلَامٌ بْنُ مِشْكَمٍ الْقُرْظِيُّ ثُمَّ فارقها فترجّوها كنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيقِ النَّضْرِيِّ فقتل عنها يوم خيبر. (١)

وتوفيت صفية سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وقُبرَتْ بالبقيع. (٢)

وكانت ﷺ قد رأت رؤيا قبل مجيء النبي ﷺ خيبر.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كان بعيني صفية خضرة فقال لها النبي ﷺ: ما هذه الخضرة بعينيك، قالت: قلت لزوجي إني رأيت فيما يرى النائم كان قمرا وقع في حجري، فلطمني، وقال: أتريدين ملك يثرب، قالت: وما كان أبغض إلي من رسول الله ﷺ قتل أبي وزوجي، فما زال يعتذر إلي، وقال: يا صفية أن أباك ألب علي العرب، وفعل، وفعل، وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي. (٣)

(١) الطبقات الكبرى (١٠ / ١١٧)

(٢) الإصابة لابن حجر (٧ / ٦٥٨)

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٠٠٦) وابن حبان (٥١٩٩) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٧٦٥) والبيهقي (١١٩٦٠) وقال لهيثمي، مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٤): رجاله رجال الصحيح. والحديث في

فلما فتحت خير وأمر بجمع السبايا، جاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، إلى الرسول ﷺ، فقال له: يا نبي الله أعطني جارية من السبي، فقال ﷺ: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حبي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك فقال رسول الله ﷺ: أدعوه بها. فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال لدحية: خذ جارية من السبي غيرها. وعرض عليها الرسول ﷺ الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها، وجعل عتاقها صداقها. ^(١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدمنا خير، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حبي بن أخطب وقد قتل زوجها، وكانت عروسا، فاصطفاه رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها، حتى بلغنا سد الصهباء، حلت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال لي: آذن من حولك. فكانت تلك وليمة على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيه فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب. ^(٢) وكان مهرها عتاقها.

عن أنس رضي الله عنه قال: سبى النبي ﷺ صفية، فأعتقها، وتزوجها، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسها فأعتقها. ^(٣)



الصحيحة (٢٧٩٣) للعلامة الألباني رحمته الله

(١) أخرج ذلك البخاري (٣٧١) ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري (٤٢١١)

(٣) رواه البخاري (٤٢٠١)

تحريم المتعة ولحم الحمر الإنسانية

قال النازم وفقه الله:

١٨٩- وَحُرِّمَ التَّمَتُّعُ وَلَحْمُ حُمُرٍ مُنْعُوا

الشرح

كان أثناء حصار خيبر قد أصاب المسلمين مجاعة شديدة، فذبحوا حمرا من حمر الإنس، وأوقدوا النيران، وطبخوا لحومها في القدور، فلما علم الرسول ﷺ بذلك حرمها عليهم، وأمرهم أن يكفؤوا القدور، ولا يأكلوها، وحرم عليهم أيضا لحوم البغال، وكل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطيور، وحرم أيضا المجثمة^(١)، والخلصة^(٢)، والنهبة، وحرم عليهم المتعة.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه قال: أصابتنا مجاعة يوم خيبر، ونحن مع رسول الله ﷺ، وقد أصبنا للقوم حمرا خارجة من المدينة، فنحرناها، فإن قدورنا لتغلي، إذ نادى منادي الرسول ﷺ: "أَنْ أَكْفُؤُوا الْقَدُورَ، وَلَا تَطْعَمُوا مِنْ لَحُومِ الْحَمْرِ شَيْئًا."^(٣)

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: أمرنا النبي ﷺ في غزوة خيبر أن نلقي الحمر الأهلية نيئة ونضيجة، ثم لم يأمرنا بأكله بعد.^(٤)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم خيبر، أصاب الناس مجاعة، فأخذوا الحمر الإنسانية، فذبحوها وملؤوا منها القدور، فبلغ ذلك نبي الله ﷺ، قال جابر: فأمرنا رسول الله ﷺ فكفأنا القدور، فقال: "إِنَّ اللَّهَ سَيَأْتِيكُمْ بِرِزْقٍ هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَا،

(١) المجثمة: بضم الميم وتشديد الثاء: هي كل حيوان ينصب ويرمى للقتل. انظر النهاية (١/ ٢٣٢)

(٢) الخلصة: بضم الخاء: هي ما يستخلص من السبع فيموت قبل أن يذكى، من خلست الشيء واختلسته إذا سلبته. انظر النهاية (٢/ ٥٨)

(٣) رواه البخاري (٤٢٢٠) ومسلم (١٩٣٧)

(٤) رواه البخاري (٤٢٢٦) ومسلم (١٩٣٨)

وأطيب من ذا"، قال: فكفأنا يومئذ القدور وهي تغلي، فحرم رسول الله ﷺ يومئذ الحمر الإنسية ولحوم البغال، وكل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطيور، وحرم المجثمة، والخلصة، والنهية. ^(١)

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خير، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية. ^(٢)

قال ابن كثير: وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خير وهو مشكل من وجهين؛ أحدهما، أن يوم خير لم يكن ثم نساء يتمتعون بهن؛ إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسبأ عن نكاح المتعة. الثاني، أنه قد ثبت في "صحيح مسلم" ^(٣) عن الربيع بن سبرة بن معبد، عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ أذن لهم في المتعة زمن الفتح، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها، وقال: إن الله قد حرمها إلى يوم القيامة. فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها، ثم حرمت، فيلزم النسخ مرتين، وهو بعيد. ^(٤)

وقال ابن القيم: واختلف هل نهى عنها يوم خير؟ على قولين، والصحيح: أن النهي عنها إنما كان عام الفتح، وأن النهي يوم خير إنما كان عن الحمر الأهلية، وإنما قال علي لابن عباس: إن رسول الله ﷺ نهى يوم خير عن متعة النساء، ونهى عن الحمر الأهلية. محتجا عليه في المسألتين، فظن بعض الرواة أن التقييد بيوم خير راجع إلى الفصلين، فرواه بالمعنى، ثم أفرد بعضهم أحد الفصلين وقيده بيوم خير. ^(٥)

(١) أخرجه الترمذي (١٤٧٨) مختصراً، وأحمد (١٤٤٦٣) واللفظ له قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠/٥): رجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني عمر بن حفص السدوسي وهو ثقة. وذكره الألباني

في الصحيحة تحت حديث رقم (١٦٧٣) وصححه

(٢) رواه البخاري (٤٢١٦) ومسلم (١٤٠٧)

(٣) برقم (١٤٠٦)

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٢٨٢)

(٥) زاد المعاد (٥/ ١٥٧)

زواج النبي ﷺ من أم حبيبة

قال الناظم وفقه الله:

- ١٩٠- وَخِطْبَةُ الْعَدْنَانِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ
١٩١- وَكَانَ قَدْ أَمَّهَرَهَا وَلِلنَّبِيِّ سَيِّرَهَا
١٩٢- خَيْرُ الْمُلُوكِ أَصْحَمَهُ ذُو السَّيْرِ الْمُكْرَمَهُ

الشرح

قال ابن القيم رحمه الله: وتزوج أم حبيبة. واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية. وقيل: اسمها هند. تزوجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمئة دينار، وسقت إليه من هنالك. وماتت في أيام أخيها معاوية. هذا المعروف المتواتر عند أهل السير والتواريخ، وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكة، ولحفصة بالمدينة، ولصفية بعد خير. وأما حديث عكرمة بن عمار، عن أبي زميل، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ: أسألك ثلاثاً، فأعطاه إياهن، منها: وعندي أجمل العرب أم حبيبة أزوجك إياها. ^(١) فهذا الحديث غلط ظاهر لا خفاء به. قال أبو محمد بن حزم: وهو موضوع بلا شك، كذبه عكرمة بن عمار. قال ابن الجوزي في هذا الحديث في كشف المشكل ^(٢): هو وهم من بعض الرواة لا شك فيه ولا تردّد، وقد اتهموا به عكرمة بن عمار، لأن أهل التاريخ أجمعوا على أن أم حبيبة كانت تحت عبيد الله بن جحش، وولدت له، وهاجر بها وهما مسلمان إلى أرض الحبشة. ثم تنصّر، وثبتت أم حبيبة على إسلامها، فبعث رسول الله ﷺ إلى

(١) أخرجه مسلم (٢٥٠١)

(٢) (٤٦٣ - ٤٦٤)

النجاشي يخطبها عليه، فزوجه إياها وأصدقها عن رسول الله ﷺ صدقاً، وذلك في سنة سبع من الهجرة. وجاء أبو سفيان في زمن الهدنة، فدخل عليها، فثنت فراش رسول الله ﷺ حتى لا يجلس عليه^(١). ولا خلاف أن أبا سفيان ومعاوية أسلما في فتح مكة سنة ثمان. وأيضاً في هذا الحديث أنه قال له: وتؤمّري حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين؟، فقال: نعم. ولا يُعرف أن رسول الله ﷺ أمّر أبا سفيان البتة.^(٢)

وحديث ابن عباس الذي فيه قول أبي سفيان: وعندي أجمل العرب أمّ حبيبة أزوجك إياها.. ذكر ابن القيم في تهذيب السنن^(٣) أن هذا الحديث ردّه جماعة من الحفاظ وعدّوه من الأغلاط في كتاب مسلم، وبين أنه غلط لا ينبغي التردّد فيه. وقد أفاض القول فيه في جلاء الأفهام^(٤) وقال: الصواب أن الحديث غير محفوظ، بل وقع فيه تخليط. وهو عند شيخ الإسلام من المواضع المتقدّمة بلا ريب في صحيح مسلم.^(٥) وحكم عليه الذهبي بأنه منكر.^(٦)

عن أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، وكان رحل إلى النجاشي، فمات، وإن رسول الله ﷺ تزوج أم حبيبة، وإنها لبأرض الحبشة، زوجها إياه النجاشي، وأمهرها أربعة آلاف من عنده، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجهازها كله من عند النجاشي، ولم يرسل إليها رسول الله

(١) قال الألباني: ضعيف، رواه ابن إسحاق بدون إسناد، كما في سيرة ابن هشام: (٢/ ٢٦٥) وابن جرير:

(٢/ ٣٢٥ - ٣٢٦). انظر فقه السيرة للغزالي بتحقيق الألباني (ص ٣٧٥)

(٢) زاد المعاد (١/ ٩٩ - ١٠٠)

(٣) (١/ ٤٣٠)

(٤) (ص ٢٧٢ - ٢٨٦)

(٥) انظر: منهاج السنة (٧/ ٢١٦)

(٦) انظر ميزان الاعتدال (٣/ ٩٣) وتحقيق زاد المعاد ط عطاءات العلم (١/ ٩٩)

بشيء (١)

وقول الناظم:

خَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ أَضْحَمُهُ ذُو السَّيْرِ الْمُكْرَمُهُ

عن جابر رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: مات اليوم رجل صالح،
فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة. (٢)

قال القاضي عياض: وأصحمة: عطية - بالعريية. (٣)



(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٧٤٠٨) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٦١) والنسائي في السنن

الكبرى (٥٤٨٦) وأبو داود (٢١٠٧) وأورده ابن الأثير في جامع الأصول (٨٩٤٩) وصححه الألباني

في صحيح أبي داود (٢١٠٧)

(٢) رواه البخاري (٣٨٧٧)

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٦٠٩)

فَتْحُ فَدَكْ

قال الناظم وفقه الله:

١٩٣- وَبَعْدَهَا فَتُحُ فَدَكُ أَخْرَزَهَا مِنْ دُونِ شَكْ

الشرح

قال ابن حزم رحمته الله: ولما اتصل بأهل فدك ما فعل رسول الله ﷺ بأهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله ﷺ ليؤمنهم، ويتركوا الأموال. فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، فكانت مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فلم تقسم لذلك، ووضعها ﷺ حيث أمره ربه تعالى. ^(١)

وتقع فدك في منطقة الحجاز على بعد ١٦٠ كيلومتراً من المدينة، وكانت في صدر الإسلام تضم المزارع والبساتين وعيون المياه وهي لا زالت كذلك.



(١) جوامع السيرة (ص ٢١٨) وانظر سيرة ابن هشام (٣/ ٣٦٨) وتاريخ الطبري (٣/ ٩٨) وفتوح البلدان (٣٦) والإمتاع (٣٣١)

حصار وادي القرى

قال النازم وفقه الله:

١٩٤- ثُمَّ إِلَى وَادِي الْقُرَى غَدَرَهُ مُتَصِرًا

الشرح

وادي القرى: هو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى. (١)

قال ابن حزم رحمه الله: انصرف رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى، فأصيب بها غلام اسمه مدعم، أصابه سهم غرب فقتله، فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم، تشتعل عليه الآن نارًا»؛ أو كما قال ﷺ، فافتتحها عنوة وقسمها. (٢)

وحديث صاحب الشملة في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: افتتحنا خيبر، ولم نغنم ذهبًا أو فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، ومعه عبد له يقال له مدعم، أهده له أحد بني الضباب، فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر، حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس: هنيئًا له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: بل، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارًا. فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو بشراكين، فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله ﷺ: شراك، - أو شراكان - من نار. (٣)

(١) انظر معجم البلدان (٨ / ٤٣٣)

(٢) جوامع السيرة (ص ٢١٨) وانظر تاريخ الطبري (٣ / ٩١) وفتوح البلدان: (٤١) وابن سيد الناس (٢ / ١٤٣)

والداية لابن كثير (٤ / ٢١٢) وزاد المعاد (٢ / ٣٥٤)

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥)

ثم عباً رسول الله ﷺ أصحابه للقتال، وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه، وراية إلى الحباب بن المنذر رضي الله عنه، وراية إلى سهل بن حنيف رضي الله عنه، وراية إلى عباد بن بشر رضي الله عنه، ثم دعاهم إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله. فرفضوا ذلك وأبوا إلا القتال، فبرز رجل منهم، فخرج له الزبير بن العوام رضي الله عنه فقتله، ثم برز آخر، فبرز له علي رضي الله عنه فقتله، ثم برز منهم رجل ثالث، فخرج له أبو دجانة رضي الله عنه فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً، كلما قتل منهم رجل دعا رسول الله ﷺ من بقي إلى الإسلام، ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي رسول الله ﷺ بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله، ولكنهم أبوا ذلك، فلم ترتفع الشمس لمغيها حتى أعطوا ما بأيديهم، وفتحها رسول الله ﷺ عنوة، وغنمه الله تعالى أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً. وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه هناك، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر، وولى رسول الله ﷺ عليهم عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنه.^(١)



(١) انظر السيرة النبوية للذهبي (٢/ ٩٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٧٠) وشرح المواهب (٣/ ٣٠١) والبداية والنهاية (٤/ ٦٠٨)

مصالحة يهود تيماء

قال الناظم وفقه الله:

١٩٥- وَصَّالَحَتْ تَيْمَاءُ لِنَحْ فَظَ الْمَدْمَاءِ

الشرح

قال أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله ﷺ فذكروا وادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم بأموالهم. (١)

وتيماء حالياً إحدى مدن السعودية وتقع بالتحديد بين المدينة المنورة ومدينة تبوك وهي تابعة لمنطقة تبوك إدارياً تبعد حوالي ٢٦٥ كم شرقي مدينة تبوك وتبعد حوالي ٤٠٠ كم شمال المدينة.

(١) دلائل النبوة (٤ / ٢٧١) وانظر عيون الأثر لابن سيد الناس (٢ / ١٨٨) وزاد المعاد (٣ / ٤٢٧)

عودة النبي ﷺ إلى المدينة وما حصل في ذلك من الأحداث

انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة منصوراً مؤيداً من الله سبحانه وتعالى، وكانت مدة غيبته نحواً من شهر، وفي طريق عودته حدثت أحداث منها:

فوات صلاة الفجر:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال اكلاً لنا الليل. فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه. فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس. فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ففزع رسول الله ﷺ فقال: أي بلال فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله بنفسك، قال: اقتادوا. فاقتادوا وراحلهم شيئاً، ثم توضأ رسول الله ﷺ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].^(١)

سقوط الرسول ﷺ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من خيبر، وإني لرديف أبي طلحة وهو يسير، وبعض نساء رسول الله ﷺ رديف رسول الله ﷺ، إذ عثرت الناقة، فقلت: المرأة، فنزلت، فقال رسول الله ﷺ: إنها أمكم. فشددت الرحل وركب رسول الله ﷺ، فلما دنا، أو: رأى المدينة قال: آيئون تائبون عابدون، لربنا حامدون.^(٢)

وفي لفظ أحمد: أقبلنا من خيبر أنا وأبو طلحة ورسول الله ﷺ وصفية رديفته،

(١) رواه مسلم (٦٨٠)

(٢) رواه البخاري (٥٦٢٣) ومسلم (١٣٤٥) وهذا لفظ البخاري

قال: فعثرت ناقة رسول الله ﷺ، فصرع رسول الله ﷺ، وصرعت صفيه، قال: فاقتحم أبو طلحة فقال: يا رسول الله، جعلني الله فداك - قال: أشك قال ذاك أم لا - أضررت؟ قال: لا، عليك المرأة قال: فألقى أبو طلحة على وجهه الثوب، فانطلق إليها فمد ثوبه عليها، ثم أصلح لها رحلها، فركبنا، ثم اكتنفناه، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فلما أشرفنا على المدينة، أو كنا بظهر الحرة، قال رسول الله ﷺ: آييون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون. فلم يزل يقولهن حتى دخلنا المدينة. ^(١)



قصة الحجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه وقريش

عن أنس قال: لما افتتح رسول الله ﷺ خير قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله، إن لي بمكة مالا، وإن لي بها أهلا، وإني أريد أن آتيهم، فأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئا؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم فقال: اجمعي لي ما كان عندك، فإني أريد أن أشترى من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا، وأصببت أموالهم. قال: ففشا ذلك بمكة، فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحا وسرورا. قال: وبلغ الخبر العباس فعقر، وجعل لا يستطيع أن يقوم. قال معمر: فأخبرني عثمان الجزري، عن مقسم، قال: فأخذ ابنا له يقال له: قثم، فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول:

جَبِّي قُثْمَ جَبِّي قُثْمَ شَبِيهَ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ
نَبِيَّ رَبِّ ذِي الْوَنَمِ بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ رَغِمَ

قال ثابت، عن أنس: ثم أرسل غلاما إلى الحجاج بن علاط: ويلك، ما جئت به وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به. قال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبي الفضل السلام، وقل له: فليخل لي في بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاء غلامه فلما بلغ باب الدار، قال: أبشر يا أبا الفضل. قال: فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه، فأخبره ما قال الحجاج، فأعنته. ثم جاءه الحجاج، فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خير، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله عز وجل في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي فاتخذها لنفسه، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، ولكنني جئت لمال كان لي ها هنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف عني ثلاثا، ثم اذكر ما بدا لك. قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع،

فجمعتة فدفعته إليه، ثم انشمر به. فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه قد ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يحزنك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذي بلغك. قال: أجل لا يحزني الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا: فتح الله خير على رسوله ﷺ وجرت فيها سهام الله، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقاً. قال: إني صادق، الأمر على ما أخبرتك. فذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل. قال لهم: لم يصبني إلا خير بحمد الله، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خير قد فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله، واصطفى صفية لنفسه، وقد سألتني أن أخفي عليه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شيء هاهنا، ثم يذهب. قال: فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون، ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر، فسر المسلمون، ورُد ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين.^(١)



(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٤٠٩) وهو في مصنف عبد الرزاق (٩٧٧١) وأبو يعلى (٣٤٧٩) وابن حبان (٦١٩٢) والطبراني في الكبير (٣١٩٦) كلهم من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك. وصححه ابن كثير في البداية والنهاية (٢١٦/٤) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧/٦) والألباني في صحيح موارد الظمان (١٦٩٨) والصحيحة تحت الحديث (٥٤٥) وهو على شرط الشيخين.

غزوة ذات الرقاع

قال النازم وفقه الله:

١٩٦- ثُمَّ إِلَى ذَاتِ الرَّقَاعِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قِرَاعٌ

الشرح

الرقاع: بكسر الراء، وقد سميت هذه الغزوة بهذا الاسم؛ لأنهم لُقُوا على أرجلهم الخرق بعد أن تنقبت -أي رقت- خفافهم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة، ونحن في ستة نفر بيننا بعير نعتقه، ونقبت أقدامنا ونقبت قدماي -أي تقرحت من الحفاء- وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا. ^(١)

وتسمى أيضا غزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من أمور عجيبة. ^(٢)

وقد وقع اختلاف في تاريخ غزوة ذات الرقاع بين قدامى المؤرخين بناء على محاكمة المتن، فأخوها البخاري، وتابعه ابن القيم وابن كثير وابن حجر إلى ما بعد خير، خلافاً لرأي ابن إسحق والواقدي، بناء على اشتراك أبي موسى الأشعري وأبي هريرة فيها، وقد قدما على النبي ﷺ بعد فتح خير مباشرة. ^(٣)

قال البخاري رحمته الله في صحيحه: باب غزوة ذات الرقاع. وهي غزوة محارب خصفة

(١) رواه البخاري (٤١٢٨) ومسلم (١٨١٦)

(٢) انظر شرح المواهب (٢/ ٥٢١)

(٣) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ١٥) وانظر فتح الباري (٨/ ١٨٠) والبداية والنهاية (٤/

من بني ثعلبة من غطفان، فنزل نخلا، وهي بعد خير، لأن أبا موسى جاء بعد خير. (١)
 وقال ابن القيم: ويؤيد هذا أن أبا هريرة وأبا موسى الأشعري شهدا ذات الرقاع، كما
 في الصحيحين عن أبي موسى أنه شهد غزوة ذات الرقاع، وأنهم كانوا يلفون على
 أرجلهم الخرق لما نَقِبَتْ، فسُمِّيت غزوة ذات الرقاع. وأما أبو هريرة ففي المسند
 والسنن أن مروان بن الحكم سأله: هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال:
 نعم، قال: متى؟ قال: عام غزوة نجد. (٢)

وكانت إلى نجد يريد بني محارب وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان واستعمل على
 المدينة عثمان بن عفان فلقي ﷺ بنخل جمعاً من غطفان، فتوافقوا، إلا أنه لم يكن
 حرب. (٣)



(١) صحيح البخاري (٤/ ١٥١٢)

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٩٣-٢٩٤) وحديث أبي موسى أخرجه البخاري (٤١٢٨) ومسلم (١٨١٦). وحديث
 أبي هريرة أخرجه أحمد (٨٢٦٠) وأبو داود (١٢٤٠) والنسائي (١٥٤٣) وابن خزيمة (١٣٦١) وابن
 حبان (٢٨٧٨) والحاكم (١٢٧٠) وصححه. وهو في صحيح أبي داود (١٢٤٠) للألباني

(٣) انظر جوامع السيرة لابن حزم (١٨٣)

رجوع الرسول ﷺ إلى المدينة وأحداث حدثت في الطريق

صلاة الخوف

قال الناظم وفقه الله:

١٩٧- بِهَذَا صَلَاةُ الْخَوْفِ وَاضِحَةٌ فِي الْوُضْءِ

وفي هذه الغزوة صلى النبي ﷺ صلاة الخوف.

جاء في البخاري ومسلم من طريق عن صالح بن خوات، عمن شهد رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلى صلاة الخوف: أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتى معه ركعة، ثم ثبت قائما، وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا، فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا، وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم. قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف. (١)

وأول صلاة خوف صلاها النبي ﷺ كانت بعسفان عند رجوعه ﷺ ومن معه من غزوة بني لحيان حيث استقبلهم جمع من المشركين على رأسهم خالد بن الوليد، فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو أصبنا منهم غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل على رسول الله ﷺ بآية صلاة الخوف. الحديث عند أبي داود وغيره عن أبي عياش الزرقني.

قال ابن كثير رحمه الله: وفي سياق حديث أبي عياش الزرقني ما يقتضي أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فاقتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها.

والله أعلم. ^(١)

وقال ابن القيم رحمه الله: والظاهر أن النبي ﷺ أول صلاة صلاها للخوف بعسفان كما قال أبو عياش الزرقى: كنا مع النبي ﷺ بعسفان، فصلى بنا الظهر، وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد، فقالوا: لقد أصبنا منهم غفلة، ثم قالوا: إن لهم صلاة بعد هذه هي أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم، فنزلت صلاة الخوف بين الظهر والعصر، فصلى بنا العصر، ففرقنا فرقتين. وذكر الحديث، رواه أحمد وأهل السنن. ^(٢)



(١) البداية والنهاية (٥ / ٥٥٨)

(٢) زاد المعاد (٣ / ٢٢٥) وحديث أبي عياش المشار إليه أخرجه أبو داود (١٢٣٦) والنسائي (١٥٤٩) وأحمد (١٦٥٨٠) باختلاف يسير وقال محققوا المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن صحابه لم يخرج له سوى أبي داود والنسائي. وصححه الالباني في صحيح سنن النسائي (١٤٥٨) وصحيح أبي داود (١١٢١)

محاولة اغتيال النبي ﷺ

عن جابر رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة، تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه، فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك. قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف، وعلقه، قال: فنودي بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات، وللقوم ركعتان. ^(١)

وقد جاء التصريح باسم هذا الرجل في رواية أحمد وغيره كما يلي: قاتل رسول الله ﷺ في محارب خصفة، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله عز وجل فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن كخير آخذ، قال: أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: لا، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، قال: فذهب إلى أصحابه، قال: قد جئتمكم من عند خير الناس. ^(٢)



(١) أخرجه البخاري (٤١٣٦) ومسلم (٨٤٣)

(٢) أخرجه أحمد (١٤٩٢٩) واللفظ له، والحاكم (٤٣٧٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن حبان (٢٨٨٣) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤/ ٤٣٩) وقال الشيخ مقبل في أحاديث معلقة (٨٥): فيه جعفر بن أبي وحشية لم يسمع من سليمان بن قيس والحديث صحيح عن جابر عن طرق أخرى.

قصة عباد بن بشر رضي الله عنه

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع فأصببت امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلا، وجاء زوجها، وكان غائبا، فحلف ألا ينتهي حتى يهريق دما في أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلا، فقال: من رجل يكلؤنا. فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونا بفم الشعب. قال: وكانوا نزلوا إلى شعب الوادي، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره؟ قال: اكفني أوله، فاضطجع المهاجري، فنام، وقام الأنصاري يصلي، وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة القوم، فرماه بسهم، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائما، ثم رماه بسهم آخر، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائما ثم عاد له بثالث فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أوتيت، فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرأ به فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله ألا أهبتني قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع الرمي ركعت فأريتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها وأنفذها. ^(١)



(١) حسن: أخرجه أبو داود (١٩٨) وأحمد (١٤٧٠٤) واللفظ له وحسنه الألباني في صحيح أبي داود

بعض ما حدث بين ذات الرقاع وعمرة القضاء

سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة^(١)

وكانت في شعبان سنة سبع للهجرة بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين راكبا إلى بني نضر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وبني جشم بن بكر بن هوازن بتربة، فخرج عمر رضي الله عنه، ومعه دليل من بني هلال، فكانوا يسرون الليل ويكمنون بالنهار، فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر رضي الله عنه إلى محالهم، فلم يلق منهم أحدا، فانصرف راجعا إلى المدينة، فلما كان بالجدد^(٢) قال له الدليل: هل لك في جمع آخر من خثعم جاؤوا سائرين قد أجذبت بلادهم، فقال له عمر رضي الله عنه: ما أمرني رسول الله ﷺ بهم، إنما أمرني أن أقاتل هوازن بتربة، فانصرف عمر رضي الله عنه راجعا إلى المدينة.^(٣)



(١) تربة: بضم التاء وفتح الراء: واد قرب مكة على يومين منها. انظر النهاية (١/ ١٨٢).

(٢) الجدد: موضع في بلاد بني هذيل. انظر معجم البلدان (٣/ ٣٨).

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٨٩) وتاريخ الطبري (٣/ ٢٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/

٢٩٢) والبداية والنهاية (٤/ ٢٥١)

سرية أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بني فزارة

وكانت كذلك في شعبان من السنة السابعة للهجرة. ^(١)

عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر أمّره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرسنا، ثم شن الغارة فورد الماء، فقتل من قتل عليه وسبى، وأنظر إلى عنق من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من آدم، (قال: القشع النطع)، معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر فنفلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا، فلقيني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السوق فقال: يا سلمة، هب لي المرأة. فقلت: يا رسول الله، والله لقد أعجبتني، وما كشفت لها ثوبا، ثم لقيني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغد في السوق فقال لي: يا سلمة، هب لي المرأة لله أبوك. فقلت: هي لك يا رسول الله، فوالله ما كشفت لها ثوبا، فبعث بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهل مكة ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة. ^(٢)



(١) انظر الطبقات الكبرى (٢/ ١١٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٩٠) وعيون الأثر (٢/ ١٨٨)

(٢) رواه مسلم (١٧٥٥)

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الحرقات من جهينة

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وفيها - أي سنة سبع - سرية غالب بن عبد الله في شهر رمضان إلى الميفعة، فحدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب ابن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة، فأصاب بها مرداس بن نهيك حليفا لهم من الحرقة من جهينة، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار. ^(١)

عن أسامة بن زيد رَحِمَهُ اللهُ يَقُول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم: فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، فطعنته برمحي حتى قتلتها، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله. قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. ^(٢)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: قوله: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة. ليس في هذا ما يدل على أنه كان أمير الجيش كما هو ظاهر الترجمة وقد ذكر أهل المغازي سرية غالب ابن عبد الله الليثي إلى الميفعة بتحتانية ساكنة وفاء مفتوحة وهي وراء بطن نخل وذلك في رمضان سنة سبع وقالوا إن أسامة قتل الرجل في هذه السرية فإن ثبت أن أسامة كان أمير الجيش فالذي صنعه البخاري هو الصواب لأنه ما أمر إلا بعد قتل أبيه بغزوة موتة وذلك في رجب سنة ثمان وإن لم يثبت أنه كان أميرها رجع ما قال أهل المغازي. ^(٣)

(١) تاريخ الرسل والملوك (٣/ ٢٢) وانظر

(٢) رواه البخاري (٤٠٢١) ومسلم (٩٦)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٥١٨)

سرية بشير بن سعد رضي الله عنه إلى بني مرة

وفي شعبان أيضا سنة سبع للهجرة بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد رضي الله عنه، في ثلاثين رجلا إلى بني مرة، وكانوا بقرب فذك، فلما وصل إلى ديارهم لم يجد أحدا، فاستاق النعم والشاء، وانحدر إلى المدينة، فلما علم بني مرة بالخبر لحقوهم فأدركوهم، فتراموا بالنبل، حتى فنيت نبل أصحاب بشير رضي الله عنه، ثم حمل بني مرة عليهم فقتلوا من قتلوا من أصحاب بشير رضي الله عنه، وفر من فر منهم، وقاتل بشير رضي الله عنه قتالا شديدا حتى ارتث وسقط، فظنوه قد مات، ورجعوا بأنعامهم وشأنهم. وفي المساء تحامل بشير رضي الله عنه حتى انتهى إلى فذك، وأقام عند يهودي أياما حتى ضمدت جراحه، ورجع إلى المدينة. وقد نقل خبر مصاب هذه السرية إلى رسول الله ﷺ علبة بن زيد الحارثي. ^(١)

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٠٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٢٩٥).

عمرة القضاء وما وقع فيها

قال الناظم وفقه الله:

١٩٨- ثُمَّ لِعُمْرَةِ الْقَضَا فِي سَابِعِ الْعَامِ مَضَى

الشرح

وكانت في ذي القعدة في السنة السابعة من الهجرة.

قال ابن إسحاق رحمته الله: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ. ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء، مكان عمرته التي صدوه عنها. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عوف بن الأضبط الديلي. ^(١)

وقال ابن القيم رحمته الله: واختلف: هل كانت قضاء للعمرة التي صُد عنها في العام الماضي، أم عمرة مستأنفة؟ على قولين للعلماء: وهما روايتان عن الإمام أحمد، إحداهما: أنها قضاء وهو مذهب أبي حنيفة رحمته الله. والثانية: ليست بقضاء، وهو قول مالك رحمته الله، والذين قالوا: كانت قضاء، احتجوا بأنها سميت عمرة القضاء، وهذا الاسم تابع للحكم. وقال آخرون: القضاء هنا من المقاضاة، لأنه قاضى أهل مكة عليها، لا أنه من قضى قضاء. قالوا: ولهذا سميت عمرة القضية. قالوا: والذين صدوا عن البيت، كانوا ألفا وأربعمائة، وهؤلاء كلهم لم يكونوا معه في عمرة القضية، ولو كانت قضاء لم يتخلف منهم أحد، وهذا القول أصح؛ لأن رسول الله ﷺ لم يأمر من كان معه بالقضاء. ^(٢)

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧٠)

(٢) زاد المعاد (٢/ ٨٦)

وخرج الرسول ﷺ إلى مكة قاصدا العمرة، كما اتفق مع قريش في صلح الحديبية، حيث اشترطوا ألا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وألا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وألا يمنع من أصحابه أحدا إن أراد أن يقيم بها وقاضاهم أن يقيم بمكة ثلاثة أيام ثم يخرج عنها. (١)

وقد ذكر موسى بن عقبة أن المسلمين صحبوا معهم أسلحتهم خشية من غدر قريش، وأنهم أبقوها خارج الحرم. (٢)

وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان فيهم الذين شهدوا الحديبية. (٣)

ولما دخل الرسول ﷺ مكة كان عبد الله بن رواحة يمشي بين يديه وينشد:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله (٤)

وطاف المسلمون بالكعبة وأمرهم الرسول ﷺ أن يظهروا القوة والجلد في طوافهم، لأن قريشا أشاعت أنهم ضعفاء قد وهنتهم حمى يثرب.

عن ابن عباس ؓ قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

(١) ثبت ذلك في البخاري (٤٢٥١) ومسلم (١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب ؓ

(٢) انظر فتح الباري (٧/ ٤٤٩)

(٣) انظر فتح الباري (٧/ ٥٠٠)

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٤٧) والنسائي (٢٨٧٣) والترمذي (٢٨٤٧) وأبو يعلى (٣٥٧٩) وابن

حبان (٤٥٢١) من حديث أنس ؓ باختلاف يسير. وحسن إسناده ابن حجر في الإصابة في تمييز

الصحابه (٢/ ٣٠٧) وصححه لألباني في صحيح النسائي (٢٨٩٣) وصحيح موارد الظمان (١٦٩٥)

وهو في الصحيح المسند للوادعي (١٠٢)

وفي لفظ مسلم بعد قوله وأن يمشوا بين الركنين قوله: ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم. هؤلاء أجلد من كذا وكذا^(١) وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة ثلاثة أيام كما اشترطت عليه قريش في صلح الحديبية، ولم يدخل رسول الله ﷺ الكعبة؛ لوجود الأصنام والصور فيها. عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: اعتمر رسول الله ﷺ فطاف بالبيت، وصلى خلف المقام ركعتين، ومعه من يستره من الناس، فقال له رجل: أدخل رسول الله ﷺ الكعبة؟ قال: لا.^(٢)

قال ابن حجر رحمته الله: قوله: قال لا. قال النووي: قال العلماء سبب ترك دخوله ما كان في البيت من الأصنام والصور ولم يكن المشركون يتركونه ليغيرها فلما كان في الفتح أمر بإزالة الصور ثم دخلها يعني كما في حديث بن عباس الذي بعده^(٣). انتهى ويحتمل أن يكون دخول البيت لم يقع في الشرط فلو أراد دخوله لمنعه كما منعه من الإقامة بمكة زيادة على الثلاث فلم يقصد دخوله لئلا يمنعه وفي السيرة عن علي أنه دخلها قبل الهجرة فأزال شيئاً من الأصنام وفي الطبقات عن عثمان بن طلحة نحو ذلك فإن ثبت ذلك لم يشكل على الوجه الأول لأن ذلك الدخول كان لإزالة شيء من المنكرات لا لقصد العبادة والإزالة في الهدنة كانت غير ممكنة بخلاف يوم الفتح.^(٤)

(١) رواه البخاري (١٦٠٢) ومسلم (١٢٦٦)

(٢) رواه البخاري (١٥٢٣)

(٣) أي بعد حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه: إن رسول الله ﷺ لما قدم، أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله ﷺ: قاتلهم الله، أما والله قد علموا أنهما لم يستقيما بها قط. فدخل البيت، فكبر في نواحيه، ولم يصل فيه. رواه البخاري (١٥٢٤) وسيأتي معنا في فتح مكة إن شاء الله.

(٤) فتح الباري (٣/ ٤٦٨)

ولما انتهت الأيام الثلاثة جاء المشركون إلى علي عليه السلام فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي صلى الله عليه وآله. فلما أراد الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب، واسمها عمارة، وتناديه: يا عم يا عم! فتناولها علي عليه السلام فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك، احمليها.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما اعتمر النبي صلى الله عليه وآله في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا، ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله. ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: امح رسول الله. قال علي: لا والله لا أمحوك أبدا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وألا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وألا يمنع من أصحابه أحدا إن أراد أن يقيم بها. فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا، فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا، فقد مضى الأجل. فخرج النبي صلى الله عليه وآله، فتبعته ابنة حمزة، تنادي: يا عم يا عم، فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك احمليها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها، وهي بنت عمي. وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها النبي صلى الله عليه وآله لخالتها، وقال: الخالة بمنزلة الأم. وقال لعلي: أنت مني وأنا منك. وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي. وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا. وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاة. ^(١)

زواج الرسول ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

قال الناظم وفقه الله:

١٩٩- وَصَّامٌ أَكْرَمُ الْبَشَرِ مَيْمُونَةٌ فِي ذَا السَّفَرِ

الشرح

قال ابن القيم رحمه الله: ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهي آخر من تزوج بها، تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح. ^(١)

وقد جاء من حديث ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها قولها: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف. ^(٢)

وعن يزيد بن الأصم قال: حدثتني ميمونة بنت الحارث، أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال، قال: وكانت خالتي وخالة ابن عباس. ^(٣)

قال ابن القيم رحمه الله: وأما قول ابن عباس: إن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال. ^(٤) فمما استدرك عليه وعد من وهمه. ^(٥)

وهي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية كان اسمها برة، فسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميمونة، وكانت قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند أبي رهم بن عبد

(١) زاد المعاد (١/ ١٠٩)

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٨٤٣) والبيهقي في السنن الصغرى (١٥٦٩) والكبرى (١٤٢٠٤) وصححه

الألباني في صحيح أبي داود (١٨٤٣)

(٣) رواه مسلم (١٤١١)

(٤) رواه البخاري (٤٢٥٨)

(٥) زاد المعاد (٣/ ٤٤٨)

العزى بن عبد ودّ بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ القرشي العامريّ، وقيل عند سخبرة بن أبي رهم المذكور، وقيل عند حويطب بن عبد العزّى، وقيل عند فروة أخيه، وتزوّجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة سبع لما اعتمر عمرة القضية، فيقال: أرسل جعفر بن أبي طالب يخطبها، فأذنت للعبّاس فزوّجها منه، ويقال: إنّ العبّاس وصفها له، وقال: قد تأيّم من أبي رهم فتزوّجها. ^(١)

وتوفيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة ثلاث وستين بسرف، وصلى عليها ابن عباس، ودخل قبرها هو، ويزيد بن الأصم، وعبد الله بن شداد بن الهادي، وهم بنو أخواتها، وعبيد الله الخولاني، وكان يتيما في حجرها. ^(٢)



(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٨ / ٣٢٢)

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ / ١٩١٨)

الأحداث من عمرة القضاء إلى فتح مكة

وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ

في أوائل العام الثامن الهجري، توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ، وزوجة أبي العاص بن الربيع ﷺ، وهي أكبر بناته ﷺ، عاشت ﷺ نحو ثلاثين سنة. ^(١)
وقد ولدت زينب من أبي العاص بن الربيع: أمانة، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة.

عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ كان يصلي، وهو حامل أمانة بنت زينب، بنت رسول الله ﷺ، ولأبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها. ^(٢)

وعن أم عطية ﷺ قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ، ونحن نغسل ابنته، فقال: اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك، بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فآذني. فلما فرغنا آذناه، فألقى إلينا حقوه ^(٣)، فقال: أشعرنها إياه. ^(٤)



(١) انظر معرفة الصحابة لابن منده (ص ٩٢٩) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٦ / ٣١٩٥) وسير أعلام النبلاء (٢ / ٢٤٦)

(٢) رواه البخاري (٤٩٤) ومسلم (٥٤٣)

(٣) قال الحافظ في الفتح (٣ / ٤٦٩): حقوه: بفتح الحاء ويجوز كسرهما، والمراد به هنا الإزار.

(٤) رواه البخاري (١١٩٦) ومسلم (٩٣٩)

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم

وفي السنة الحادية والعشرين من النبوة والثامنة من الهجرة، كان إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه وعثمان بن طلحة رضي الله عنه. ^(١)

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق، جمعت رجالا من قريش كانوا يرون مكاني، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون، والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علوا كبيرا، وإني قد رأيت رأيا، فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا، كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خيرا. فقالوا: إن هذا الرأي. قال: فقلت لهم: فاجمعوا له ما نهدي له. وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدما كثيرا، فخرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبا بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئا؟ قال: قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت لك أدما كثيرا. قال: ثم قدمته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيته لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب ثم مديده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أن قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه، ثم قلت: أيها

(١) انظر السيرة الحلبية (٣/ ٥٢٣) والكامل في التاريخ (٢/ ١٠٨)

الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه. فقال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده. قال: قلت: فبايعني له على الإسلام. قال: نعم. فبسط يده وبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي ثم خرجت عامدا لرسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم، وإن الرجل لنبي، أذهب والله أسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقد منا على رسول الله ﷺ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي. ولا أذكر وما تأخر، قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها. قال: فبايعته ثم انصرف. قال ابن إسحاق: وقد حدثني من لا أتهم: أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما، أسلم حين أسلما. ^(١)



(١) حسن: رواه أحمد (١٧٧٧٧) واللفظ له الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٧) والحاكم (٥٢٩٣) مختصرا و سكت عنه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٣/٩): رجاله ثقات. وقال الألباني في إرواء الغليل (١٢٢/٥): إسناده حسن أو قريب منه. وحسنه بمجموع طرقه محققوا المسند.

غزوة مؤتة

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٠- ثُمَّ إِلَى مُؤْتَةَ قَدْ وَجَّهَ جَيْشًا ذَا عَدَدٍ

الشرح

مؤتة تقع حالياً ضمن لواء المزار الجنوبي في محافظة الكرك وتبعد عن مدينة الكرك مسافة ١٢ كم، وتبعد ١٤٠ كم جنوب العاصمة الأردنية عمان. وإنما سميت غزوة مع أن رسول الله ﷺ لم يشهدها؛ لكثرة جيش المسلمين فيها؛ ولكونها أعظم حرب دامية خاضها المسلمون في حياة الرسول ﷺ، وهي مقدمة وتمهيد لفتح بلدان النصارى. (١)

ويسمى جيشها جيش الأمراء، فقد أخرج الإمام وابن حبان عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء... وذكر بقية الغزوة. (٢)

وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان، بعد رجوعه ﷺ من عمرة القضية حيث بقي في المدينة بقية شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول والثاني. (٣)

وكان قوام الجيش الذي خرج في هذه الغزوة ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر جيش

(١) انظر شرح المواهب (٣/ ٣٣٩)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٨) والنسائي في السنن الكبرى (٨٢٤٩) وابن حبان (٧٠٤٨) وأحمد (٢٢٥٥١) واللفظ له قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/٦): رجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقة. وقال الألباني في أحكام الجنائز (٤٦): إسناده حسن. وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٢٧٧)

(٣) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧٣) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ١٧/٢) والإصابة لابن حجر: (١/ ٥٨٩) وفتح الباري (٧/ ٥١١)

إسلامي، لم يجتمع قبل ذلك إلا في غزوة الأحزاب. ^(١)

وثبت في البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة. قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين، من طعنة ورمية. ^(٢)

وقد وصل الجيش إلى معان عندما وصلته أخبار نزول هرقل بأرض مآب - وهي البلقاء - في مائة ألف من الروم ومائة ألف أخرى من نصارى العرب لخم وجذام وقضاة (بهراء وبلي وبلقين) فأمضى المسلمون ليلتين في معان يتشاورون في أمرهم وبعضهم يرى مكاتبة الرسول ﷺ وإخباره بقوة العدو ليمدهم أو يأمرهم بأمره. فشجع عبد الله بن رواحة الجيش، وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة. ^(٣)

وأحدثت كلماته أثرها فذب الحماس في الجيش، وفقدت آراء المتريشين قوتها، فاندفع زيد بن حارثة بالناس إلى منطقة مؤتة جنوب الكرك بيسير حيث أثر الاصطدام بالروم هناك، فكانت ملحمة سجل فيها القادة الثلاثة بطولات عظيمة انتهت باستشهادهم، فشاط زيد بن حارثة في رماح الروم فاستشهد، وأخذ الراية جعفر بن أبي طالب فعقر فرسه الشقراء وقاتل بالراية فقطعت يمينه فأمسكها بشمال فقطعت فاحتضن الراية حتى استشهد، فأخذ الراية عبد الله ابن رواحة فتردد يسيرا ثم اندفع

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣١٤) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٠) وفتح الباري (٨/ ٢٩٩)

وشرح المواهب (٣/ ٣٣٩)

(٢) رواه البخاري (٤٢٦١) وهو من أفراد البخاري على مسلم.

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٤٣٠)

فقاتل حتى استشهد، فأخذ الراية ثابت بن أرقم ونادى في المسلمين أن يختاروا لهم قائدا فاختاروا خالد بن الوليد، وقد أدرك خالد خطورة الموقف فأعاد تنظيم جيشه وبدل المسيرة باليمينه وجعل قسما من الجيش يتقدمون من الخلف وكأنهم أمداد جديدة لإيهام الروم، وتمكن خلال ذلك من القيام بانسحاب منظم لم يفقده إلا اليسير من جنده حيث سمت المصادر ثلاثة عشر شهيدا فقط. ^(١)

ولما أخذ خالد رضي الله عنه الراية واجتمع المسلمون إليه قاتل الكفار قتالا شديدا، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صحيفة يمانية. ^(٢)

قال ابن حجر رحمته الله: وهذا الحديث عن خالد رضي الله عنه يقتضي أن المسلمين قتلوا من المشركين كثيرا. ^(٣)

وقال ابن كثير رحمته الله: وهذا يقتضي أنهم أئخذوا فيهم قتلا، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، وهذا وحده دليل مستقل، والله أعلم. ^(٤)

عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب. وعيناه تذرفان: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم. ^(٥)

قال ابن حجر رحمته الله: واختلف أهل النقل في المراد بقوله حتى فتح الله عليه هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين أو المراد بالفتح انحيازه بالمسلمين حتى رجعوا

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٤٣٠ - ٤٤٧) وجوامع السيرة لابن حزم (ص ٢٢٠ - ٢٢٢) ولم يسند ابن إسحق قصة الوقعة سوى عقر جعفر بن أبي طالب لفرسه وخبر تردد ابن رواحة ثم إقدامه حيث ساقهما بإسناد حسن وفيه جهالة اسم الصحابي ولا تضر. السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري (٢/ ٤٦٨)

(٢) رواه البخاري (٤٢٦٥)

(٣) فتح الباري (٨/ ٣٠٦)

(٤) البداية والنهاية (٤/ ٦٤١)

(٥) رواه البخاري (٤٢٦٢)

سالمين..... قال العماد بن كثير: يمكن الجمع بأن خالدًا لما حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر كما تقدم وتوهم العدو أنهم قد جاء لهم مدد حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى^(١).

وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء قال: عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب زيد فجعفر فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فوثب جعفر فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما كنت أرغب أن تستعمل علي زيدا فقال: امض فإنك لا تدري في أي ذلك خير. فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن ينادى: الصلاة جامعة فقال: ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انطلقوا فلقوا العدو فأصيب زيدا شهيدا استغفروا له. فاستغفر له الناس. ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشد على القوم حتى قتل شهيدا استغفروا له ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فثبتت قدماه حتى قتل شهيدا استغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ثم رفع رسول الله ﷺ ضبعيه ثم قال: اللهم هو سيف من سيوفك انتصر به فمن يومئذ سمي خالد بن الوليد: سيف الله.^(٢)

قال المباركفوري: واختلفت الروايات كثيرا فيما آل إليه أمر هذه المعركة أخيرا. ويظهر بعد النظر في جميع الروايات أن خالد بن الوليد نجح في الصمود أمام جيش الرومان طول النهار، في أول يوم من القتال، وكان يشعر بمسيس الحاجة إلى مكيدة حربية، تلقى الرعب في قلوب الرومان، حتى ينجح في الانحياز بالمسلمين من غير أن يقوم الرومان بحركات المطاردة، فقد كان يعرف جيدا أن الإفلات من براثنهم صعب

(١) فتح الباري (٧/ ٥١٤)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٣٨) والنسائي في السنن الكبرى (٨٢٤٩) وابن حبان (٧٠٤٨) وأحمد (٢٢٥٥١) واللفظ له قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/٦): رجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقة. وقال الألباني في أحكام الجنائز (٤٦): إسناده حسن. وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٢٧٧)

جدا لو انكشف المسلمون، وقام الرومان بالمطاردة. فلما أصبح اليوم الثاني غير أوضاع الجيش، وعبأه من جديد، فجعل مقدمته، ساقية، وميمته ميسرة، وعلى العكس، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا، وصار خالد - بعد أن تراى الجيشان، وتناوشا ساعة - يتأخر بالمسلمين قليلا قليلا، مع حفظ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظنا منهم أن المسلمين يخدعونهم، ويحاولون القيام بمكيدة ترمي بهم في الصحراء. وهكذا انحاز العدو إلى بلاده، ولم يفكر في القيام بمطاردة المسلمين، ونجح المسلمون في الانحياز سالمين، حتى عادوا إلى المدينة. ^(١)

واستشهد من المسلمين في هذه المعركة العظيمة اثنا عشر رجلا، أما الرومان، فلم يعرف عدد قتلاهم غير أن وصف المعركة يدل على كثرتهم. ^(٢)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وهذا عظيم جدا أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلا وقد قتل من المشركين خلق كثير. هذا خالد وحده يقول لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي الا صفحة يمانية فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟! دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن، في ذلك الزمان وفي كل أوان. وهذا مما يدخل في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]. ^(٣)

(١) الرحيق المختوم (ص ٣٥٩)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤ / ٣٦)

(٣) البداية والنهاية (٤ / ٢٥٩)

سرية ذات السلاسل

قال الناظم وفقه الله:

٢٠١- وَبَعْدَهَا السَّلَاسِلُ وَالنَّصْرُ فِيهَا نَازِلٌ

الشرح

قال ابن سعد رَحِمَهُ اللهُ: ثم سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل وهي وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام. وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ. ^(١)

وقال ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ: وأما غزوة ذات السلاسل فهي بعد غزوة مؤتة فيما ذكر أهل المغازي سوى ابن إسحاق فإنه ذكر أنها قبل غزوة مؤتة. ^(٢)
ووادي القرى يعرف الآن بوادي العلا.

والسلاسل: هو ماء بأرض جذام، وبه سميت الغزوة. ^(٣)
وكان سبب هذه السرية أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من قضاة، وهم بلي، وعُدرة، وبنو القين، قد تجمعوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فبعثه إليهم. ^(٤)

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بعث إلي رسول الله ﷺ، فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني، فأتيته، وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأ، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة. قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكنني سلمت رغبة في الإسلام، وأن

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٩٩)

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٢١)

(٣) انظر النهاية (٢/ ٣٥٠)

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣١٥) وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٠)

أكون مع رسول الله ﷺ فقال: يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح. ^(١)
وعنه ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا
 نارا فمنعهم، فكلّموا أبا بكر، فكلّمه في ذلك، فقال: لا يوقد أحد منهم نارا إلا قذفته
 فيها، قال: فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك
 للنبي ﷺ، فسأله فقال: كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم،
 وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد، فحمد أمره فقال: يا رسول الله من أحب الناس
 إليك؟ قال: عائشة. قلت: من الرجال: قال: أبوها: قلت: ثم من؟ قال: عمر. فعد
 رجالا. فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم. ^(٢)

وفي البخاري: أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته
 فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. قلت:
 ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب. فعد رجالا. ^(٣)

ولما بلغ عمرو بن العاص ﷺ مكان تجمع المشركين ورأى كثرة عددهم بعث
 إلى النبي ﷺ يستمده فأمدّه بمائتين من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر
 وعليهم أبو عبيدة عامر بن الجراح.

ويذكر عامر الشعبي (ت ١٠٣ هـ) أن النبي ﷺ استعمل أبا عبيدة على
 المهاجرين وعمر بن العاص على الأعراب وطلب منهما أن يتطوعا وأن الجيش
 أرسل ضد بني بكر لكن عمرو بن العاص أغار على قضاة.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٧٦٤) واللفظ له، والحاكم (٢٩٦٧) وابن أبي شيبة (٢٢٦٢٧) وأبو يعلى
 (٧٣٣٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤-٦٧): رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر العسقلاني

في الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٣): إسناده حسن. وصححه الوادعي في الصحيح المسند (١٠٠٦)
 (٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٨٦) وابن حبان (٤٥٤٠) والنسائي في الكبرى (٨٠٥٢) وابن أبي شيبة

(٣٢٦٢١) وقال الألباني: إسناده صحيح. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦/٥٠٣)

(٣) رواه البخاري (٣٤٦٢)

روى الإمام أحمد عن عامر قال: بعث رسول الله ﷺ جيش ذات السلاسل، فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب، وقال لهما: تطاوعا. قال: وكانوا أمروا أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو وأغار على قضاة، لأن بكرا أخواله. قال: فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال: إن رسول الله ﷺ استعملك علينا، وإن ابن فلان قد اتبع أمر القوم، فليس لك معه أمر، فقال أبو عبيدة: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاول، فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو. ^(١)

وقد توغل الجيش في ديار قضاة التي هربت وتفرقت، وقد أعادت هذه الحملة الهيبة للمسلمين في هذه المنطقة، تلك الهيبة التي كانت أحداث غزوة مؤتة قد زعزعتها. ^(٢)

وفيها صلى عمرو بن العاص بالمسلمين بعد أن تيمم من الجنباء حيث خاف على نفسه المرض إذا اغتسل بسبب البرد، وقد أقر النبي ﷺ اجتهاده حين بلغه.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت أن اغتسل فأهلك، فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ " فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فضحك رسول الله ﷺ - ولم يقل شيئا. ^(٣)

(١) مرسل صحيح: رواه أحمد (١٦٩٨) ومن طريقه أخرجه ابن سيد الناس في عيون الأثر (٢/ ١٥٨) ورجاله ثقات إلا أنه مرسل، فعامر هو ابن شراحيل الشعبي وكان عامر الشعبي من المعنيين بالمغازي حتى شهد له بذلك عبد الله بن عمر كما في (تهذيب التهذيب ٥/ ٦٧) وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٠٦/ ٦) للهيتمي

(٢) انظر زاد المعاد (٣/ ١٥٧) وفتح الباري (٨/ ٧٤-٧٥)

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٣٤) واللفظ له، وأحمد (١٧٨٤٥) وقوى إسناده ابن حجر في فتح الباري (١/ ٥٤١) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٤) وفي إرواء الغليل (١٥٤)

سرية أبي قتادة رضي الله عنه إلى إضم^(١)

وكانت سنة ثمان قبل فتح مكة^(٢)

عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ومحلّم بن جثامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر الأشجعي على قعود له معه متيع ووطب من لبن، فلما مر بنا، سلم علينا، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلّم بن جثامة، فقتله بشيء كان بينه وبينه، وأخذ بغيره ومتيعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ، وأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]^(٣)

وقد وقع في البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه، وأخذوا غنيمته، فأنزل الله هذه الآية^(٤).
قال ابن حجر رحمته الله: ولا مانع أن تنزل الآية في الأمرين معا.^(٥)

(١) إضم: اسم موضع شمال المدينة من أرض جهينة، يقع خلف جبل أحد وهو مجتمع أودية المدينة، ومنه تنحدر سيول هذه الأودية إلى وادي الحمض حتى تصب في البحر الأحمر بين أم لج والوجه. انظر الأماكن للحازمي (١ / ٧٧)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢ / ٦٢٦)

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٣٨٨١) والطبري في التفسير (٩ / ٧٣) والبيهقي في الكبرى (١٨٢٦٨) وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧ / ٨) وذكره الوداعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص ٧٤) وحسنه محققوا المسند.

(٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥)

(٥) فتح الباري (٨ / ٢٥٩)

الفتح الأعظم فتح مكة

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٢- وَمَكَّةً قَدْ فَتَحَا فَأَشْرَقَ النَّضْرُ ضُحَى

الشرح

كان خروجه ﷺ من المدينة لعشر خلون من رمضان ودخوله لتسع عشرة خلت منه وهو المشهور في كتب المغازي. وقد وقع اختلاف في تاريخ الفتح ما بين ثلاث عشرة وست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة من رمضان وانفقوا أنه في رمضان سنة ثمان. (١)
عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف في مقدمة المدينة، فسار هو من معه من المسلمين إلى مكة، يصوم يصومون، حتى بلغ الكديد، وهو ماء بين عسفان وقديد، أفطر وأفطروا. (٢)

وكان سبب غزوة الفتح أن قريشاً أعانت بالخييل والسلاح والرجال حلفاءها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين، فأوقعوا بها الخسائر على ماء بأرض خزاعة يدعى الوتير، فاستنجدت خزاعة بالمسلمين، وقدم عمرو بن سالم الخزاعي إلى المدينة فأنشد أبياتا من الشعر أمام الرسول ﷺ يستنصره، فقال الرسول ﷺ: صرت يا عمرو بن سالم.

عن عروة بن الزبير، عن المسور بن محزمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالاً:

كان في صلح رسول الله يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل " فتواثبت خزاعة،

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٤٧٥) وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩٩) وطبقات ابن سعد

(٢/ ١٣٨)

(٢) رواه البخاري (٤٠٢٧) ومسلم (١١١٣) باختلاف يسير

فقالوا: نحن ندخل في عقد محمد ﷺ وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهرا. ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم، وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله وعهده ليلا بماء لهم يقال له: الوتير قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم بالكرع والسلاح، فقاتلوهم معه للطعن على رسول الله ﷺ، وأن عمرو بن سالم ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ يخبره الخبر وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها:

يا رب إني ناشد محمدا	حلف أئينا وأبيه ألا تلدا
قد كنتم ولدا وكننا ولدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصرا أعتدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	أن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	أن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وزعموا أن لست أدعو أحدا
فهم أذل وأقل عددا	قد جعلوا لي بكداء مرصدا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم. فما برح رسول الله ﷺ مرت عناة في السماء، فقال رسول الله ﷺ: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب. ^(١)

(١) حسن: قال شيخنا سليم الهلالي: حسن - أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤/١٠٩٥) ومن طريقه الطبري في تاريخ الأمم والملوك (٣/١١١-١١٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٥٥-٧) بإسناد حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وهو إمام في المغازي. الصحيح المصنف في سيرة المصطفى (ص ٣٠١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن قائد خزاعة قال:

اللهم إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلا
انصر هداك الله نصرا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا ^(١)

وقد أدركت قريش خطورة الموقف، وتشير بعض الروايات إلى أن الرسول ﷺ أرسل إلى قريش يخبرهم بين دفع دية قتلى خزاعة أو البراءة من حلف بكر أو القتال فاختارت القتال، ثم ندمت وأرسلت أبا سفيان إلى المدينة يطلب تجديد المعاهدة، لكنه فشل في الحصول على وعد بتجديد المعاهدة. ^(٢)

وأمر الرسول ﷺ أصحابه بالتجهز للغزو ولم يعلمهم بوجهته وحرص على السرية لئلا تستعد قريش للقتال.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن أبا بكر دخل عليها وهي تغربل حنطة، فقال: ما هذا؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز؟ قالت: نعم فتجهز، قال: وإلى أين؟ قالت: ما سمى لنا شيئا غير أنه قد أمرنا بالجهاز. ^(٣)

ثم استنفر القبائل التي حول المدينة: أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم، فممنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق، وقد بلغ عدد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل. وأوعب مع رسول الله المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد. مما يدل على طاقة المسلمين العليا في حشد الجيوش في هذه المرحلة.

(١) حسن: رواه البزار في كشف الأستار (١٨١٧) قال الهيثمي، مجمع الزوائد (٦/ ١٦٥): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وحديثه حسن. وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (١٣٠١)

(٢) ذكر ذلك ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ٢٤٣) من مرسل محمد بن عباد بن جعفر بإسناد إليه صحيح. وفي فتح الباري (٨/ ٦) من رواية محمد بن عائذ الدمشقي من حديث ابن عمر. وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٩٦) والبداية والنهاية (٤/ ٢٨١)

(٣) صحيح: أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٢) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣١٧) من رواية ابن إسحاق بإسناد صحيح. انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢/ ٤٧٤)

وكان في الجيش ألف من مزينة وألف من سليم أو سبعمائة. وهذا العدد الكبير يدل على تعاضم قوة المسلمين ما بين صلح الحديبية وفتح مكة. ^(١)

ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتابا إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ثم أعطاه امرأة من مزينة، وجعل لها جعلًا على أن تبلغه قريشا.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي وكلنا فارس فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها امرأة من المشركين، معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين. قال: فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ. قال: قلنا: أين الكتاب الذي معك؟! قالت: ما معي كتاب. فأخذناها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئًا. فقال صاحبها: ما نرى كتابًا. قال: قلت: لقد علمت ما كذب رسول الله ﷺ والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك. فلما رأته أهدتني أهوت بيدها إلى حجزتها، وهي محتجزة بكساء، فأخرجت الكتاب، فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فقال: "ما حملك يا حاطب على ما صنعت؟! قال: ما لي ألا أكون مؤمنًا بالله ورسوله، ولكنني أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن مالي، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله. قال: صدق فلا تقولوا إلا خيرا. فقال عمر بن الخطاب: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني أضرب عنقه، فقال: يا عمر، وما يدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة. قال: فدمعت عينا عمر، فقال: والله ورسوله أعلم. ^(٢)

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٤٧٤) وانظر طبقات ابن سعد (٢/ ٣٩٧) وسيرة ابن هشام

(٢/ ٣٩٩)

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤)

واستخلف النبي ﷺ على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري.
عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره،
واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج
لعشر مضين من رمضان فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه حتى إذا كانوا بالكديد بين
عسفان وأمج أفرط ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ^(١)
وقد وصل الجيش الإسلامي إلى مر الظهران دون أن تعلم قريش بتحركه، وكان
خروجه من المدينة لعشر خلون من رمضان ودخوله لتسع عشرة خلت منه وهو
المشهور في كتب المغازي. ^(٢)



(١) حسن: رواه أحمد (٢٣٩٢) واللفظ له، والطبري في تاريخه (٨١ / ١٢) باختلاف يسير قال الهيثمي في
مجمع الزوائد (١٦٧ / ٦): رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحق وقد صرح بالسماع. وصححه أحمد
شاكر في تخريج المسند (١٢٥ / ٤) وحسنه محققو المسند.
(٢) انظر شرح مسلم للنووي (١٧٦ / ٣)

إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة

وفي طريق المسلمين إلى مكة قدم بعض زعماء المشركين، فأعلنوا إسلامهم، ففي الأبواء قدم أبو سفيان بن الحارث أخو الرسول ﷺ من الرضاعة، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فأسلما. وكانا شديدين في معاداة الإسلام، فكان أبو سفيان بن الحارث يهجو المسلمين ويقاثلهم في سائر الحروب عشرين سنة حتى قذف الله في قلبه الإسلام، وحسن إسلامه فكان أحد الذين صمدوا مع الرسول ﷺ في غزوة حنين حين فر الناس. وكان عبد الله بن أبي أمية شديد العداوة للمسلمين وهو أخو أم سلمة - أم المؤمنين - لأبيها، وقدم على الرسول ﷺ بين السقيا والعرج على طريق المدينة - مكة، فأسلم وحسن إسلامه فشهد فتح مكة واستشهد في حصار الطائف. ^(١)

عن ابن عباس رضيهما الله تعالى قال: مضى رسول الله ﷺ وأصحابه عام الفتح حتى نزل مر الظهران، في عشرة آلاف من المسلمين، فسبعت سليم وألفت مزينة، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد. وقد عميت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يدرون ما هو صانع، وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ ثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمتك، وصهرك، فقال: لا حاجة لي فيهما أما ابن عمي، فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري، فهو الذي قال لي بمكة ما قال. فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له فقال: والله ليأذن رسول الله ﷺ، أو لأخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا أو جوعا، فلما بلغ ذلك رسول

(١) الاستيعاب (بهامش الاصابة) (٢/ ٢٦٣)

الله ﷺ رق لهما، فدخل عليه، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه فقال:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً لِنَغْلِبَ خَيْلَ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَالْمُدْلِجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلَةً فَهَذَا أَوَانُ الْحَقِّ أَهْدِي وَأَهْتَدِي
فَقُلْ لِتَقْيِفٍ لَا أُرِيدُ قَتَالَكُمْ وَقُلْ لِتَقْيِفٍ تِلْكَ عِنْدِي فَأَوْعِدِي
هَدَانِي هَادٍ غَيْرَ نَفْسِي وَذَلْنِي إِلَى اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مَطْرَدٍ
أَفِرُّ سَرِيعًا جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ وَأَذْعِي وَلَوْ لَمْ أَنْتَسِبْ لِمُحَمَّدٍ
هُمْ عُضْبَةٌ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهِوَاهُمْ وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلِمُّ وَيُفَنِّدِ
أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَا فِظٍ مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدُ فِي كُلِّ مَقْعَدِ
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا وَلَا كَلَّ عَنْ خَيْرٍ لِسَانِي وَلَا يَدِي
قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ تَوَابِعُ جَاءَتْ مِنْ سِهَامٍ وَسُرْدَدِ
وَأَنَّ الَّذِي أَخْرَجْتُمْ وَشَتَمْتُمْ سَيَسْعَى لَكُمْ سَعْيِي أَمْرِي غَيْرَ قَعْدَدِ

فلما أنشد رسول الله ﷺ إلى الله من طردت كل مطرد، ضرب رسول الله ﷺ في صدره،

فقال: أنت طردتني كل مطرد. (١)



(١) صحيح: رواه الحاكم (٥١٥٧) وابن إسحاق في السيرة (٤٩ / ٤) وصححه ابن حجر المطالب العالية (٤ / ٤١٨) وقال الهيثمي، مجمع الزوائد (٦ / ١٦٧): رجاله رجال الصحيح. وقد ساقه العلامة الألباني في الصحيحة بطوله وسيأتي بعضها وذكر شواهد ثم قال: وبالجملة؛ فالحديث صحيح بهذه الطرق والشواهد، وهو أصح وأتم ما وقفت عليه مسندا في قصة فتح مكة حرسها الله. والله سبحانه وتعالى أعلم. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧ / ١٠٣٠)

ما جاء في إسلام العباس رضي الله عنه

ولما بلغ رسول الله ﷺ الجحفة لقيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مهاجراً بأهله وعياله إلى المدينة، وما كان يعلم عن أمر جيش المسلمين، فدخل على رسول الله ﷺ، وفرح رسول الله ﷺ به فرحاً عظيماً. ^(١)

قال ابن حجر رحمته الله: وقد اختلف في ذلك _ أي في إسلام العباس رضي الله عنه _ فقيل أسلم قبل الهجرة وأقام بأمر النبي ﷺ له في ذلك لمصلحة المسلمين روى ذلك بن سعد ^(٢) من حديث بن عباس وفي إسناده الكلبي وهو متروك ويرده أن العباس أسر بيدر وقد فدى نفسه كما سيأتي في المغازي ووضحا ويرده أيضاً أن الآية التي في قصة المستضعفين نزلت بعد بدر بلا خلاف فالمشهور أنه أسلم قبل فتح خيبر ويدل عليه حديث أنس في قصة الحجاج بن علاط كما أخرجه أحمد والنسائي ^(٣) وروى بن سعد من حديث بن عباس أنه هاجر إلى النبي ﷺ بخيبر ورده بقصة الحجاج المذكور ^(٤) والصحيح أنه هاجر عام الفتح في أول السنة وقدم مع النبي ﷺ فشهد الفتح والله أعلم. ^(٥)

ويبقى معنا أن العباس رضي الله عنه قال لما أُسر يوم بدر: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروني. ^(٦)

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤ / ٤٨)

(٢) في طبقاته (٤ / ٣٢٣)

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٢٤٠٩) والنسائي في السنن الكبرى (٨٦٤٦) وابن حبان (٤٥٣٠) قال ابن كثير ابن كثير في البداية والنهاية (٤ / ٢١٦): إسناده على شرط الشيخين. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٧ / ٦): رجاله رجال الصحيح. والحديث يصححه محققوا المسند.

(٤) أي أن ابن سعد رد قدوم العباس يوم خيبر مستدلاً بقصة الحجاج. انظر الطبقات الكبرى (٤ / ١٢)

(٥) فتح الباري (٣ / ٢٢٠)

(٦) حسن: أخرجه الإمام أحمد (٣٣١٠) - والحاكم (٥٤٦٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢ / ٤٠٩). وحسنه ابن الملقن في البدر المنير (٩ / ١١٧) ومحققوا المسند وانظر فتح الباري (٧ / ٣٢٢)

وأما حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ من بدر ومعه عمه العباس، قال له: يا رسول الله لو أذنت لي فخرجت إلى مكة فهاجرت منها، أو قال: فأهاجر منها، فقال رسول الله ﷺ: يا عم اطمئن فإنك خاتم المهاجرين في الهجرة، كما أنا خاتم النبيين في النبوة. فهو حديث ضعيف جداً في سنده أبو مصعب إسماعيل بن قيس، وهو متروك. ^(١)

وفي مر الظهران عسكر المسلمون وعميت أخبارهم عن قريش وأوقدوا النيران الكثيرة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعدما ذكر قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية بن المغيرة فلما نزل رسول الله بمر الظهران قال العباس: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلاك قريش آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي ألقى بعض الخطابة أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ. فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، قال: فوالله إني لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل به ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالיום قط نيرانا ولا عسكرا، قال: يقول بديل: هذه والله نيران خزاعة قد حمشها الحرب فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. ^(٢)

(١) موضوع: رواه أحمد (١٨١٢) قال أبو حاتم الرازي كما في العلل (٢٦١٩): هذا حديث موضوع، وإسماعيل مَنكَّرُ الْحَدِيثِ. والحديث في السلسلة الضعيفة للألباني (٧٠٣٠)

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٥١٥٧) وابن إسحاق في السيرة (٤٩ / ٤) وصححه ابن حجر المطالب العالية (٤ / ١٨) وقال الهيثمي، مجمع الزوائد (٦ / ١٦٧): رجاله رجال الصحيح. وقد ساقه العلامة الألباني في الصحيحة بطوله وسيأتي بعضها وذكر شواهد ثم قال: وبالجملة؛ فالحديث صحيح بهذه الطرق والشواهد، وهو أصح وأتم ما وقفت عليه مسنداً في قصة فتح مكة حرسها الله. والله سبحانه وتعالى أعلم. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧ / ١٠٣٠)

إسلام أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه

ولما رأى أبو سفيان النيران وكان قد خرج من مكة ومعه حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يلتمسون الأخبار فناده العباس وقدم به على النبي ﷺ فأسلم وكان من أمره ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو جزء من الحديث السابق وتكملة له قال: ... فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فقلت: يا أبا حنظلة، تعرف صوتي؟ فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي؟ فقلت: هذا والله رسول الله في الناس، واصباح قریش! قال: فما الحيلة، فداك أبي وأمي؟ قال: قلت: والله لئن ظفرك بك ليضربن عنقك، فاركب عجز هذه البغلة، فركب، ورجع صاحبه، فخرجت به فكلما مررت بنار من نيران المسلمين، فقالوا: ما هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه، حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي فلما رآه على عجز البغلة عرفه، فقال: والله عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك، فخرج يشد نحو رسول الله ﷺ ودخل، ورفعت البغلة فسبقته بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقترحت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر. فقال: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه، في غير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: قد أجرته يا رسول الله، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا ينجيه الليلة رجل دوني، فلما أكثر عمر، قلت: مهلا يا عمر، فوالله لو كان رجلا من بني عدي ما قلت هذا، ولكنه من بني عبد مناف، فقال: مهلا يا عباس، لا تقل هذا، فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب أبي لو أسلم، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلي رسول الله من إسلام الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: يا عباس اذهب به إلى رحلك، فهذا أصبحت فائتئا به. فذهبت به إلى

الرحل، فلما أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، وأعظم عفوك، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، فقال: ويحك يا أبا سفيان: ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ فقال: بأبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك وأوصلك، وأعظم عفوك، أما هذا فكان في النفس منها حتى الآن شيء. قال العباس: فقلت: ويلك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال العباس: فقلت: يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، فقال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم قال رسول الله ﷺ: احبسه بمضيق من الوادي عند حطم الخيل، حتى تمر به جنود الله. فحبسه العباس حيث أمره رسول الله ﷺ، فمرت القبائل على ركاها، فكلما مرت قبيلة، قال: من هذه؟ فأقول: بنو سليم، فيقول: ما لي ولبنى سليم، ثم تمر أخرى فيقول: ما هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق، قال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد هؤلاء قبل، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيم، فقلت: ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذا، فقلت: النجاء إلى قومك. فخرج حتى أتاهم بمكة، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد، قد أتاكم بما لا قبل لكم به، فقامت امرأته هند بنت عتبة، وأخذت بشاربه فقالت: اقتلوه الحميث الدسم فبئس طليعة قوم، فقال أبو سفيان: لا يغرنكم هذه من أنفسكم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تغني عنا دارك. قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل

المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. ^(١)

وكان سعد بن عباد يحمّل راية الأنصار عند استعراض الجيش فقال لما مر بأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فاشتكى أبو سفيان للرسول ﷺ من قولة سعد فقال الرسول ﷺ: كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة. ^(٢)

وأخذ النبي ﷺ الراية من سعد بن عباد لما بلغه ما قاله لأبي سفيان ودفعها إلى ابنه قيس ثم كلم سعد الرسول ﷺ أن يأخذ الراية من ابنه قيس مخافة أن يقع في خطأ، فأخذها منه.

وذكر بعضهم أن النبي ﷺ دفعها إلى الزبير، وقيل: إلى علي ابن أبي طالب. قال ابن حجر رحمه الله: فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التي نزع من سعد والذي يظهر في الجمع أن علياً أرسل بنزاعها وأن يدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ثم إن سعداً خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحيث أخذها الزبير وهذه القصة الأخيرة قد ذكرها البزار ^(٣) من حديث أنس بإسناد على شرط البخاري ولفظه كان قيس في مقدمة النبي ﷺ لما قدم مكة فكلم سعد النبي ﷺ أن يصرفه عن الموضع الذي فيه مخافة أن يقدم على

(١) صحيح: رواه الحاكم (٥١٥٧) وابن إسحاق في السيرة (٤/ ٤٩) وصححه ابن حجر المطالب العالية (٤/ ٤١٨) وقال الهيثمي، مجمع الزوائد (٦/ ١٦٧): رجاله رجال الصحيح. وقد ساقه العلامة الألباني في الصحيحة بطوله وسيأتي بعضها وذكر شواهد ثم قال: وبالجملة؛ فالحديث صحيح بهذه الطرق والشواهد، وهو أصح وأتم ما وقفت عليه مسنداً في قصة فتح مكة حرسها الله. والله سبحانه وتعالى أعلم. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٠٣٠)

(٢) رواه لبخاري (٤٢٨٠)

(٣) في كشف الأستار برقم (٧٣١٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٧٥): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

شيء فصرفه. (١)

وقد جمعت قريش جموعاً من قبائل شتى ومن أتباعها لحرب المسلمين، وقصدت من ذلك أن تحمي أنفسها فإن أحرزوا نصراً أعانتهم وإلا صالحت المسلمين. فأمر الرسول ﷺ بقتالهم ودخلت جيوشه حتى انتهت إلى الصفا ما يعرض لهم أحد إلا قتلوه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ذكر فتح مكة فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة. فبعث الزبير على إحدى المجنبتين. وبعث خالداً على المجنبة الأخرى. وبعث أبا عبيدة على الحسر. فأخذوا بطن الوادي. ورسول الله ﷺ في كتيبة. قال: فنظر فرآني. فقال أبو هريرة. قلت: لبيك. يا رسول الله! فقال لا يأتيني إلا أنصاري. زاد غير شيان: فقال اهتف لي بالأنصار. قال: فأطافوا به. ووبشت قريش أوباشاً لها وأتباعاً. فقالوا: نقدم هؤلاء. فإن كان لهم شيء كنا معهم. وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا. فقال رسول الله ﷺ: ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم. ثم قال بيديه، إحداهما على الأخرى. ثم قال: حتى توافوني بالصفا. قال: فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله. وما أحد منهم يوجه إلينا شيئاً. قال: فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله! أبيحت خضراء قريش. لا قريش بعد اليوم. ثم قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقالت الأنصار، بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته. قال أبو هريرة: وجاء الوحي. وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا. فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي. فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار! قالوا: لبيك. يا رسول الله! قال قلت: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته. قالوا: قد كان ذاك. قال كلا. إني عبد الله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليك. والمحيا محياكم. والممات مماتكم. فأقبلوا إليه فيكون ويقولون: والله! ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله

وبرسوله. فقال رسول الله ﷺ: إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم. قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان. وأغلق الناس أبوابهم. ^(١)

ودخل الرسول ﷺ مكة من أعلاها من جهة كداء ^(٢)

وفعل رسول الله ﷺ هذا، ودخله من هذا المكان إنما كان تحقيقاً لقول صاحبه الشاعر المبدع حسان بن ثابت حين هجا قريش، وأخبرهم بأن خيل الله تعالى ستدخل من كداء.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطنن وجوه الخيل بالخمير، فتبسم إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر كيف قال حسان. فأنشده قوله:

عدمت بنيتي إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأسنة مسرجات يلطمهن بالخمير النساء

فقال: أدخلوها من حيث قال حسان. ^(٣)

وقد روى هذه الأبيات مطولة مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أن

رسول الله ﷺ قال: اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل! فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم - فهجاهم، فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه! ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم. فقال رسول الله ﷺ: لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها،

(١) رواه مسلم (١٧٨٠)

(٢) رواه البخاري (٤٢٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) حسن: أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٩٩٠) والحاكم (٤٤٤٢) والبيهقي في دلائل النبوة

(٦٦/٥) باختلاف يسير. قال ابن حجر في فتح الباري لابن حجر (٦٠٣/٧): إسناده حسن. وقال

العيني في نخب الأفكار (١٤/١٤): إسناده صحيح

وإن لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي. فأتاه حسان، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله. وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هجاهم حسان فشفى واشتفى. قال حسان:

هجوت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا حنيفا	رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي إن لم تروها	تثير النقع من كنفي كداء
يارين الأعنة مصعدات	على أكتافها الأسل الظماء
تظل جياننا متمطرات	تلطمهن بالخمير النساء
فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا	وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا للضراب يوم	يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا	يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا	هم الأنصار عرضتها اللقاء
يلاقى كل يوم من معد	سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم	ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا	وروح القدس ليس له كفاء ^(١)

وكان الرسول ﷺ قد أمر قادة جيشه ألا يقاتلوا إلا من يقاتلهم، وأعلن الأمان للناس سوى أربعة رجال وامرأتين أباح دماءهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة وهم: عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابه وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح، وقد قتل عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وقتل مقيس بن صبابه في سوق مكة، وتمكن عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن سعد بن أبي سرح من الوصول إلى رسول الله ﷺ حيث أعلننا إسلامهما وحقنا بذلك دمهما.



إسلام عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنهما

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس ألا أربعة نفر وامرأتين، وقال: اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابه، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح. فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عمارا، وكان أشب الرجلين، فقتله، وأما مقيس بن صبابه، فأدركه الناس في السوق فقتلوه. وأما عكرمة، فركب البحر، فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن ألتهكم لا تغني عنكم شيئا ها هنا. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك علي عهدا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا ﷺ حتى أضع يدي في يده، فلا جدنه عفوا كريما فجاء فأسلم. وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ قال: يا رسول الله بايع عبد الله قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأي كفت يدي عن بيعته، فيقتله، فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أو مات إلينا بعينك، قال: إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين. ^(١)

وهؤلاء الذين أهدرت دماؤهم كانوا ممن ألحق الأذى الشديد بالمسلمين، فكان

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٨٣) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٥٢١) - والحاكم (٢٣٧٦) و السدرا قطني في السنن (٣٠٢٢) والنسائي (٤٠٧٨) وأورده ابن الأثير في جامع الأصول (٦١٤٩) وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٤٥٠/٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/٦): رجاله ثقات. وكذا قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢٤٥/٥) وصححه لألباني في صحيح أبي داود (٢٦٨٣) وصحيح النسائي (٤٠٧٨)

في إهدار دمهم عبرة لم تسول له نفسه الظلم والطغيان على أمل أن ينجو من العقاب طمعا في رحمة الإسلام وطيبة أتباعه. ^(١)

وأما عامة أهل مكة فقد نالهم عفو عام رغم أنواع الأذى التي ألحقوها بالرسول ﷺ ودعوته، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادةهم، فاختار الرسول ﷺ أن يعفو عنهم ويصبر على ما كان منهم ويدع عقوبتهم تفضلا منه واحتسابا.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد قتل من الأنصار أربعة وستون رجلا، ومن المهاجرين ستة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين، لنربين عليهم، فلما كان يوم الفتح قال رجل لا يعرف: لا قریش بعد اليوم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: أَمِنَ الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا، نَاسًا سَمَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] فقال رسول الله ﷺ: نصبر ولا نعاقب. ^(٢)

وقد أباح النبي ﷺ لخزاعة أن تثار من بني بكر في اليوم الأول من فتح مكة حتى العصر، وذلك لما كان من غدر بني بكر بخزاعة قبل الفتح رغم دخولها في صلح الحديبية. فلما كان العصر أعلن وقف أي قتال بمكة وأوضح حرمتها.

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ، قال: كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر. فأذن لهم، حتى صلى العصر، ثم قال: كفوا السلاح. فلقي رجلا من خزاعة رجلا من بني بكر، من غد، بالمزدلفة، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقام خطيبا، فقال، ورأيت أنه وهو مسند ظهره إلى الكعبة، قال:

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢/ ٤٨٠)

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣١٢٩) والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٧٩) وأحمد (٢١٢٢٩) واللفظ له. وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٩٢٤٠) ولألباني في صحيح الجامع (٦٧٦١)

إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول الجاهلية. (١)

ولم ينزل رسول الله ﷺ في بيته بمكة بل ضربت له قبة في الحجون في المكان الذي تعاقدت فيه قريش على مقاطعة بني هاشم والمسلمين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: منزلنا إن شاء الله، إذا فتح الله، الخيف حيث تقاسموا على الكفر. (٢)

ولم يدخل الرسول ﷺ مكة دخول الفاتحين المتغترسين، بل كان خاشعاً لله شاكراً لأنعمه يقرأ سورة الفتح ويرجع في قرائتها وهو على راحلته، بل إنه لما طاف بالكعبة استلم الركن بمحجنه كراهة أن يزاحم الطائفين وتعليماً لأمته.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعاً. (٣)

وعن عبد الله بن مغفل المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح، قال: فرجّع فيها. (٤)

عن صفية بنت شيبة، قالت: لما اطمأن رسول الله ﷺ عام الفتح، طاف على بعير يستلم الركن بمحجن بيده. (٥)

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٢٧٤) والترمذي (١٣٩٠) والنسائي (٤٨٥١) وابن ماجه (٢٦٥٣) مختصراً، وأحمد (٦٩٣٣) واللفظ له. قال لهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٠ / ٦): رجاله ثقات. وحسنه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٤٦١ / ١) وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند لشاكر (١١ / ١٤٠) وقال الألباني في صحيح الموارد (١٤١٩): حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري (٤٢٨٤) ومسلم (١٣٥١)

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٤٤١٩) وقال: صحيح على شرط مسلم. ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٥ / ٦٨). وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام (٥٤٨ / ٢) وسير أعلام النبلاء (سيرة ٢ / ١٧٦)

(٤) رواه البخاري (٧٥٤٠)

(٥) حسن: رواه ابن ماجه (٢٩٤٧) وأبو داود (١٨٧٨) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٠٢)

وقد بين الرسول ﷺ حرمة مكة وأنها لا تغزى بعد الفتح، كما أعلى من مكانة قريش فأعلن أنه لا يقتل قرشي صبرا بعد يوم الفتح إلى يوم القيامة.

عن عبد الله بن مطيع بن الأسود، عن أبيه، وكان اسمه العاصي فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً قال: سمعت رسول الله ﷺ حين أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول: لا تغزى مكة بعد هذا العام أبداً، ولا يقتل رجل من قريش صبرا بعد العام. ^(١)

وفي رواية مسلم: سمعت النبي ﷺ يقول يوم فتح مكة: لا يقتل قرشي صبرا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة. ^(٢)

وقد أمر الرسول ﷺ بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها، وشارك في ذلك بيده فكان يهوي بقوسه إليها فتساقط وهو يقرأ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] وكانت ستين وثلاثمائة من الأنصاب ولطح بالزعفران صور إبراهيم وإسماعيل وإسحق وهم يستقسمون بالأزلام وكانت هذه الصور داخل الكعبة، وقال: قاتلهم الله ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام. وفي رواية أن صورة مريم كانت داخل الكعبة أيضاً. ولم يدخل الرسول ﷺ الكعبة إلى بعد أن محيت هذه الصور منها. ثم دخلها فصلى فيها ركعتين.

عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]. ^(٣)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه

(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٤٠٨) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥٠٧) وصححه ابن حزم في المحلى (٩٥/١١) وقال الهيثمي، مجمع الزوائد (٢٨٧/٣): رجاله ثقات. وصححه محققوا المسند.

(٢) رواه مسلم (١٤٠٩)

(٣) رواه البخاري (٤٧٢٠) ومسلم (١٧٨١)

الآلهة فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام فقال النبي ﷺ: قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط. ^(١)

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دخل النبي ﷺ البيت، فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم، فقال: أما لهم، فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة، هذا إبراهيم مصور، فما له يستقسم. ^(٢)

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء أتى يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها النبي ﷺ حتى محيت كل صورة فيها. ^(٣)

وعن أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فدعا رسول الله ﷺ بدلو من ماء، فأتيته به، فجعل يمحوها، ويقول: قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون. ^(٤)

تنبيه:

سبق أن رسول الله ﷺ كان قد أمر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمسح الصور، ووقع في رواية أسامة السابقة أن رسول الله ﷺ هو الذي مسحها.

قال الحافظ في الفتح: والذي يظهر أنه محام كان من الصور مدهونا مثلاً وأخرج ما كان مخروطاً وأما حديث أسامة أن النبي ﷺ دخل الكعبة فرأى صورة إبراهيم

(١) رواه البخاري (٤٢٨٨)

(٢) رواه لبيخاري (٣٣٥١)

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤١٥٦) وابن حبان (٥٨٥٧) أحمد (١٥١٠٩) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٧٩) والبيهقي (٧/ ٢٦٨) باختلاف يسير. وجوّد إسناده ابن باز كما في مجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ٤) وصححه لألباني في صحيح أبي داود (٤١٥٦) والوادعي في الصحيح المسند (١/ ١٨٤)

(٤) صحيح: رواه الطيالسي في مسنده (٦٥٧) وابن أبي شيبه (٣٩٦٨٢) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٩٢١) والطبراني في المعجم الكبير (٤٠٧) والبيهقي في شعب الإيمان (٦٣١٦) والضياء المقدسي في المختارة (١٣٣٦) وصححه لألباني في صحيح الجامع (٤٢٩٢) والسلسلة الصحيحة (٦٢٣)

فدعا بماء فجعل يمحوها وقد تقدم في الحج فهو محمول على أنه بقيت بقية خفي على من محاهها أولاً. ^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ البيت، هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فأغلقوا عليهم، فلما فتحوا، كنت أول من ولج، فلقيت بلالا، فسألته: هل صلى فيه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، بين العمودين اليمانيين. ^(٢)

وقد خطب الرسول ﷺ بمكة وبين دية الخطأ شبه العمد، وألغى مآثر الجاهلية وثاراتها واستثنى سقاية الحاج وسدنة البيت فاستبقاهما.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة، فكبر ثلاثاً، ثم قال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده إلى ههنا حفظته عن مسدد ثم اتفقا ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت ثم قال: ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل منها أربعون في بطونها أولادها. ^(٣)

وبين ﷺ إبطال أحلاف الجاهلية إلا ما كان من المعاقدة على الخير ونصرة الحق وصلة الأرحام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي

(١) فتح الباري لابن حجر (٨ / ١٧)

(٢) رواه البخاري (١٥٩٨) ومسلم (١٣٢٩) باختلاف يسير

(٣) حسن: رواه النسائي (٤٧٩١) وابن ماجه (٢٦٢٧) وأحمد (٦٥٣٣) وأبو داود (٤٥٤٧) واللفظ له

وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٥٨٨)

تدفع بأنفها التتن. (١)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، قام في الناس خطيباً، فقال: يا أيها الناس، إنه ما كان من حلف في الجاهلية، فإن الإسلام لم يزد إلا شدة، ولا حلف في الإسلام، والمسلمون يد على من سواهم، تكافأ دماؤهم، يجير عليهم أذناهم، ويرد عليهم أقصاهم؛ ترد سراياهم على قعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر، دية الكافر نصف دية المسلم، لا جلب ولا جنب؛ ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في ديارهم. (٢)

وبين النبي ﷺ تحريم مكة وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولقطتها وتحريم القتال فيها وبين أن الله تعالى أحلها له ساعة وقت الفتح، وأوضح أن لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية.

عن أبي شريح رضي الله عنه: أنه قال لعمر بن سعيد - وهو يبعث البعوث إلى مكة - ائذن لي أيها الأمير، أحدثك قولاً قام به النبي ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به: حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً، ولا يعضد فيها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٥) باختلاف يسير وأحمد (١٠٧٨١) واللفظ له وصححه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢٤٧/١) والألباني في صحيح الترغيب (٢٩٢٢) وصحيح أبي داود (٥١١٦)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٩١، ٢٧٥١) مفرقاً باختلاف يسير، والترمذي (١٤١٣، ١٥٨٥) مفرقاً مختصراً باختلاف يسير، والنسائي (٤٨٠٦) بنحوه مختصراً، وابن ماجه (٢٦٨٥، ٢٦٥٩) مفرقاً مختصراً، وأحمد (٦٦٩٢) واللفظ له. وصححه أحمد شاكر، تخريج المسند (١٦٨/١٠) وصححه محققوا المسند.

حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب. ^(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: لما فتح الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قام في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدي فلا ينفر صيدها، ولا يختلي شوكرها، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يفدى، وإما أن يقتل، فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله؛ فإننا نجعله في قبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلا الإذخر، فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتبوا لأبي شاه. ^(٢)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا». ^(٣)



(١) رواه البخاري (١٠٤)

(٢) رواه البخاري (٢٤٣٤) ومسلم (١٣٥٥)

(٣) رواه البخاري (١٥٨٧) ومسلم (١٣٥٣)

إسلام أبي قحافة والد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

لما جلس رسول الله ﷺ في المسجد خرج أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجاء بأبيه يقوده، وكان قد عمي فأسلم.

عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد أتاه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه. قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: أسلم. فأسلم، ودخل به أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله ﷺ، ورأسه كأنه ثغامة، فقال رسول الله ﷺ: غيروا هذا من شعره. ^(١)



(١) حسن: أخرجه أحمد (٢٦٩٥٦) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٦٨٤) وابن حبان (٧٢٠٨) قال الهيثمي، مجمع الزوائد (١٧٦/٦): رجاله ثقات. وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (١٥٢٧)

السرايا والبعوث التي بعثها رسول الله ﷺ أثناء وجوده بمكة

سرية خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْعِزَى

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٣- ثُمَّ إِلَى الْعِزَى مَضَى خَالِدٌ حَيْثُ قَوَّضَا

الشرح

قال الطبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العزى من العزير، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، وكانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. (١)

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ثلاثين فارساً من الصحابة لهدم العزى، وذلك لخمس ليالي بقين من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة. (٢)

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، فأتاها خالد بن الوليد وكانت على تلال السمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره، فقال: «ارجع، فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما نظرت إليه السدنة -وهم حجابها- أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزى خبليه، يا عزى عوريه، وإلا فموتي برغم. قال: فأتاها خالد، فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها، فعممها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبره، قال: تلك العزى. (٣)

(١) تفسير الطبري (١١ / ٥٢٠) وقول أبي سفيان يوم أحد وأمر بالجواب رسول الله ﷺ ثابت في البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء

(٢) انظر السيرة لابن هشام (٤ / ١١٢) والطبقات لابن سعد (٢ / ١٤٥)

(٣) حسن: رواه أبو يعلى (٩٠٢) والنسائي في الكبرى (١١٥٤٧) والبيهقي في دلائل النبوة (١٨٢٤) وأبو نعيم في الدلائل (١ / ٤٤٤) وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥٣٥) وحسنه.

سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى سواع

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٤- وَجَاءَ عَمْرُو بَعْدَهَا سُوَاعٌ حَتَّى هَدَّهَا

الشرح

سواع صنم لهذيل كما رواه البخاري ^(١) عن ابن عباس رضي الله عنه وفيه أنه قال وأما سواع: كانت لهذيل.

وقال ابن سعد رحمته الله: ثم سرية عمرو بن العاص إلى سواع في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

قالوا: بعث النبي، صلى الله عليه وسلم، حين فتح مكة عمرو بن العاص إلى سواع، صنم هذيل، ليهدمه. قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن أهدمه، قال: لا تقدر على ذلك، قلت: لم؟ قال: تمنع! قلت: حتى الآن أنت في الباطل! ويحك وهل يسمع أو يبصر! قال: فدنوت منه فكسرتة وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله. ^(٢)

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠)

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ١٤٦) بدون إسناد وانظر تاريخ الطبري (٣/ ٦٦) ونهاية الأرب في فنون الأدب (١٧/ ٣١٥) وعيون الأثر (٢/ ٢٣٣) ثم رأيت مسنداً في أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٢٧) وفيه الواقدي وهو متروك.

سرية سعد بن زيد رضي الله عنه إلى مناة

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٥ - وهَدَّ سَعْدُ الْأَشْهَلِي مَنَاءَ بِالْمُشَلِّ

الشرح

قال ابن سعد رحمته الله: ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ. قالوا: بعث رسول الله ﷺ حين فتح مكة سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة. وكانت بالمشلل للأوس والخزرج وغسان. فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشهلي يهدمها فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن.

فقال السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة! قال: أنت وذاك! فأقبل سعد يمشي إليها وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها. فقال السادن: مناة دونك بعض غضباتك! ويضربها سعد بن زيد الأشهلي وقتلها ويقبل إلى الصنم معه أصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانها شيئاً وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان. ^(١)

قال ابن كثير رحمته الله: وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه. ^(٢)

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ١١٢) ولم يذكر لهذا اسناد وانظر تاريخ الطبري (٣/ ٦٦) وعيون الأثر (٢/ ٢٣٤) وذكر ابن هشام: أن الذي بعثه النبي ﷺ لهدم مناة: أبو سفيان بن حرب، ويقال: علي بن أبي طالب. انظر سيرة ابن هشام (١/ ٧٩)

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٣) وأثر في البخاري برقم (٤٤٩٥)

سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٦- وَالْوَفْعَةُ الْأَلِيمَةُ عَلَى بَنِي جَذِيمَةٍ

الشرح

قال ابن سعد رحمته الله: ثم سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة، وكانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يكلمهم في شوال سنة ثمان من مهاجر رسول الله، ﷺ.^(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنه فقال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صباناً صباناً، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد. مرتين.^(٢)

قال ابن حجر رحمته الله: والذي يظهر أن التبرؤ من الفعل لا يستلزم إثم فاعله، ولا إلزامه الغرامة، فإن إثم المخطئ مرفوع، وإن كان فعله ليس بمحمود.^(٣)

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ١٣٦)

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٣٩)

(٣) فتح الباري (٩٠ / ١٥)

غزوة حنين

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٧- ثُمَّ حَنَيْنٌ: وَأَنْتَ صَرٌّ بَعْدَ عَنَاءٍ وَخَطَرٍ

الشرح

قال الحافظ ابن حجر: حنين: بالتصغير، واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات. (١)

وتعرف الآن بالشرائع. (٢)

ويقال لها غزوة أوطاس، وهو الموضع الذي كانت به الوقعة في آخر الأمر، ويقال لها أيضا: غزوة هوازن.

وأوطاس: واد في ديار هوازن، وهناك عسكروا هم وثقيف، ثم التقوا بحنين. (٣)

وهوازن: بفتح الهاء، وكسر الزاي قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون، سميت الغزوة بها؛ لأنهم هم الذين أتوا لقتال النبي ﷺ وجمعوا لحربه. (٤)

وكانت غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح. (٥)

وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، وخضعت له قريش، خاف أشراف هوازن وثقيف أن يغزوهم رسول الله ﷺ، فحشدوا وعزموا على قتاله. (٦)

(١) الفتح (٨ / ٣٤٣)

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢ / ٤٩٦)

(٣) انظر فتح الباري (٨ / ٣٦٢)

(٤) انظر شرح المواهب (٣ / ٤٩٧)

(٥) سيرة ابن هشام (٢ / ٤٣٧)

(٦) انظر فتح الباري (٨ / ٣٤٣) وسيرة ابن هشام (٤ / ٨٧) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٣٢٤)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سار إلى حنين لما فرغ من فتح مكة جمع مالك بن عوف النصري من بني نصر، وجشم ومن سعد بن بكر وأوزاع من بني هلال، وناسا من بني عمرو بن عاصم بن عوف بن عامر، وأوزعت معهم الأحلاف من ثقيف، وبنو مالك، ثم سار بهم إلى رسول الله ﷺ، وسار مع الأموال والنساء والأبناء، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث عبد الرحمن بن أبي حدرد الأسلمي، فقال: اذهب فادخل بالقوم حتى تعلم لنا من علمهم. فدخل فمكث فيهم يوما أو يومين، ثم أقبل فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال عمر: كذب ابن أبي حدرد، فقال ابن أبي حدرد: إن كذبتني فربما كذبت من هو خير مني، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال رسول الله ﷺ: قد كنت يا عمر ضالا فهداك الله عز وجل. ثم بعث رسول الله ﷺ إلى صفوان بن أمية فسأله أدراعا مائة درع، وما يصلحها من عدتها، فقال: أغصبا يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك. ثم خرج رسول الله ﷺ سائرا. (١)

وبعد أن جمع رسول الله ﷺ المعلومات العسكرية المطلوبة عن جيش هوازن، استعد لمواجهتهم، فاستعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية - وكان ما زال مشركا - أدراعا وسلاحا، فقال صفوان: أغصبا يا محمد؟ قال رسول الله ﷺ: بل عارية مضمونة، فأعار صفوان رسول الله ﷺ مائة درع. (٢)

وبعد أن أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوما، خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفا، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية

(١) حسن: رواه الحاكم (٤٤٢٣) وحسنه لألباني في إرواء الغليل (٥/ ٣٤٥)

(٢) المصدر السابق

ابن عبد شمس على مكة، أميرا على من تخلف عنه من الناس، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن. ^(١)

وفي الطريق إلى حنين رأوا شجرة خضراء عظيمة يقال لها: ذات أنواط، كانت العرب تعلق عليها أسلحتهم، ويذبحون عندها ويعكفون عليها، فقال بعض الناس من الطلقاء ممن هم حديثو عهد بالجاهلية: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط ^(٢)، قال: فمررنا بسدرة خضراء عظيمة، قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط! فقال رسول الله ﷺ: " قُتِمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: { أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ } قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف: ١٣٨] إنها السنن، لتركن سنن من كان قبلكم سنة سنة. ^(٣)

وفي الطريق بشر الرسول ﷺ من معه بغنيمة حنين وطلب حارسا يحرسهم عند المبيت.

عن سهيل بن الحنظلية رضي الله عنه: أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فأطنبوا السير، حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ،

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤٠) وتاريخ خليفة (٨٨) وتاريخ الطبري (٣/ ٧٣)

(٢) ذات أنواط: هو اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم، أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها. انظر النهاية (٥/ ١١٣)

(٣) صحيح: أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١١٨٥) والترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٢١٩٠٠) واللفظ له. وصححه ابن باز كما مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٣٧) والألباني في صحيح الترمذي (٢١٨٠)

وقال: تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله. ثم قال: من يحرسنا الليلة؟ فقال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول؟ قال: فاركب فركب فرسا له فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه، ولا نغرن من قبلك الليلة. فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين ثم قال: هل أحسستم فارسكم؟ قالوا: يا رسول الله، ما أحسنه فثوب بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ يصلي، وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته، وسلم، قال: أبشروا فقد جاءكم فارسكم. فجعلنا نلحق إلى الشجرة في الشعب فهذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ، وسلم فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحدا، فقال له رسول الله ﷺ: هل نزلت الليلة؟ قال: لا إلا مصليا أو قاضي حاجة. فقال له رسول الله ﷺ: فقد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها. ^(١)

وفي طريق النبي ﷺ ومن معه إلى حنين رأوا رجلاً يتجسس على الجيش فتبعه سلمة بن الأكوع فقتله.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن. فبينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر، فأناخه. ثم انتزع طلقاً من حقه، فقيده به الجمل. ثم تقدم يتغدى مع القوم. وجعل ينظر، وفينا ضعفة ورقة في الظهر، وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتد، فأتى جملة فأطلق قيده، ثم أناخه وقعد عليه، فأثاره، فاشتد به الجمل، فأتبعه رجل على ناقة ورقاء. قال سلمة: وخرجت أشتد. فكنت عند ورك الناقة. ثم تقدمت. حتى كنت عند ورك الجمل. ثم تقدمت حتى

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٠١) والنسائي في السنن الكبرى (٨٨٧٠) والطبراني (٥٦١٩) باختلاف يسير وحسنه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري لابن حجر (٦٢٢/٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٢٣٥) وصحيح أبي داود (٢٥٠١) والوادعي في الصحيح المسند (٤٦٢)

أخذت بخطام الجمل، فأنخته. فلما وضع ركبه في الأرض اخترطت سيفي، فضربت رأس الرجل فندر ثم جئت بالجمل أقوده. عليه رحله وسلاحه. فاستقبلني رسول الله ﷺ، والناس معه. فقال: من قتل الرجل؟ قالوا: ابن الأكوع. قال: له سلبه أجمع. (١)

ثم أكمل رسول الله ﷺ بجيشه حتى وصل إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال. ولما كان من الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه، فعبأهم في وادي حنين، وكان قد سبق المسلمين إليه، وفرق الناس فيه، وأوعز إليهم أن يرشقوا المسلمين بالنبل أول ما يطلعون، ثم يحملوا عليهم حملة رجل واحد. وفي السحر عبأ رسول الله ﷺ جيشه، وعقد الألوية والرايات، ورتب جنده في هيئة صفوف منتظمة، وركب رسول الله ﷺ بغلته البيضاء - التي أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي - ولبس درعين، والمغفر والبيضة، واستقبل الصفوف، وطاف عليهم، فأمرهم وحضهم على القتال، وبشرهم بالفتح إن صبروا وصدقوا. واستعمل رسول الله ﷺ على بني سليم خالد بن الوليد رضي الله عنه، فلم يزل على مقدمته حتى ورد الجعرانة. (٢)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: افتتحنا مكة، ثم إنا غزونا حينما فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت قال: فصفت الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم صفت النعم، قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف، وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد. (٣)

ولما دخل جيش الإسلام حيناً وجدوا المشركين قد سبقوهم إليه واعدوا لهم الكمائن.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما استقبلنا وادي حنين، قال: انحدرنا في واد من

(١) رواه مسلم (١٧٥٤)

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٢٥ / ٢)

(٣) رواه مسلم (١٠٥٩)

أودية تهامة أجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحدارا، قال: وفي عماية الصبح وقد كان القوم كمنوا لنا في شعابه وفي أجنابه ومضايقه قد أجمعوا وتبيئوا وأعدوا، قال: فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد، وانهمز الناس راجعين فاستمروا لا يلوي أحد منهم على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: "إلي أيها الناس، هلم إلي، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله"، قال: فلا شيء احتملت الإبل بعضها بعضا فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطا من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير، وفيمن ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وابنه الفضل بن عباس وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وأيمن بن عبيد وهو ابن أم أيمن وأسامة بن زيد، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، في يده راية له سوداء في رأس رمح طويل له أمام الناس وهوازن خلفه، فإذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه فاتبعوه. قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة ذلك يصنع ما يصنع إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه علي من خلفه، فضرب عرقوبي الجمل فوق وقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه، فانعجف عن رحله واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ. (١)

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، وثبت معه نفر قليل من المهاجرين والأنصار، وأهل

بيته، فيهم: أبو بكر، وعمر، وعلي بن أبي طالب، والعباس، وابنه الفضل، وأبو سفيان

(١) حسن: أخرجه أحمد (١٥٠٢٧) واللفظ له وأبو يعلى (١٨٦٢) وابن حبان (٤٧٧٤) وحسنه الألباني في تخريج فقه السيرة (٣٨٩) والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٥٠/٧) ومحققوا المسند.

بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وأخذ رسول الله ﷺ ينادي: إلي أيها الناس! هلموا إلي! أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، لكن لم يلتفت منهم أحد. ثم أخذ رسول الله ﷺ يركض بيغلته قبل المشركين، وهو يقول: أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد رأيتنا يوم حنين وإن الفئتين لموليتين، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل. ^(١)

قال ابن حجر رحمته الله: وهذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين وروى أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار فكنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة. ^(٢) وهذا لا يخالف حديث بن عمر فإنه نفى أن يكونوا مائة وبن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين. ^(٣)

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي (١٦٨٩) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٩٧٦) والطوسي في مختصر الأحكام (١٤٣٢) وصححه ابن العربي في أحكام القرآن (٤١٤/٢) والألباني في صحيح الترمذي (١٦٨٩)

(٢) **ضعيف:** أخرجه أحمد (٤٣٣٦) والبزار (١٩٩٨) والطبراني (٢٠٩/١٠) والحاكم (١٠٣٥١) باختلاف يسير. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣/٦): رجاله رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وهو ثقة. وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند (١٥٩/٦) قال محققوا المسند: إسناده ضعيف. عبد الرحمن والد القاسم - وهو ابن عبد الله بن مسعود - يترجح عدم سماعه هذا الخبر من أبيه، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة، فمن رجال النسائي، وروى له البخاري في الأدب المفرد، وهو مختلف فيه، فوثقه ابن معين والنسائي والعجلي وابن نمير، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو داود: شيعي صدوق، وقال ابن عدي: على ضعفه يكتب حديثه، وقال أبو حاتم: لولا أن الثوري روى عنه لترك حديثه. مسند أحمد (٧/ ٣٥٥ ط الرسالة)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٣٠)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما استقبلنا وادي حنين، قال: انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحدارا، قال: وفي عماية الصبح، وقد كان القوم كمنوا لنا في شعابه وفي أحنائه ومضايقه، قد أجمعوا وتهيؤوا وأعدوا، قال: فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد، وانهمز الناس راجعين، فاستمروا لا يلوي أحد منهم على أحد. وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: "إلي أيها الناس، هلموا إلي، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله" قال: فلا شيء، احتملت الإبل بعضها بعضا، فانطلق الناس، إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطا من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير، ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعه بن الحارث، وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد. ^(١)

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رجلا من قيس سأله، فقال: أكتتم وليتم يوم حنين؟ يا أبا عمار! فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولي. ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن. وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل. كأنها رجل من جراد. فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ. وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته. فنزل، ودعا، واستنصر، وهو يقول: أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم! نزل نصرك. ^(٢)

وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع ذلك على بغلته، وليست سريعة الجري، ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لهرب، وهو مع هذا أيضا يركضها إلى وجوههم، وينوه باسمه ليعرفه

(١) أخرجه أحمد (١٥٠٢٧) واللفظ له وأبو يعلى (١٨٦٢) وابن حبان (٤٧٧٤) وحسنه محققو المسند.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣١٦) ومسلم (١٧٧٦) واللفظ له

من يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكلاً عليه، وعلماً منه بأنه سينصره ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان. ^(١)

ثم نزل رسول الله ﷺ عن بغلته، فاستنصر ربه ودعاه قائلاً: اللهم! نزل نصرك. ^(٢)
اللهم إن تشأ ألا تعبد بعد اليوم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ يوم حنين: اللهم إن تشأ ألا تعبد بعد اليوم. ^(٣)

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحرك شفثيه أيام حنين بشيء لم يكن يفعله قبل ذلك. قال: فقال النبي ﷺ: إن نبيا كان فيمن كان قبلكم أعجبه أمته، فقال: لن يروم هؤلاء شيء، فأوحى الله إليه أن خيرهم بين إحدى ثلاث، إما أن أسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيحهم، أو الجوع أو الموت. قال: فقالوا: أما القتل أو الجوع، فلا طاقة لنا به ولكن الموت. قال: قال رسول الله ﷺ: فمات في ثلاث سبعون ألفاً. قال: فقال: فأنا أقول الآن: اللهم بك أحاول، وبك أصول، وبك أقاتل. ^(٤)

وأخذ رسول الله ﷺ يقاتل، والصحابة الذين ثبتوا يقاتلون معه، ويتقون به لشجاعته وثباته رضي الله عنه كعادتهم في مثل هذه المواقف العصيبة.

عن قال البراء بن عازب رضي الله عنه: كنا - أي في غزوة حنين - والله! إذا احمر البأس نتقي به. وإن الشجاع منا للذي يحاذي به. يعني النبي ﷺ. ^(٥)

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٨)

(٢) رواه مسلم (١٧٧٦) من حديث البراء وقد تقدم

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٢٢٢٠) واللفظ له، وابن أبي شيبة (٣٠٢٠٠) وإسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر مسند أحمد (١٩/ ٢٥٠ ط الرسالة)

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٨٩٣٣) وهو في الصحيح المسند للوادعي (٥٠٨)

(٥) رواه مسلم (١٧٧٦)

ثم قال رسول الله ﷺ لعنه العباس **وكان رجلا صيتا: يا عباس! ناد أصحاب السمرة.**

عن كثير بن عباس بن عبد المطلب. قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين. فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ. فلم نفارقه. ورسول الله ﷺ على بغلة له، بيضاء. أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي. فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين. فطفق رسول الله ﷺ يركض على بغلته قبل الكفار. قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ. أكفها إرادة أن لا تسرع. وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ أي عباس! ناد أصحاب السمرة. فقال عباس وكان رجلا صيتا: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله! لكان عطفهم، حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك! يا لبيك! قال: فاقتلوا والكفار. والدعوة في الأنصار. يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج. فقالوا: يا نبي الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن الخزرج! فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته، كالمطاول عليها، إلى قتالهم. فقال رسول الله ﷺ: هذا حين حمي الوطيس. قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار. ثم قال انهزموا. ورب محمد! قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله! ما هو إلا أن رماهم بحصياته. فما زلت أرى حذهم قليلا وأمرهم مدبرا. ^(١)

وعن أنس بن مالك؛ قال: لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان، بذرايرهم ونعمهم. ومع النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف. ومعه الطلقاء. فأدبروا عنه. حتى بقي وحده. قال: فنادى يومئذ نداءين. لم يخلط بينهما شيئا. قال: فالتفت عن يمينه فقال: يا معشر الأنصار! فقالوا: لبيك، يا رسول الله! أبشر نحن معك. قال: ثم التفت عن

يساره فقال: يا معشر الأنصار! قالوا: لبيك، يا رسول الله! أبشر نحن معك. قال: ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار! قالوا: لبيك، يا رسول الله! أبشر نحن معك. قال: وهو على بغلة بيضاء. فنزل فقال: أنا عبد الله ورسوله. فانهزم المشركون. وأصاب رسول الله ﷺ غنائم كثيرة. (١)

ولم يُعَنَّفِ الرسول ﷺ أحدا ممن فر عنه، بل لما قالت له أم سليم الأنصارية أن يقتل الطلقاء لفرارهم قال: إن الله قد كفى وأحسن وكانت أم سليم تحمل خنجرا تدافع به عن نفسها في المعركة.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا، فكان معها، فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هذا الخنجر؟ قالت: اتخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن. (٢)

وانهزمت هوازن وتفرقت في الجبال والأودية، وتحصن مالك بن عوف النصري بالطائف في حين عسكر آخرون منهم بأوطاس - وهو واد بين الطائف وحنين - وعسكر بنو غيرة من ثقيف في نخلة بين سبواحة وحنين. (٣)

وقد تبعت خيل المسلمين من سلك في نخلة من هوازن، وأرسل النبي ﷺ أبا عامر الأشعري إلى أوطاس فقاتلهم واتشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد، وهزم الله أصحابه، قال أبو

(١) رواه مسلم (١٠٥٩)

(٢) رواه مسلم (١٨٠٩)

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥٣ - ٤٥٤)

موسى عليه السلام: وبعثني مع أبي عامر فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأثبتته في ركبته، فانتهيت إليه، فقلت: يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى، فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له فلحقته، فلما رأيته ولى فاتبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحي ألا تثبت، فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: إن الله قد قتل صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء، فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي. قال أبو موسى عليه السلام: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيرا، ثم إنه مات، فلما مات رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فدخلت عليه، وهو في بيت على سرير مرمّل، وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجنبه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال: قل له يستغفر لي، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم اغفر لعبيد، أبي عامر. حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم! اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس. فقلت: ولي يا رسول الله! فاستغفر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما. ^(١)

قال ابن حجر رحمته الله: وقوله فقتل رويناه على البناء للمجهول واختلف في قاتله - أي دريد - فجزم محمد بن إسحاق بأنه ربيعة بن ربيع... وروى البزار ^(٢) في مسند أنس بإسناد حسن ما يشعر بأن قاتل دريد بن الصمة هو الزبير بن العوام ولفظه لما انهمز المشركون انحاز دريد بن الصمة في ستمائة نفس على أكمة فرأوا كتيبة فقال خلوهم لي فخلوهم فقال هذه قضاة ولا بأس عليكم ثم رأوا كتيبة مثل ذلك فقال هذه سليم ثم رأوا فارسا وحده فقال خلوه لي فقالوا معتجر بعمامة سوداء فقال هذا

(١) رواه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨)

(٢) رواه البزار (٦٥١٨) وحسنه العيني في عمدة القاري (٤٠٢/١٧)

الزبير بن العوام وهو قاتلكم ومخرجكم من مكانكم هذا قال فالتفت الزبير فرآهم فقال علام هؤلاء ها هنا فمضى إليهم وتبعه جماعة فقتلوا منهم ثلاثمائة فحز رأس دريد بن الصمة فجعله بين يديه ويحتمل أن يكون بن الدغنة كان في جماعة الزبير فباشر قتله فنسب إلى الزبير مجازا وكان دريد من الشعراء الفرسان المشهورين في الجاهلية ويقال إنه كان لما قتل بن عشرين ويقال بن ستين ومائة سنة. ^(١)

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم، فجمعت، وكان السبي ستة آلاف من النساء والأطفال، والإبل أربعة وعشرون ألفا، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، فجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري رضي الله عنه، ثم أمر بها فحبست بالجعرانة، ولم يقسمها حتى انصرف من غزوة الطائف وكانت خسارة المسلمين طفيفة جدا، فقد استشهد من المسلمين يوم حنين أربعة نفر، وهم: أيمن بن عبيد ابن أم أيمن، ويزيد بن زمعة الأسدي، وسراقة بن الحارث الأنصاري، وأبو عامر الأشعري رضي الله عنهم جميعا. ^(٢)



(١) فتح الباري لابن حجر (٨ / ٤٢)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤ / ١١٠) والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٣٢٦).

غزوة الطائف

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٨- ثُمَّ إِلَى ثَقِيفٍ بِجَـ يَشُهُ الْكَـ ثَقِيفٍ

٢٠٩- حَاصِرَهَا

الشرح

ثقيف قرية سعودية، ومركز يتبع لمحافظة الطائف في منطقة مكة المكرمة. تقع جنوب الطائف بمسافة تقارب (١٤٥) كم.

وتعرف هذه الغزوة بغزوة الطائف وهذه الغزوة في الحقيقة امتداد لغزوة حنين، وذلك أن معظم فلول هوازن وثقيف دخلوا الطائف مع قائدهم مالك بن عوف النصري، وتحصنوا بها، فسار إليهم رسول الله ﷺ بعد فراغه من حنين، وذلك في شهر شوال سنة ثمان للهجرة. وكانت ثقيف لما انهزموا من حنين وأوطاس، تحصنوا بحصونهم المنيعة في الطائف.

فانطلق إليهم رسول الله ﷺ وقد تحصنوا فحاصرهم أربعين ليلة كما ثبت ذلك في مسلم عن أنس ^(١).

ونصب رسول الله ﷺ المنجنيق على أهل الطائف، وقذف به القذائف، وهو أول منجنيق رُمي به في الإسلام. ^(٢)

وقد نزل المسلمون قريباً من حصون الطائف فكانوا في تناول سهام ثقيف

(١) رواه مسلم (١٠٥٩)

(٢) انظر المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (١/ ٤٠٦) وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالح (٥/ ٣٨٥) والسيرة الحلبية (٣/ ١٦٧).

فأصيب بعضهم فتحولوا بعسكرهم إلى الموضع الذي بنى فيه مسجده وهو المعروف اليوم بمسجد عبد الله بن عباس، والطائف قديما كانت إلى الجنوب الغربي من المسجد وكان القتال تراشقا بالسهم على بعد وقد استخدم المسلمون آلة من الخشب الثخين المغلف بالجلود مركبة على عجلات مستديرة احتموا بها من السهم حتى وصلوا إلى الأسوار ليثقبوها، فألقت ثقيف عليهم قطع حديد محماة فأحرقت الدبابة - وهو اسم الآلة - وخرج المقاتلون من تحتها فأصابتهم السهام. (١)

وهذه هي أول غزوة يستخدم فيها المسلمون آلات لضرب الحصون، وقد اشتهرت جرش اليمانية - التي لا تزال أطلالها قائمة أعلى وادي بيشة - بصناعة الدبابات والمجانيق والضبور. ويذكر ابن إسحق أن اثنين من وجوه ثقيف كانا يتعلمان في جرش صنعة هذه الآلات للاستفادة منها في الدفاع عن الطائف. (٢)

ثم أخذ رسول الله ﷺ يبحث أصحابه رضي الله عنهم على الرمي.

عن أبي نجيع السلمي رضي الله عنه قال: حاصرنا مع النبي ﷺ حصن الطائف، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: من بلغ بسهم فله درجة في الجنة، ومن رمى بسهم في سبيل الله عز وجل فهو له عدل محرر، ومن شاب شبية في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة. قال أبو نجيع رضي الله عنه: فبلغت يومئذ ستة عشر سهما، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: من رمى بسهم في سبيل الله عز وجل فهو عدل محرر. (٣)

ولما طال حصار الطائف واستعصى على المسلمين، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ بفتح

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧٨ وما بعدها)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٨) وتاريخ الطبري (٢/ ٣٥٣) والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/

٥٠٩)

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٧٠٢٢) والحاكم (٤٣٧١) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود

(٣٩٦٥) والترمذي (١٧٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهو في الصحيح المسند للوادعي

(١٠١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٥٦)

الطائف، قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ناد في الناس: إنا قافلون إن شاء الله. فثقل ذلك على المسلمين واستنكروه، وقالوا: نذهب ولا نفتحه، فقال رسول الله ﷺ: اغدوا على القتال. فغدوا فأصابهم جراح، فقالوا: يا رسول الله! أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهد ثقيفا وائت بهم. ثم قال رسول الله ﷺ: إنا قافلون غدا إن شاء الله. فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك. ^(١)

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لرسول الله ﷺ، فأتى بثقيف مسلمين، قبل أن يرحل رسول الله ﷺ من الجعرانة، كما سيأتي في الوفود إن شاء الله تعالى.



(١) أخرج ذلك البخاري (٤٣٢٥) ومسلم (١٧٧٨)

تقسيم غنائم حنين

قال الناظم وفقه الله:

٢٠٩- ثُمَّ رَجَعُ يُقْسِمُ مَا كَانَ جَمْعُ

الشرح

أي بعد حصاره ﷺ للطائفتين رجوع يقسم غنائم حنين.
وقد قدم رسول الله ﷺ الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة، فنزل بها، وأقام بها ثلاث عشرة ليلة لا يقسم الغنائم^(١)، يبتغي أن يقدم عليه وفد هوازن مسلمين، فيحرزوا ما أصيب منهم، فلما لم يجئه أحد أمر بتقسيم الغنائم. وأول من أعطى رسول الله من الغنائم هم سادات العرب، يتألفهم إلى الإسلام. فأعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

أجعل نهبي، ونهب العبد يد بين عيينة، والأقرع
فما كان بدر، ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال: فأتم له رسول الله ﷺ مائة.^(٢)

وأعطى رسول الله ﷺ حكيم بن حزام مئة من الإبل، ثم سأله مئة أخرى، فأعطاه إياها، ثم سأله فأعطاه، ثم قال له رسول الله ﷺ: يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه

(١) ثبت ذلك في صحيح البخاري (٤٠٦٤) من حديث المسور بن مخرمة وسيأتي سياقه.

(٢) رواه مسلم (١٠٦٠) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه

بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى. قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لا أرزأ أحدا بعدك شيئا، حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال يا معشر المسلمين، إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي رحمه الله. (١)

قال ابن حجر رحمه الله: وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده ففطمها عن ذلك وترك ما يريه إلى ما لا يريه وإنما أشهد عليه عمر لأنه أراد ألا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه. (٢)

وأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية - وكان ما زال مشركا - مئة من الإبل، ثم مئة ثانية، ثم مئة ثالثة. قال صفوان: أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لأبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى صار وإنه أحب الناس إلي. (٣)

وازدحمت عليه ﷺ الأعراب يطلبون المال حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداؤه ﷺ، فقال: أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا، ولا كذوبا، ولا جبانًا. (٤)

وقد تم توزيع غنائم حنين بصورة خفيت حكمتها على بعض الصحابة آنذاك، حيث حظي بهذه الغنائم الطلقاء تأليفا لقلوبهم لقرب عهدهم بالإسلام، وعدم تمكين

(١) أخرج ذلك البخاري (١٤٧٢) من حديث حكيم بن حزام رحمه الله.

(٢) فتح الباري (٣/ ٣٣٦)

(٣) رواه مسلم (٢٣١٣) من حديث صفوان بن أمية رحمه الله.

(٤) أخرج ذلك البخاري (٢٨٢١) من حديث جبير بن مطعم رحمه الله.

معاني الإيمان من قلوبهم، فأعطى بعض زعماء العرب مائة من الإبل، وقد ذكر ابن هشام أسماء تسعة وعشرين رجلا من المؤلفلة قلوبهم. وزاد غيره ثلاثة وعشرين، فصار جملة العدد اثنين وخمسين رجلا. ^(١)

وقد بين رسول الله ﷺ عنهم الحكمة في إعطاء هذه الأموال العظيمة لسادات العرب، وحرمان بعض الصحابة منها، فقال رسول الله ﷺ: إني أعطي قوما أخاف ظلهم وجزعهم، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم: عمرو بن تغلب. ^(٢)

وقد بلغ رسول الله ﷺ أن الأنصار وجدوا في أنفسهم لعدم أخذهم شيئا من الأعطيات، وأن بعض أحدهم قالوا: إذا كانت الشدة فنحن ندعي، وتعطي الغنائم غيرنا. وقالوا: يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم. فجمعهم في قبة من آدم وقال: إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم، لو سلك الناس واديا وسلك الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار" فلما وضحت لهم الحكمة من التوزيع، وأن الرسول ﷺ وكلهم إلى إيمانهم، فهم مثال للتضحية والتجرد في سبيل العقيدة، يقلون عند الطمع ويكثرون عند الفزع، ولم تكن الدنيا همهم ولا المال مقصدهم، فلما عرفوا سبب منع الأعطيات عنهم أعلنوا رضاهم بذلك. ^(٣)

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيئا قسم الغنائم، فأعطى المؤلفلة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فقام رسول الله

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٩٤ - ٤٩٦) وشرح المواهب اللدنية (٣/ ٣٧) وفتح الباري (٨/ ٤٨) والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٥١٢)

(٢) أخرج ذلك البخاري (٣١٤٥) من حديث عمرو بن تغلب رضي الله عنه

(٣) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٥١٤)

ﷺ، فخطبهم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضاللا فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي. ويقولون: الله ورسوله آمن. فقال: ألا تجيبوني؟ فقالوا: الله ورسوله آمن. فقال: أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا، وكان من الأمر كذا وكذا لأشياء عددها. زعم عمرو ألا يحفظها. فقال: ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والابل، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ الأنصار شعار والناس دثار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا، لسلكت وادي الأنصار وشعبهم. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض.^(١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أناسا من الأنصار قالوا يوم حنين، حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجالا من قريش. المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشا، ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم!. قال أنس بن مالك: فحدث ذلك رسول الله ﷺ، من قولهم. فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم. فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: ما حديث بلغني عنكم. فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا، يا رسول الله! فلم يقولوا شيئا. وأما أناس منا حديثه أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسوله، يعطي قريشا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم! فقال رسول الله ﷺ: فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم. أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ؟ فوالله! لما تتقلبون به خير مما ينقلبون به. فقالوا: بلى يا رسول الله! قد رضينا. قال: فإنكم ستجدون أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله. فإني على الحوض. قالوا: سنصبر. قال أنس: فلم نصبر وفي لفظ آخر له: قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصار، فقال: أفيكم أحد من غيركم؟ فقالوا: لا. إلا ابن أخت لنا، فقال رسول الله

ﷺ: إن ابن أخت القوم منهم. فقال: إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة. وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم. أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم. لو سلكت الناس واديا، وسلك الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار. (١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم المقالة حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عباد، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة. قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فرده. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار: ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم! قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل. ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ الله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتهم، ولصدقتهم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك. وعائلا فأسيناك؟ وجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن

يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً: لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار. قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم. وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا. ^(١)

وقد أظهر بعض الأعراب المشتركين في غزوة حنين جفاء وغلظة عند قسمة الغنائم بالجعرانة، فأتى رسول الله ﷺ ذو الخويصرة التميمي، يعترض على قسمة الرسول ﷺ.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة، منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها، يعطي الناس، فقال: يا محمد! اعدل. فقال رسول الله ﷺ: ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعذل؟، لقد خبت وخسرت إن لم أعذل. فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: "معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية. ^(٢)

وفي رواية البخاري: بينما رسول الله ﷺ يقسم غنيمة بالجعرانة، إذ قال له رجل: اعدل، فقال له: لقد شقيت إن لم أعذل. ^(٣)

وقد وقعت تسميت هذا الرجل خارج الصحيحين كما جاء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سئل هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين يكلمه التميمي يوم حنين قال: نعم أقبل رجل من بني تميم يقال له ذو

(١) حسن: أخرجه أحمد (١١٧٣٠) واللفظ له وابن أبي شيبة (٣٣٠١٨) وأبو يعلى (١٠٩٢) وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٣٩٦)

(٢) رواه مسلم (١٠٦٣)

(٣) رواه مسلم (٢٩٦٩)

الخويصرة فوقف على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يعطي الناس قال يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «أجل فكيف رأيت؟» قال لم أرك عدلت قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم قال «ويحك إن لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟!» فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ألا نقتله قال «لا دعوه فإنه سيكون له شيعه يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم»^(١)

تنبيه:

وقع في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه^(٢) قصة أخرى شبيهة بقصة حرقوص، عندما بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن، وكان ذلك في سنة تسع، وكان المقسوم فيها ذهباً، بعثه علي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، وخص به رسول الله ﷺ أربعة أنفس وهم: عيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، وعلقمة بن علاثة، وهما قصتان وقعتا في وقتين في كل منهما إنكار القائل، وصرح في حديث أبي سعيد أنه ذو الخويصرة التميمي.

قال ابن حجر: فيمكن أن يكون تكرار ذلك منه في الموضوعين عند قسمة غنائم حنين وعند قسمة الذهب الذي بعثه علي.^(٣)

(١) **حسن:** أخرجه أحمد (٧٠٣٨) واللفظ له، وابن أبي عاصم في السنة (٩٢٩) باختلاف يسير، والطبراني (١٤٢٤٩) بنحوه مختصراً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣١/٦): رجاله ثقات. وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند (٣/١٢) وحسنه الألباني في تخريج كتاب السنة (٩٢٩) والوادعي في الصحيح المسند (٧٩٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤١٤) ومسلم (١٠٦٤).

(٣) فتح الباري (١٢/٢٩١).

قدوم وفد هوازن وإسلام مالك بن عوف رئيس هوازن

وبعد قسمة الغنائم، قدم وفد من هوازن يعلن إسلامها، ويطلب من رسول الله ﷺ رد الأموال والسبي عليهم، فخيرهم بين السبي والمال، فاختروا السبي.

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم: معي من ترون، وأحب الحديث الحديث إلي أصدقه، فاختروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال، وقد كنت استأنيت^(١)، وكان النبي ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة، حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن النبي ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإننا نختار سبينا، فقام في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء جاؤونا تائبين، وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل، فقال الناس: طيبنا يا رسول الله لهم، فقال لهم: إنا لا ندري من أذن منكم فيه ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم، فرجع الناس، فكلّمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه: أنهم طيبوا وأذنوا.^(٢)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة، وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا، من الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: أبناءكم ونسأؤكم أحب إليكم، أم أموالكم؟ قالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أحسابنا وبين أموالنا، بل ترد علينا نسأؤنا وأبنائنا، فهو أحب إلينا. فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فإذا صليت للناس الظهر، فقوموا، فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ، في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيك عند ذلك

(١) أي انتظرت وتربصت يقال آتيت، وآتيت، وتأتيت، واستأنيت. النهاية لابن الأثير (١/ ٧٨)

(٢) رواه البخاري (٢٤٠٢)

وَأَسْأَلُ لَكُمْ. فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ الظَّهْرَ قَامُوا، فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدُ الْمُطَلِّبِ فَهُوَ لَكُمْ. قَالَ الْمُهَاجِرُونَ: وَمَا كَانَ لَنَا، فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: أَمَا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا! وَقَالَ عَيْنَةُ بْنُ حَصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ: أَمَا أَنَا وَبَنُو فِزَارَةَ، فَلَا! قَالَ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ: أَمَا أَنَا وَبَنُو سَلِيمٍ فَلَا! قَالَتِ بَنُو سَلِيمٍ: لَا، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: يَقُولُ عَبَّاسُ: يَا بَنِي سَلِيمٍ، وَهْتَمُونِي! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا مِنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبْيِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَاخٍ مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ نَصِيْبِهِ. فَردُّوا عَلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ. ^(١)

وَيَلَاظُ أَنْ الرَّسُولَ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ السَّبْيَ إِلَى هَوَازِنَ عَنْ طَيْبِ نَفْسِ الْمُقَاتِلِينَ، لِأَنَّ الْغَنِيمَةَ مِنْ حَقِّهِمْ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَتَنَازَلُوا عَنْهَا بِرِضَاهُمْ وَوَعْدٍ مِنْ لَا يَرْضَى بِتَعْوِضِهِ عَنِ السَّبْيِ، وَتَأْكُدُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْعُرَفَاءِ الْمَسْئُولِينَ عَنِ الْجَنْدِ. وَقَدْ تَنَازَلَ مُعْظَمُ الْجَنْدِ عَنِ السَّبْيِ سِوَى الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَتَكَلَّمَ بِاسْمِ قَبِيلَةِ تَمِيمٍ كُلِّهَا وَعَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ وَتَكَلَّمَ بِاسْمِ قَبِيلَةِ فِزَارَةَ، فَوَعَدَهُمُ الرَّسُولَ ﷺ بِتَعْوِضِهِمْ عَنْهَا. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَدُومَ وَفْدِ هَوَازِنَ كَانَ بَعْدَ تَقْسِيمِ الْأَمْوَالِ وَالسَّبْيِ. ^(٢)

وَقَدْ سَرَّ الرَّسُولَ ﷺ بِإِسْلَامِ هَوَازِنَ وَسَأَلَهُمْ عَنْ زَعِيمِهِمْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ بِالطَّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ، فَوَعَدَهُمْ بِرَدِّ أَهْلِهِ وَأَمْوَالِهِ عَلَيْهِ وَإِكْرَامِهِ بِمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ إِنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مُسْلِمًا، فَجَاءَهُ مَالِكُ مُسْلِمًا فَأَكْرَمَهُ وَأَمَرَهُ عَلَى قَوْمِهِ وَبَعْضِ الْقَبَائِلِ الْمَجَاوِرَةِ الْآخَرَى. وَقَدْ حَسَنَ إِسْلَامَ مَالِكٍ، فَكَانَ يُقَاتِلُ ثَقِيفًا فِي الطَّائِفِ حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ. ^(٣)

(١) حسن: أخرجه النسائي (٣٦٨٨) وأحمد (٦٧٢٩) واللفظ له وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة

(١٩٧٣) وصحيح سنن النسائي (٣٤٤٩)

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٥١٧ / ٢)

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٤ / ١٤٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ / ١٩٨) ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا

(ص ١٢٣) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٥ / ٢٤٧٣)

اعتماد رسول الله ﷺ من الجعرانة

قال الناظم وفقه الله:

٢١٠- ثُمَّ مَضَى مُعْتَمِرًا مُلَبِّيًا مُوقِّراً

الشرح

ولما فرغ رسول الله ﷺ من قسمة الغنائم في الجعرانة أهل بالعمرة، وهذه العمرة تسمى عمرة الجعرانة.

والجعرانة هي حد الحرم المكي من الجهة الشمالية الشرقية لمكة المكرمة. وهي ميقات أهل مكة من كان داخل الحرم وأراد العمرة كميقات التنعيم.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، إلا التي كانت مع حجته: عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قَسَمَ غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته. ^(١)

وقد أنكر هذه العمرة ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا جَاءَ فِي مُسْلِمٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: ذكر عند ابن عمر، عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة فقال: لم يعتمر منها. ^(٢)

وفي البخاري قال نافع: ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة، ولو اعتمر لم يخف على عبد الله. ^(٣)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا محمول على نفي علمه أي أنه لم يعلم ذلك وقد ثبت أن النبي ﷺ اعتمر من الجعرانة والإثبات مقدم على النفي لما فيه من زيادة العلم وقد

(١) أخرجه البخاري (٤١٤٨) ومسلم (١٢٥٣)

(٢) رواه مسلم (١٦٥٦)

(٣) رواه البخاري (٢٩٧٥)

ذكر مسلم في كتاب الحج اعتماد النبي ﷺ من الجعرانة عام حنين من رواية أنس رضي الله عنه (١).

ويؤيد ما قاله النووي ما جاء عند أحمد وغيره عن محرش الكعبي رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً معتمراً، فدخل مكة ليلاً، فقصى عمرته، ثم خرج من ليلته، فأصبح بالجعرانة كبئت، فلما زالت الشمس من الغد، خرج في بطن سرف حتى جاء مع الطريق طريق المدينة، قال: فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس. (٢)

وفي طريق رسول الله ﷺ إلى المدينة لقيه أبو محذورة رضي الله عنه، فأسلم وعلمه النبي ﷺ الأذان وقال للنبي ﷺ يا رسول الله، مرني بالتأذين بمكة، فقال: قد أمرتك به. قال وذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهية، وعاد ذلك محبة لرسول الله ﷺ، فقدمت على عتاب بن أسيد؛ عامل رسول الله ﷺ بمكة، فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ. (٣)

وكان عمر أبي محذورة رضي الله عنه ست عشرة سنة، وأذن بمكة إلى أن مات سنة تسع وخمسين، وتوارث ولده، وولد ولده الأذان بعده بمكة في المسجد الحرام. (٤)

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، فقدمها لست ليال بقين من ذي القعدة سنة ثمان للهجرة. (٥)

(١) شرح النووي على مسلم (١١ / ١٢٦)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٩٩٦) والترمذي (٩٣٥) والنسائي (٢٨٦٤) وأحمد (١٥٥١٩) باختلاف يسير وصححه بن كثير في البداية والنهاية (٤ / ٣٦٥) والألباني في صحيح الترمذي (٩٣٥)

(٣) صحيح: أخرج قصة أبي محذورة الإمام أحمد (١٥٣٨٠) وابن حبان (١٦٨٠) ومأجه (٧٠٨) والنسائي (٦٣٢) باختلاف يسير وصححها الألباني في صحيح النسائي (٦٣١) وأصل القصة في مسلم (٣٧٩)

(٤) انظر تهذيب التهذيب (٤ / ٥٨٢) والطبقات الكبرى لابن سعد (٥ / ٣١٢)

(٥) انظر سيرة ابن هشام (٤ / ١٥٤)

زواج رسول الله ﷺ من الجونية ومفارقته لها

ومما وقع قبل تبوك في سنة ثمان زواج النبي ﷺ من ابنة الجون فاستعاذة منه فطلقها رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بها.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن ابنة الجون، لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعود بالله منك فقال لها: لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك. ^(١)

وعن أبي أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع النبي ﷺ حتى انطلقنا إلى حائط يقال له: الشوط، حتى انتهينا إلى حائطين، فجلسنا بينهما، فقال النبي ﷺ: اجلسوا ها هنا. ودخل، وقد أتى بالجونية، فأنزلت في بيت في نخل في بيتن أميمة بنت النعمان بن شراحيل، ومعها دايته حاضنة لها، فلما دخل عليها النبي ﷺ قال: هبي نفسك لي. قالت: وهي تهب الملكة نفسها للسوقة ^(٢)؟ قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن، فقالت: أعود بالله منك، فقال: قد عدت معاذ. ثم خرج علينا فقال: يا أبا أسيد، اكسها رازقين وألحقها بأهلها. ^(٣)

وفي رواية عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تزوج النبي ﷺ أميمة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين ^(٤).

(١) رواه البخاري (٤٩٥٥)

(٢) قال ابن حجر: السوق بضم السين المهملة يقال للواحد من الرعية والجمع قيل لهم ذلك لأن الملك يسوقهم فيساقون إليه ويصرفهم على مراده وأما أهل السوق فالواحد منهم سوقي. قال ابن المنير: هذا من بقية ما كان فيها من الجاهلية والسوقة عندهم من ليس بملك كائنا من كان فكأنها استبعدت أن يتزوج الملكة من ليس بملك وكان ﷺ قد خير أن يكون ملكا نبيا فاختر أن يكون عبدا نبيا تواضعا منه ﷺ لربه ولم يؤاخذها النبي ﷺ بكلامها معذرة لها لقرب عهدها بجاهليتها. فتح الباري (٩/ ٣٥٨)

(٣) رواه البخاري (٤٩٥٦)

(٤) رواه البخاري (٤٩٥٧)

قال ابن حجر: قوله فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل هو بالتنوين في الكل وأميمة بالرفع إما بدلا عن الجونية وإما عطف بيان وظن بعض الشراح أنه بالإضافة فقال في الكلام على الرواية التي بعدها تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شراحيل ولعل التي نزلت في بيتها بنت أخيها وهو مردود فإن مخرج الطريقين واحد وإنما جاء الوهم من إعادة لفظ في بيت وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن أبي نعيم شيخ البخاري فيه فقال في بيت في النخل أميمة إلخ وجزم هشام بن الكلبي بأنها أسماء بنت النعمان بن شراحيل بن الأسود بن الجون الكندية وكذا جزم بتسميتها أسماء محمد بن إسحاق ومحمد بن حبيب وغيرهما فلعل اسمها أسماء ولقبها أميمة. ^(١)

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله ﷺ امرأة من العرب، فأمر أبا أسيد أن يرسل إليها، فأرسل إليها فقدمت فنزلت في أجم بني ساعدة، فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءها فدخل عليها، فإذا امرأة منكسة رأسها، فلما كلمها رسول الله ﷺ قالت: أعوذ بالله منك قال: قد أعذتك مني. فقالوا لها: أتدريين من هذا؟ فقالت: لا، فقالوا: هذا رسول الله ﷺ جاءك ليخطبك، قالت: أنا كنت أشقى من ذلك. ^(٢)

قال القرطبي: وقول هذه المرأة لرسول الله ﷺ: أعوذ بالله منك يدلّ على أنها لم تعرفه، ولم تعرف ما يراد منها. ولذلك قالت لما أخبرت بمن هو، وما أريد بها: أنا كنت أشقى من ذلك. وقوله ﷺ: قد أعذتك. جواب لقولها، وموافقة لها على قصدها. وذلك: أنه فهم منها كراهية من قولها، ومن حالها؛ إذا كانت مُعْرِضَةً عَمَّنْ يُكَلِّمُهَا، ولعلّها لم تعجبه لا خلقاً، ولا خلقاً. ^(٣)

(١) فتح الباري (٩/ ٣٥٨)

(٢) رواه مسلم (٢٠٠٧)

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٢٧٥)

وقال ابن القيم رحمته الله بعد ذكر حديث عائشة وأسيد وسهل: وهذه كلها أخبار عن قصة واحدة في امرأة واحدة في مقام واحد، وهي صريحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن تزوجها بعد، وإنما دخل عليها ليخطبها.... فالقصة واحدة، دارت على عائشة وأبي أسيد وسهل، فكل منهم رواها، وألفاظهم فيها متقاربة، ويبقى التعارض بين قوله: «جاء ليخطبك»، وبين قوله: «فلما دخل عليها ودنا منها»، فيما أن يكون أحد اللفظين وهما، أو الدخول ليس دخول الرجل على امرأته، بل الدخول العام، وهذا محتمل. ^(١)



ولادة إبراهيم بن رسول الله ﷺ

ولد إبراهيم بن رسول الله ﷺ، في ذي الحجة سنة ثمان للهجرة. ^(١)

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له أبو سيف، فانطلق يأتيه، واتبعته، فانتھينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره قد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: يا أبا سيف، أمسك! جاء رسول الله ﷺ. فأمسك، فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول، فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيّد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون. ^(٢)

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ. قال: كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن، وكان ظُهره قيناً، فيأخذه فيقبله ثم يرجع. قال عمرو: فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظُئرين تكملان رضاعه في الجنة. ^(٣)

وتوفي وعمره ثمانية عشر شهراً كما ثبت ذلك عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. ^(٤)



(١) انظر تاريخ خليفة بن خياط (ص ٩٢) والتاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (٢/ ٢٦) وتاريخ دمشق لابن

عساكر (٣/ ١٤٦) والبداية والنهاية (٧/ ١٤٠)

(٢) رواه مسلم (٢٣١٥)

(٣) رواه مسلم (٢٣١٦)

(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٣١٨٧) وأحمد (٢٦٣٠٥) وحسنه ابن حجر في الإصابة (١/ ٩٣) والألباني

في صحيح أبي داود (٣١٨٧) والوادعي في الصحيح المسند (١٦١٦)

غزوة تبوك أو (العسرة)

قال الناظم وفقه الله:

٢١١- وَجَدَّ فِي الْمَسِيرِ وَالسَّيْرِ فِي الْعَسْرِيرِ
٢١٢- إِلَى تَبُوكٍ غَزَا إِلَيْهِ دَاعِيَا

الشرح

قال ابن حجر رحمه الله: كانت غزوة تبوك في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف وعند بن عائد من حديث بن عباس أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر وليس مخالفا لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة. ^(١)

وتبوك موقع شمال الحجاز يبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كيلا حسب الطريق المعبّدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاة الخاضعة لسلطان الروم آنذاك. وقد سُمّيت هذه الغزوة بتبوك نسبة إلى مكان حدوثها، وسُمّيت بغزوة العسرة أيضا لما كان أصاب المسلمين من الضيق الاقتصادي وقتها والذي تدل عليه أيضا الآية الكريمة ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧] ^(٢)

وقال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، ثم ساق حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولفظه: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك... الحديث. ^(٣)

(١) فتح الباري (٨/ ١١١)

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٥٢٤)

(٣) رواه البخاري (٤١٥٣)

وكان سببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن هرقل ملك الروم جمع جموعاً كثيرة من الروم والغساسنة وقبائل العرب الموالية له، فعلم رسول الله ﷺ بهم فخرج إليهم.^(١)

ويرى الحافظ ابن كثير أن السبب في عزم رسول الله ﷺ على غزو الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، بعدما فرغ رسول الله ﷺ من أمر جزيرة العرب، فقال ﷺ تعالى: فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].^(٢)

وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وكان رسول الله ﷺ قلماً يخرج إلى غزوة إلا وورى بغيرها، إلا ما كان من غزوة خيبر وغزوة تبوك، أم خيبر فلأن الله تعالى وعد رسول الله ﷺ بفتحها، وأما تبوك فلأن العدو كثير، والمسافة بعيدة، والحر شديد، فلا بد من الاستعداد والتزود.

عن كعب بن مالك ؓ قال: كان رسول الله ﷺ قلماً يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً وعدوا كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد.^(٣)

وقد حث رسول الله ﷺ الصحابة ؓ على الإنفاق لجيش العسرة، فتسابق الصحابة ؓ إلى التنافس في الإنفاق كل حسب مقدرته، وإليك بعض هذه النفقات. فكان من أعظم من أنفق في هذه الغزوة عثمان بن عفان ؓ.

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: ولم ينفق أحد أعظم من نفقة عثمان ؓ وحمل

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٣٢)

(٢) انظر البداية والنهاية (٥/ ٢)

(٣) رواه البخاري (٢٩٤٨) ومسلم (٢٧٦٩)

على مائتي بعير. (١)

عن عبد الرحمن بن سمرة: أن عثمان رضي الله عنه حيث حُوصِر، أشرف عليهم، وقال: أنشدكم بالله، ولا أنشدُ إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حفر رُومَةً فله الجنة. فحفرتها، أستم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة. فجهزه. (٢)

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة، فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول: ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم. يرددها مرارا. (٣)

وذكر الطبري بأسانيد عديدة لا تخلوا جميعا من ضعف لكنها تتساند لتقوية الخبر تاريخيا - أن عبد الرحمن بن عوف أنفق ألفي درهم - وهي نصف أمواله في تجهيز جيش العسرة. (٤)

ولم يجد فقراء المسلمين إلا أن يتقدموا باليسير الذي يقدرّون عليه فجاءوا على استحياء متعرضين لسخرية المنافقين.

قال ابن تيمية رحمته الله: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٣) وتاريخ الإسلام (١/ ٤٢٠)

(٢) رواه البخاري (٢٦٢٦)

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٠١) وأحمد (٢٠٦٣٠) واللفظ له وحسنه الألباني في تحقيق مشكاة

المصابيح (٦٠٧٣) وهداية الرواة مع تخريج المشكاة للألباني (٦٠١٨) وحسنه أيضا محققوا المسند

(٤) انظر تفسير الطبري (١٠ / ١٩١ - ١٩٦) وفيه المثنى بن إبراهيم الأملّي لا يعرف وعمر ابن أبي سلمة

ابن عبد الرحمن بن عوف نبه الشيخ محمود محمد شاكر على سقوطه من السند وأنه يضعف. السيرة

النبوية الصحيحة للعمري (٢ / ٥٢٥)

أَلِيمٌ ﴿[التوبة: ٧٩] فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا حَضَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ عَامَ تَبُوكَ جَاءَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ يَدُهُ تَعْجِزُ مِنْ حَمْلِهَا، فَقَالُوا: هَذَا مَرَاءٌ، وَجَاءَ بَعْضُهُمْ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: لَقَدْ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا عَنْ صَاعٍ فَلَانٍ، فَلَمْزُوا هَذَا وَهَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَصَارَ عِبْرَةً فِيمَنْ يَلْمِزُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ^(١)

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: لَمَّا أُمِرْنَا بِالْصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنَصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرِ مِنْهُ، فَقَالَ الْمَنَافِقُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِئَاءَ فَتْرَتٍ ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] الْآيَةِ. ^(٢)

وأما علبة بن زيد رضي الله عنه فإنه قام فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى، وقال: اللهم! إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول الله ﷺ، ولم تجعل في يد رسول الله ﷺ ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض. فلما أصبح مع الناس، قال رسول الله ﷺ: "أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟" فلم يَقم أحد، ثم قال رسول الله ﷺ: "أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ؟ فليقم"، فقام إليه علبة، فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: أبشر، فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة. ^(٣)

وجاء المعذرون من الأعراب إلى رسول الله ﷺ ليؤذن لهم في التخلف وتعللوا

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٢٦٤)

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٨) ومسلم (١٠١٨)

(٣) صحيح: ذكر قصة علبة الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٤٩) في ترجمة علبة بن زيد وتوسع في ذكر طرقها. وذكرها ابن إسحاق في السيرة (٤/ ١٧١) بدون سند. قال الألباني رحمه الله: صحيح، ذكره ابن إسحاق في المغازي بدون إسناد، وقد ورد مسنداً موصولاً من حديث مجمع بن حارثة وعمرو بن عوف وأبي عبس، وعلبة بن زيد نفسه وقتيبة كما بينه الحافظ في (الإصابة)، فليراجعها من شاء. فقه السيرة للغزالي بتحقيق الألباني (ص ٤٠٤)

بالجهد وكثرة العيال، فأذن لهم، ولكن لم يعذرهم، أي لم يقبل عذرهم لكذبهم فيه، وكانوا اثنان وثمانون رجلا. (١)

وقد عاتب الله نبيه على إذنه لهم فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]

قال الطبري رحمه الله: وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه حين شخص إلى تبوك لغزو الروم من المنافقين. (٢)

ولما أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، ودعاهم إلى النفير، أخذ المنافقون في تشييط همم الناس، وقالوا: إن رسول الله ﷺ لا طاقة له بالروم، والسفر بعيد، فرد عليهم الله سبحانه وتعالى، فقال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢]

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: يقول جل ثناؤه للنبي ﷺ، وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه في التخلف عنه حين خرج إلى تبوك فأذن لهم: لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك والمستأذنيك في ترك الخروج معك إلى مغزاك الذي استنفرتهم إليه ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ يقول: غنيمة حاضرة ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ يقول: وموضعا قريبا سهلا. ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ ونفروا معك إليهما، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد، وكلفتهم سفرا شاقا عليهم؛ لأنك استنهرتهم في وقت الحر وزمان القيظ وحين الحاجة إلى الكِن. (٣)

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أحد بني سلمة: يا جد، هل

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٣٢)

(٢) تفسير الطبري (١١ / ٤٧٧)

(٣) تفسير الطبري (١١ / ٤٧٦)

لك العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشدَّ عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك. ففيه نزلت: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَسْذَنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] ^(١)

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: وذكر أن هذه الآية نزلت في الجذ بن قيس... وبذلك تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل. ^(٢)

وقد ابتنى المنافقون مسجدا قبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه مكيدة للمسلمين ومضرة بهم، وزعموا أنهم بنوه للمنفعة والتوسعة على المسلمين، وقد أرادوا أن يفرقوا اجتماع المؤمنين في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة بصرف بعضهم للصلاة فيه، وقد طلب المنافقون من الرسول أن يصلي فيه تمويها على الناس فنهاه القرآن عن ذلك وسماه مسجدا ضارا قال الله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨] وسيأتي مزيداً من الكلام عليه إن شاء الله.

وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ، حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب منهم. مثل: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وأبو خيثمة، وأبو لبابة، وهو أحد الذين ربطوا أنفسهم في سواري المسجد، وكانوا نفر

(١) حسن: الخبر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٤٠٣) والطبري في تفسيره (٣٨٦ / ٦) وابن إسحاق في السيرة (٤ / ١٧٠) وأورد طرقه الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة (٢٩٨٨) وحسن إسناده.

(٢) تفسير الطبري (١١ / ٤٩١)

صدق، لا يتهمون في إسلامهم.^(١)

فلما تجهز رسول الله ﷺ خرج بجيشه العظيم، وكان ثلاثين ألفاً.

قال ابن حجر: وللحاكم في الإكليل من حديث معاذ خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً^(٢). وهذه العدة جزم بن إسحاق^(٣).

وفي الصحيحين أن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: والمسلمون مع رسول الله كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك الديوان.^(٤)

واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة: محمد بن مسلمة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقال: سباع بن عرفة الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والأول أثبت، واستخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس في الصلاة.^(٥)

وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، على أهله وأمره بالإقامة فيهم.
عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله ﷺ، أتخلفني في النساء والصبيان، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي.^(٦)

وعند النسائي في الكبرى وأحمد بلفظ: أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج مع النبي ﷺ حتى جاء ثنية الوداع، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبكي يقول: تخلفني مع الخوالم فقال: أو ما ترضى أن

(١) انظر سيرة ابن هشام (١٧٢ / ٤)

(٢) **ضعيف:** أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢٧٠ / ٧) وفيه أبو فروة يزيد بن سنان الجزري. قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (١٢٨٣ / ٣): رواه يزيد بن سنان الجزري: عن زيد بن أبي أنيسة، عن يحيى بن يعمر، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل قال: خرجنا ... ويزيد ليس بشيء، متروك الحديث.

(٣) فتح الباري (١١٧ / ٨)

(٤) رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩)

(٥) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٣٢ / ٢) وسيرة ابن هشام (١٧٣ / ٤)

(٦) رواه البخاري (٤١٥٤) ومسلم (٢٤٠٤) واللفظ له

تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة. ^(١)

ومضى رسول الله ﷺ فضرب عسكره في ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبي بن سلول، رأس المنافقين، عسكره على حدة أسفل منه نحو ذباب، وكان قد خرج في مجموعة من المنافقين - فلما سار رسول الله ﷺ نحو تبوك تخلف عنه ومعه المنافقون، وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به، يحسب أن قتالهم معه اللعب! والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرنين بالجمال، إرجافا برسول الله ﷺ وأصحابه. ^(٢)

وقبل أن يرتحل رسول الله ﷺ عن ثنية الوداع عقد الأولوية والرايات، ودفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأعطى الزبير بن العوام رضي الله عنه راية المهاجرين، وأعطى أسيد بن حضير رضي الله عنه راية الأوس، وأعطى الحباب بن المنذر راية الخزرج، وكان دليل الرسول ﷺ إلى تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعي رضي الله عنه. ^(٣)

وقد عانى الجيش الذهاب إلى تبوك مصاعب ثقيلة.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن شأن ساعة العسرة. فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرحل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بغيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيرا، فادع الله لنا. فقال: أوتحب ذلك؟ قال: نعم. قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر

(١) صحيح: أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨٤٤٣) وأحمد (١٤٦٣) واللفظ له وصححه ابن كثير في البداية والنهاية (٣٥٤/٧) والألباني في إرواء الغليل (١١/٥)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (١٧٣/٤) والطبقات الكبرى لابن سعد (٣٣٢/٢)

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٣٢/٢)

فلم نجدها جاوزت العسكر. ^(١)

وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى استأذنوا رسول الله ﷺ في نحر نواضحهم ليأكلوا منها.

عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد رضي الله عنهما - شك الأعمش - قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ: افعلوا، قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله ﷺ: نعم. قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم. قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤه، قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة. ^(٢)

وأكمل رسول الله ﷺ طريقه إلى تبوك، وفي الطريق مروا بالحجر ديار قوم صالح فاستحث رسول الله ﷺ راحلته، ونزل قريبا من ديار ثمود، فاستقى الناس من بئر كان بالحجر واعتجنوا به، فلما علم رسول الله ﷺ قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا

^(١) صحيح: رواه الحاكم (٥٧٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ورواه ابن خزيمة (١٠١) وأبو نعيم في الدلائل (٤٥٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٥ / ٢٣١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٩٦ / ٦): إسناده جيد قوي ولم يخرجوه. وقال ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (١ / ١٢٧): رجاله كلهم مخرَج لهم في الصحيح. وقال الضياء المقدسي في السنن والأحكام (١ / ٢٣٢): إسناده على شرط الصحيح. وصححه الألباني في تحقيق فقه السيرة (٤٠٧) والوادعي في الصحيح المسند (٩٩٨) وقال: هذا حديث صحيح وقد ذكره الدارقطني في العلل وذكر له علة غير قاذحة.

^(٢) رواه مسلم (٢٧)

أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ في أرض ثمود، الحجر، واستقوا من بئرها، واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردها الناقة. ^(١)

وفي رواية: مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر، فقال لنا رسول الله ﷺ: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم. ثم زجر فأسرع حتى خلفها. ^(٢)

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ، لما نزل الحجر في غزوة تبوك، أمرهم أن لا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها، فقالوا قد عجنا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين، ويهريقوا ذلك الماء. ^(٣)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر، قال: لا تسألوا الآيات، وقد سألهما قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوما، ويشربون لبنها يوما، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلا واحدا كان في حرم الله قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم، أصابه ما أصاب قومه. ^(٤)

(١) رواه البخاري (٣٣٧٩) ومسلم (٢٩٨١)

(٢) رواه البخاري (٣٣٨١) ومسلم (٢٩٨٠)

(٣) رواه البخاري (٣١٩٨)

(٤) **صحيح:** أخرجه أحمد (١٤١٦٠) واللفظ له. والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٢٤٨)، والحاكم (٣٧٥٦) باختلاف يسير وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٣/٧): أخرجه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح. وصححه ابن كثير

وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الصلوات في هذه الغزوة، ولما وصل المسلمون تبوك، وجدوا عينها قليلة الماء فدعا فيها النبي ﷺ ففاضت.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلّى الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوماً آخر الصلاة، ثم خرج فصلّى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلّى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي. فجئناها وقد سبقنا إليها رجالان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، قال: فسألتهما رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئاً؟ قالوا: نعم! فسبهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول. قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء. قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر، أو قال غزير - شك أبو علي أيهما قال حتى استقى الناس، ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً. ^(١)

ولما وصل رسول الله ﷺ تبوك خطب في أصحابه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك، فقال: «ما في الناس مثل رجل أخذ بعنان فرسه، فيجاهد في سبيل الله، ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل باد في غنمه، يقري ضيفه، ويؤدي حقه». ^(٢)

في البداية والنهاية (٧/ ١٦٥) وابن حجر في تحفة النبلاء (١٨٩) والوادعي في الصحيح المسند من دلائل النبوة (٣٩٥) ومحققوا المسند

(١) رواه مسلم (٧٠٦)

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢٨٣٧) واللفظ له والحاكم (٢٣٧٨) وصححه. وصححه أحمد شاكر في

تخريج المسند (٤/ ٣٠١) والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٥٩) والوادعي في الصحيح المسند

(٦٣٧)

ولم يقع قتال مع الروم في هذه الغزوة بل انتهى المسلمون إلى تبوك ولم يلقوا جموع الروم والقبائل العربية المنتصرة وأثر حكام المدن الصلح على الجزية. ^(١)
وقد مكث الجيش عشرين ليلة في تبوك ثم عادوا إلى المدينة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة. ^(٢)

وأما يحنة بن روبة، صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابا، فهو عندهم. ^(٣)
عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك.... وجاء رسول ابن العلماء، صاحب أيلة، إلى رسول الله ﷺ بكتاب. وأهدى له بغلة بيضاء. فكتب إليه رسول الله ﷺ وأهدى له بردا. ^(٤)

وفي لفظ البخاري: وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بردا، وكتب له ببحرهم. ^(٥)

وفي رواية أحمد: ثم جاء رسول الله ﷺ ملك أيلة، فأهدى لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء، فكساه رسول الله ﷺ بردا، وكتب له رسول الله ﷺ ببحره. ^(٦)

قال ابن حجر: قوله وكتب له ببحرهم أي ببلدهم أو المراد بأهل بحرهم لأنهم

(١) انظر البداية والنهاية (٥ / ١١)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٢٣٥) وأحمد (١٤١٧٢) وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام (٢ / ٦٤٣) وابن الملقن في البدر المنير (٤ / ٥٣٨) والنووي في المجموع (٤ / ٣٦٠) والألباني في صحيح أبي داود (١٢٣٥) ومحققوا المسند.

(٣) سيرة ابن هشام (٢ / ٥٢٥)

(٤) رواه مسلم (١٣٩٢)

(٥) رواه البخاري (١٤١١)

(٦) رواه أحمد (٢٣٦٠٤)

كانوا سكانا بساحل البحر أي أنه أقره عليهم بما التزموه من الجزية. (١)
 وأتى رسول الله ﷺ وهو بتبوك يهود جرباء، وأذرح، فأعطوه الجزية. (٢)
 وفي تبوك أرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد مع عدد من الصحابة إلى دومة الجندل
 وقد ذكر عروة بن الزبير مرسلًا أنه أرسله في أربعمئة وعشرين فارسًا، حيث أسر
 أكيدر بن عبد الملك الكندي - ملكها - وهو في الصيد خارجها، فصالحه النبي ﷺ
 على الجزية. (٣)

وأهدى أكيدر إلى رسول الله ﷺ حللة.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بعث رسول الله ﷺ جيشًا إلى أكيدر دومة، فأرسل إلى رسول
 الله ﷺ بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها رسول الله ﷺ، فقام على المنبر،
 أو جلس، فلم يتكلم، ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة، وينظرون إليها، فقال
 رسول الله ﷺ: أتعجبون منها قالوا: ما رأينا ثوبا قط أحسن منه! فقال النبي ﷺ:
 لمناديل سعد بن معاذ في الجنة، أحسن مما ترون. (٤)

وأقام رسول الله ﷺ في تبوك عشرين يوما - كما سبق - ولم يلق كيدا من أي عدو،
 ثم رجع إلى المدينة المنورة منتصرا، وكفى الله المؤمنين القتال.
 وقد اشتكى المسلمون إلى النبي ﷺ ما أصاب إبلهم من الجهد في طريق العودة
 فدعا لهم النبي ﷺ.

عن فضالة بن عبيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك، فجهد

(١) فتح الباري (٣/ ٣٤٦)

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٤٠) وسيرة ابن هشام (٤/ ١٧٩)

(٣) انظر الطبقات الكبرى (٢/ ١٦٦) وسيرة ابن هشام (٤/ ١٨٢) وأعلام النبوة للماوردي (ص ١٢٠)
 والمتنظم في تاريخ الملوك والأمم (٣/ ٣٦٤)

(٤) صحيح: رواه أحمد (١٢٢٢٣) وابن حبان (٧٠٣٧) والترمذي (١٧٢٣) وهو في الصحيحة للألباني
 (٣٣٤٦) وأصل الحديث في البخاري (٢٤٧٣) ومسلم (٢٤٦٩)

بالظَّهر جهدا شديدا، فشكوا إلى النبي ﷺ ما بظهرهم من الجهد، فتحين بهم مضيقا فصار النبي ﷺ فيه، فقال: مروا باسم الله. فمر الناس عليه بظهرهم، فجعل ينفخ بظهرهم: اللهم احمل عليها في سبيلك، إنك تحمل على القوي والضعيف، وعلى الرطب واليابس، في البر والبحر. قال: فما بلغنا المدينة حتى جعلت تنازعنا أزمته^(١). وفي طريق العودة حاول المنافقون وهم متلثمون لا يُعرفون تنفير دابة الرسول ﷺ في إحدى الثنايا لتطرحه، ففطن لهم وأمر بإبعادهم.

عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى: إن رسول الله أخذ العقبة، فلا يأخذها أحد. فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوق به عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، غشوا عمارا وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: قد، قد^(٢). حتى هبط رسول الله ﷺ، فلما هبط رسول الله ﷺ نزل ورجع عمار، فقال: يا عمار، هل عرفت القوم؟ فقال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون. قال: هل تدري ما أرادوا؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه. قال: فسأل عمار رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: نشدتك بالله، كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ فقال: أربعة عشر. فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر. فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله، وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. قال الوليد: وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة أن رسول الله ﷺ قال

(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٢٣٩٥٥) واللفظ له، والبزار (٣٧٥٨) وابن حبان (٤٦٨١) والطبراني (٧٧١) وقال الألباني في صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (٢/ ١٥٥): صحيح لغيره. وصححه محققو المسند.

(٢) قد: بفتح القاف: أي حسبي، وتكرارها لتأكيد الأمر. انظر النهاية (٤/ ١٨)

للناس، وذكر له أن في الماء قلة، فأمر رسول الله ﷺ مناديا فنادى: ألا يرد الماء أحد قبل رسول الله. فورده رسول الله ﷺ فوجد رهطا قد وردوه قبله، فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ. (١)

فلما وصل رسول الله ﷺ وأصحابه إلى وادي القرى، قال لأصحابه: إني متعجل إلى المدينة، فمن أراد منكم أن يتعجل معي فليتعجل.

وفي لفظ مسلم: إني مسرع، فمن شاء منكم فليسرع معي، ومن شاء فليمكث، فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال: هذه طابة، وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه. (٢)

ولما اقترب الجيش من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع يتلقونه.
عن السائب بن يزيد رضي الله عنه: لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقاه الناس فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع. (٣)

ودخل المدينة فصلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس.
وجاء المنافقون المتخلفون عن الغزوة فاعتذروا بشتى الأعذار، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله، وجاء كعب بن مالك وقد سبقه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، وقد أقر الثلاثة بأنه لا عذر لهم في تخلفهم عن الغزوة، ولم يرضوا أن يضيفوا إلى ذنب التخلف ذنبا جديدا وهو الكذب فنهى الرسول ﷺ المسلمين عن الكلام مع الثلاثة، فاجتنبهم الناس خمسين ليلة وأمرت نساؤهم باعتزالهم، فذهبن عند أهلهن إلا زوجة هلال إذ كان شيخا كبيرا فبقيت

(١) حسن: أحمد (٢٣٧٩٢) واللفظ له والبخاري (٢٨٠٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦ / ١٩٥): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وقال محققوا المسند: إسناده قوي على شرط مسلم. وحسنه الوادعي في الصحيح المسند (٥٣٣)

(٢) رواه البخاري (١٤٨١) ومسلم (١٣٩٢)

(٣) رواه البخاري (٣٠٨٢)

لخدمته فقط بإذن من الرسول ﷺ. وقد ضاقت بهم الدنيا، وحاول ملك الغساسنة استغلال الموقف فراسل كعب بن مالك ليلحق به، لكن كعب بن مالك أحرق الرسالة وقال إنها زيادة في امتحانه. واستمرت المقاطعة حتى نزل القرآن يعلن توبة الله عليهم قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨] ^(١)

وكانت غزوة تبوك هي آخر غزوات النبي ﷺ كما قال ذلك كعب ابن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه.



(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٥٣٦) والقصة في البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩)

هدم مسجد الضرار

قال الناظم وفقه الله:

٢١٣- وَالْمَسْجِدُ الَّذِي ضَرَّارُ هَدَمَهُ اللَّهُ خَتَارُ

الشرح

كان المنافقون قد بنوا مسجداً قبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه، ويديروا حلقات تأمرهم على المسلمين، وزعموا أنهم بنوه للمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعدة، ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله ﷺ، وكان الذي أمرهم ببنائه أبو عامر الفاسق، وكان واعدتهم أن يعينهم بالمال والسلاح، وأن يأتيهم بقوة من الروم لإخراج الرسول ﷺ من المدينة، وكانوا قد طلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه فامتنع رسول الله ﷺ عن الصلاة فيه، وقال: إني على جناح سفر، وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه فلما رجع النبي ﷺ من تبوك نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، نزل بذي أوان - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار - فجاء جماعة من المنافقين، وسألوه أن يأتي مسجدهم بقاء ليصلي فيه - وهو مسجد الضرار - فنزل الوحي على رسول الله ﷺ بهذه الآيات: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدَ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَلَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨]. فلما نزلت هذه الآيات دعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي أخا بني العجلان، فقال لهما: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم

أهله، فاهدماه وحرماه. فخرجا سريعين حتى أتياه، فأشعلا فيه النيران، وهدماه. ^(١)

وهذه القصة يضعفها أهل العلم من حيث سندها لكنها مستفيضة في كتب السيرة والتاريخ وقد أخرج الحاكم عن جابر بن عبد الله قال: رأيت الدخان من مسجد الضرار حين انهار. ^(٢) فلعل المسجد انهار بأمر الله دون حرق، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وكان مسجد الضرار قد بني لأبي عامر الفاسق الذي كان يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان المشركون يعظمونه، فلما جاء الإسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي ﷺ، وفراره إلى الكافرين، فقام طائفة من المنافقين يبنون هذا المسجد، وقصدوا أن يبنوه لأبي عامر هذا، والقصة مشهورة في ذلك، فلم يبنوه لأجل فعل ما أمر الله به ورسوله، بل لغير ذلك. ^(٣)



(١) ضعيف: قال الألباني: ضعيف، رواه ابن هشام: (٣٢٢ / ٢) عن ابن إسحاق بدون إسناد. لكن ذكره ابن كثير في التفسير: (٣٨٨ / ٢)، عن ابن إسحاق، عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر، وابن قتادة وغيرهم مراسلا. والله أعلم. تخريج فقه السيرة للغزالي (ص ٤١٢) وقال في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥ / ٣٧٠): حديث أن النبي ﷺ حرق مسجد الضرار، والأمر بهدمه مشهور في كتب السيرة، وما أرى إسناده يصح

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٨٩٨٩) وصححه ووافقه الذهبي وقال العلامة محمود شاكر في تحقيق تفسير الطبري (١٤ / ٤٩٣): هذا خبر صحيح الإسناد.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٣١)

وفد ثقيف وهدم اللات

قال الناظم وفقه الله:

٢١٤- ثُمَّ ثَقِيفٌ بَعَثْتُ بوفـدا وأسـلمت

٢١٥- وَهَدَمَ الْمُعِيرَ الصَّـلَاةَ نَمَ الشَّهْرُ يَرَهُ

الشرح

قال ابن إسحاق رحمته الله: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف ^(١).

وكان وفد ثقيف اثنا عشر رجلاً ساق ابن إسحاق أسماءهم، كما في سيرة ابن هشام وعيون الأثر ^(٢). وقد اشترطوا على النبي ﷺ عدة شروط وسألوه عدة أسئلة.

عن جابر رضي الله عنه قال: اشترطت ثقيف على النبي ﷺ: أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا ^(٣).

قال الخطابي رحمته الله: ويشبه أن يكون النبي ﷺ إنما سمح لهم بالجهاد والصدقة لأنهما لم يكونا واجبين في العاجل، لأن الصدقة إنما تجب بتمام الحول، والجهاد إنما يجب بحضور العدو، وأما الصلاة فهي واجبة في كل يوم وليلة فلم يجز أن يشترطوا تركها ^(٤).

وعن جابر بن عبد الله؛ أن وفد ثقيف سألوا النبي ﷺ فقالوا: إن أرضنا أرض باردة. فكيف بالغسل؟ فقال: أما أنا، فأفرغ على رأسي ثلاثاً ^(٥).

وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه وجعله يؤمهم في الصلاة.

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٣٧)

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٨٦) وعيون الأثر (٢/ ٢٠٢)

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٠٢٥) واللفظ له، وأحمد (١٤٧١٤) وصححه الألباني في صحيح أبي

داود (٣٠٢٥) وهو في السلسلة الصحيحة (١٨٨٨)

(٤) معالم السنن (٣/ ٣٥)

(٥) رواه مسلم (٣٢٨)

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال له: أم قومك قال: قلت: يا رسول الله، إني أجد في نفسي شيئاً. قال: ادنه. فجلستني بين يديه، ثم وضع كفه في صدري بين ثديي ثم قال: تحول، فوضعها في ظهري بين كتفي ثم قال: أم قومك! فمن أم قوماً فليخفف فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة. وإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء. ^(١)

وعنه رضي الله عنه قال: أن آخر كلام كلمني به رسول الله ﷺ، إذ استعملني على الطائف، فقال: خفف الصلاة على الناس. حتى وقَّت لي ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وأشباهها من القرآن. ^(٢)

وقد مكث الوفد خمسة عشرة يوماً في المدينة ثم عادوا إلى الطائف ومعهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة الثقفي ليهتما اللات، وقد حكى ابن إسحق وصفاً لحادثة هدم اللات واجتماع النساء الثقفيات حولها يبكين حتى أتم المغيرة هدمها وأخذ مالها من الذهب والجزع. وأهل الطائف يظنون أنها ستثار لنفسها وقد سخر منهم المغيرة فرمى معوله وركض فقالوا: ثارت الربة! فضحك ونصحهم بتوحيد الله وعاد فأنجز عمله. وبذلك زالت أسطورة اللات التي عبدت طويلاً من دون الله. ^(٣)

واللات اسم لرجل كان يُلْتُ السويق للحجاج كما قال ابن عباس رضي الله عنه: كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يُلْتُ سَوَيْقَ الْحَاجِّ. ^(٤)

(١) رواه مسلم (٤٦٨)

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٩١٦) واللفظ له، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧٠١٣) والطبراني (٨٣٥٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩١٩)

(٣) ذكر تفاصيل هدم اللات ابن هشام في السيرة (٥٤١ - ٥٤٢) من طريق ابن إسحق دون إسناد وابن كثير في البداية والنهاية (٣٣ - ٣٤) من طريق موسى بن عقبة دون إسناد. انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٥٢٠) وانظر طبقات ابن سعد (١/ ٢٧١) وتاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٥٠٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٠٣) وزاد المعاد (٣/ ٧٥٤) وانظر تفاصيل قدوم وفد ثقيف للرسول ﷺ في: سيرة ابن هشام (٤/ ١٩١) والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٥١) ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٠٢ - ٣٠٣) والبداية والنهاية (٥/ ٣٢).

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٩)

عام الوفود

قال الناظم وفقه الله:

٢١٦- ثُمَّ وَفُودُ الْعَرَبِ جَاءَتْ شَرِيفَ النَّسَبِ

الشرح

سُمِيَ العام التاسع بعام الوفود، حيث ابتدأت وفود القبائل العربية تقدم من أنحاء الجزيرة العربية معلنة دخولها في الإسلام منذ رجوع النبي ﷺ من الجعرانة في أواخر سنة ثمان، فقد كانت العرب تلوم بإسلامها الفتح فلما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، ويعتبر طبقات ابن سعد أوسع المصادر جمعا لأخبار تلك الوفود وقد بلغ مجموع ما ذكرته المصادر أكثر من ستين وفدا. ^(١)

وسنذكر قصص بعض هذه الوفود التي صح إسناد قدومها على نبينا محمد ﷺ لنلتمس من أحداثها العبرة والعظة.



(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢/ ٥٤١) وانظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢١ - ٢٢٢)

وفد بني تميم

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض. فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لو ددت أني كنت تركتها. ^(١)

وعن ابن أبي ملكية: أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أخبرهم: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمر الأقرع ابن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافاً، فتما ربا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ ؕ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]. ^(٢)

وفي رواية: كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر، لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم، أشار أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافاً، فارفعت أصواتهما عند النبي ﷺ فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

(١) رواه البخاري (٣٠١٩)

(٢) رواه البخاري (٤١٠٩)

أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ قال ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير: فكان عمر بعد ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر إذا حدث النبي ﷺ بحديث، حدثه كأخي السرار، لم يسمعه حتى يستفهمه. ^(١)



وفد بني عامر

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه عن أبيه: أنه وفد إلى النبي ﷺ في رهط من بني عامر قال: فأتيناه فسلمنا عليه، فقلنا: أنت ولينا، وأنت سيدنا، وأنت أطول علينا، وأنت أفضلنا علينا فضلا، وأنت الجفنة الغراء، فقال: قولوا: قولكم ولا يستجرنكم الشيطان.

وفي لفظ أبي داود: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله. قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرنكم الشيطان ^(١)

قال ابن الأثير رحمته الله: قوله: قولوا بقولكم ولا يستجرنكم الشيطان. الجري: الوكيل، يقال: جريت جريا، واستجريت جريا، أي: اتخذت وكىلا، ومعنى الحديث: يقول: تكلموا بما يحضركم من القول، ولا تسجعوا كأنما تنطقون على لسان الشيطان، وذلك: أن القوم كانوا مدحوه، فكره لهم المبالغة في المدح ونهاهم عن ذلك، وقوله: لا يستهوينكم. أي: لا يستميلنكم ويضلنكم، وقيل: لا يذهب بكم. ^(٢)



(١) صحيح: رواه أحمد (١٦٣١١) وأبو داود (٤٨٠٦) وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٥٨٥)

وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

(٢) جامع الأصول (١١ / ٤٩)

وفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي ﷺ: قد أجبتك. فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم. قال أنشدك بالله، الله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: اللهم نعم. فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر. ^(١)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه، وأناخ بغيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل المسجد، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جليداً أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: "أنا ابن عبد المطلب" قال: محمد؟ قال: نعم. فقال: ابن عبد المطلب، إني سائلك ومغلظ في المسألة، فلا تجدن في نفسك. قال: لا أجد في نفسي، فسل عما بدا لك. قال: أنشدك الله إلهك، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله بعثك إلينا رسولاً؟ فقال: اللهم نعم. قال: فأنشدك الله إلهك، وإله من

كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده، لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا يعبدون معه؟ قال: اللهم نعم. قال: فأنشدك الله إلهك، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم. قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. قال: ثم انصرف راجعاً إلى بعيده، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة. ^(١)



(١) حسن: رواه أحمد (٢٣٨٠) واللفظ له وأبو داود (٤٨٧) والدارمي (٦٧٨) والبخاري (٥٢١٩) والحاكم (٤٣٨٠) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه ابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٠٤ / ٢) وأحمد شاكر في تخريج المسند (١١٨ / ٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤ / ١): رجال أحمد موثقون. وحسنه الألباني في تحقيق فقه السيرة ص (٤٢٤) ومحققوا المسند.

وفد عبد القيس

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أن أناسا من عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا نبي الله، إنا حي من ربيعة، وبيننا وبينك كفار مضر، ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا، وندخل به الجنة، إذا نحن أخذنا به، فقال رسول الله ﷺ: أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير، قالوا: يا نبي الله، ما علمك بالنقير؟ قال: بلى، جذع تنقرونه، فتقذفون فيه من القطيعاء - قال سعيد: أو قال: من التمر -، ثم تصبون فيه من الماء، حتى إذا سكن غليانه شربتموه، حتى إن أحدكم - أو إن أحدهم - ليضرب ابن عمه بالسيف، قال: وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك، قال: وكنت أخبأها حياء من رسول الله ﷺ، فقلت: فقيم نشرب يا رسول الله؟ قال: في أسقية الأدم، التي يلاث على أفواهها، قالوا: يا رسول الله، إن أرضنا كثيرة الجرذان، ولا تبقى بها أسقية الأدم، فقال نبي الله ﷺ: وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان. قال: وقال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس: إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة. ^(١)

وفي لفظ أحمد: إن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله ﷺ، قال: "ممن الوفد؟ - أو قال: القوم - قالوا: ربيعة. قال: مرحبا بالوفد - أو قال: القوم - غير خزايا ولا ندامى. قالوا: يا رسول الله، أتيناك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولسنا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فأخبرنا بأمر ندخل به الجنة، ونخبر به من وراءنا. وسألوه عن أشربة، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع:

أمرهم بالإيمان بالله، قال: أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم. ونهاهم عن الدباء والحتم والنكير والمزفت - قال: وربما قال: والمقير - قال: احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم. ^(١)



(١) رواه أحمد (٢٠٢٠) وقال محققوا المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم

قَدُومُ وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ وَمَعَهُمْ مَسِيلِمَةُ الْكَذَابِ

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب وأسلموا إلا مسيلمة الكذاب لعنه الله. ^(١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت. فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم، رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي. فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب، صاحب اليمامة. ^(٢)



(١) انظر سيرة ابن هشام (٥٧٦ / ٢)

(٢) رواه البخاري (٤٣٧٣) ومسلم (٢٢٧٣)

وفد الأشعرين

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوبا. قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون: غدا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه ^(١)

قال البيهقي رحمه الله: قلت: وقد مضى قبل هذا ما يدل على أن قدوم أبي موسى الأشعري مع أصحابه كان مع أبي جعفر بن أبي طالب عليه السلام من الحبشة زمن خيبر، ويحتمل أن يكون رجع إلى من بقي من قومه فقدم بهم والله أعلم. ^(٢)



(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٠٢٦) والنسائي في السنن الكبرى (٨٢٩٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٥١) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٢٨) وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه أيضاً محققوا المسند.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٥١)

وفد مزينة

عن سالم بن أبي الجعد، عن النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربع مئة من مزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما لنا طعام نتزوده! فقال النبي ﷺ لعمر: زودهم. فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر، وما أراها تغني عنهم شيئاً. فقال: انطلق فزودهم. فانطلق بنا إلى عليّة له، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق، فقال: خذوا. فأخذ القوم حاجتهم، قال: وكنت أنا في آخر القوم، قال: فالتفت، وما أفقد موضع تمرّة، وقد احتمل منه أربع مئة رجل. ^(١)

وعن معاوية بن قرّة، عن أبيه رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في رهط من مزينة، فبايعناه وإن قميصه لمطلق، قال: فبايعناه، ثم أدخلت يدي في جيب قميصه فمست الخاتم. ^(٢)

(١) منقطع: رواه أحمد (٢٣٧٤٦) وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨ / ٣٠٤). وقال ابن حجر رحمته الله: رجاله ثقات، لكنه منقطع، فإن النعمان استشهد في خلافة عمر فلم يدركه سالم. الإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ٣٥٧) وقال محققوا المسند عند هذا الحديث: صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنه منقطع، فإن سالم بن أبي الجعد لم يدرك النعمان بن مقرن فيما قاله ابن حجر. وأخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١٠٧٦) من طريق محمد بن فضيل، والبيهقي في الدلائل (٥ / ٣٦٥ - ٣٦٦) من طريق عبث بن القاسم و (٥ / ٣٦٦) من طريق زائدة بن قدامة، ثلاثتهم عن حصين بن عبد الرحمن، بهذا الإسناد. ووقع في رواية زائدة: سالم بن أبي الجعد قال: قال لنا النعمان بن مقرن. ويغلب على ظننا أنه وهم من بعض رواته، أو أنه يحمل على معنى: قال لأهل حيناً أو لأصحابنا، والله تعالى أعلم. وأخرجه البيهقي (٥ / ٣٦٥) من طريق هشيم، عن حصين، عن ذكوان أبي صالح، عن النعمان بن مقرن. وهشيم يدلّس عن حصين ولم يصرح بسماعه منه، وذكوان لم يدرك النعمان أيضاً.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٨١) وأبو داود (٤٠٨٢) والترمذي في الشمائل (٥٩) وابن حبان (٥٥٦٣) وغيرهم. وصححه النووي في المجموع (٤ / ٤٦٨) والألباني في صحيح أبي داود (٤٠٨٢) والوادعي في الصحيح المسند (١٠٧٨) وقال: هذا حديث صحيح، ورجاله رجال الصحيح، إلا عروة بن عبد الله القشيري، وقد وثقه أبو زرعة.

وفد نجران

عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد، صاحباً نجران، إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالاً: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين. فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح. فلما قام، قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة.

وفي لفظ مسلم: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ. فقالوا: يا رسول الله! ابعث إلينا رجلاً أميناً. فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين. حق أمين. قال: فاستشرف لها الناس. قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح. ^(١)



وفد كندة

عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة، ولا يروني إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله، أأستم منا؟ فقال: نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا، ولا نتنفي من أبينا. قال: فكان الأشعث بن قيس يقول: لا أوتي برجل نفى رجلا من قريش من النضر بن كنانة إلا جلده الحد. ^(١)



(١) حسن: أخرجه ابن ماجه (٢٦١٢) واللفظ له، وأحمد (٢١٨٨٨) قال بن كثير في البداية والنهاية (١٨٦/٢): إسناده جيد قوي. وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢١٣٢) وفي إرواء الغليل (٣٥/٨) ومحققوا المسند.

وفد دوس

عن أبي هريرة قال: قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا قد كفرت وأبت، فادع الله عليها! فقيل: هلكت دوس! فقال: اللهم اهد دوسا وائت بهم. ^(١)

قال ابن حجر رحمه الله: قوله: اللهم اهد دوسا وائت بهم. وقع مصداق ذلك فذكر بن الكلبي أن حبيب بن عمرو بن حثمة الدوسي كان حاكما على دوس وكذا كان أبوه من قبله وعمر ثلاثمائة سنة وكان حبيب يقول إني لأعلم أن للخلق خالقا لكني لا أدري من هو فلما سمع النبي ﷺ خرج إليه ومعه خمسة وسبعون رجلا من قومه فأسلم وأسلموا. وذكر بن إسحاق أن النبي ﷺ أرسل الطفيل بن عمرو ليحرق صنم عمرو بن حثمة الذي كان يقال له ذو الكفين بفتح الكاف وكسر الفاء فأحرقه. وذكر موسى بن عقبة عن بن شهاب أن الطفيل بن عمرو استشهد بأجنادين في خلافة أبي بكر. وكذا قال أبو الأسود عن عروة وجزم بن سعد، بأنه استشهد باليماة وقيل باليرموك. ^(٢)



(١) رواه البخاري (٤٣٩٢) ومسلم (٢٥٢٤) واللفظ له.

(٢) فتح الباري (٨ / ١٠٢)

وفد حضر موت

عن سويد بن حنظلة رضي الله عنه قال: خرجنا نريد رسول الله ﷺ، ومعنا وائل بن حجر، فأخذه عدو له، فتخرج الناس أن يحلفوا، وحلفت: أنه أخي، فخُلي عنه، فأتينا رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: أنت كنت أبرهم وأصدقهم، صدقت المسلم أخو المسلم. ^(١)



(١) صحيح: رواه أحمد (١٦٧٢٦) وأبو داود (٣٢٥٦) وابن ماجه (٢١١٩) والحاكم (٨٠٣١) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٩/ ١١٠): رجاله ثقات وله طرق. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٥٦) وحسنه محققو المسند

وفد مذحج

عن ابن هانئ؛ أن هانئاً لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه فسمعهم يكنون هانئاً أبا الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فلم تكني أبا الحكم؟ قال: قومي إذا اختلفوا في شيء رضوا بي حكماً فأحكم بينهم، فقال: إن ذلك لحسن، قال: فما لك من الولد؟ قال شريح، وعبد الله، ومسلم، قال: فأيهم أكبر؟ قال: شريح، قال: فأنت أبو شريح، فدعاه له ولولده، فلما أراد القوم الرجوع إلى بلادهم، أعطى كل رجل منهم أرضاً حيث أحب في بلاده، قال أبو شريح: يا رسول الله، أخبرني بشيء يوجب لي الجنة، قال: طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام. (١)

وهانئ هو: هانئ بن يزيد بن نهيك بن المذحجي. (٢)



(١) صحيح: رواه ابن حبان (٥٠٤) والهيتمي في موارد الظمان (١٩٣٧) وابن أبي شيبه (٣٤١٢١)

وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٣٩) وصحيح موارد الظمان (١٦٢٦)

(٢) الكمال في أسماء الرجال (١/ ٤٧٩) وانظر تهذيب الكمال (٣٠/ ١٤٦) والاستيعاب في معرفة

الأصحاب (٤/ ١٥٣٥)

حج أبي بكر بالناس في سنة تسع

قال الناظم وفقه الله:

- ٢١٧- وَفِي تَمَامِ تَسْعِ حَجِّ بِكْرٍ لِّجَمْعِ
 ٢١٨- الصَّاحِبِ الرَّفِيقِ النَّاسِكَ الصَّدِيقِ
 ٢١٩- وَقَالَ تَمَّ النُّسْكُ فَلَا يَحْجُجُ مُشْرِكُ
 ٢٢٠- وَلَا يَطُوفُ عَارِي مِنْ مَعَشَرِ الْكُفَّارِ

الشرح

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ: ثم أقام رسول الله ﷺ - أي بعد رجوعه من تبوك - بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع، ليقم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم. فخرج أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن معه من المسلمين. ^(١)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: حج المسلمون والمشركون جميعاً ^(٢) وكان المسلمون مع عتاب لكونه الأمير قلت والحق أنه لم يُختلف في ذلك ^(٣) وإنما وقع الاختلاف في أي شهر حج أبو بكر فذكر بن سعد وغيره بإسناد صحيح عن مجاهد أن حجة أبي بكر وقعت في ذي القعدة ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم في الإكليل ومن عدا هذين إما مصرح بأن حجة أبي بكر كانت في ذي الحجة كالداودي وبه جزم من المفسرين الرماني والثعلبي والماوردي وتبعهم جماعة وإما ساكت والمعتمد ما قاله

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٤٣)

(٢) أي في سنة ثمان بعد عمرة الجعرانة

(٣) أي في أن حجة أبي بكر كانت في سنة تسع

مجاهد وبه جزم الأزرقى ويؤيده أن بن إسحاق صرح بأن النبي ﷺ أقام بعد أن رجع من تبوك رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله أعلم. ^(١)

وعن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ﷺ، ليقم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله، لو بعثت بها إلى أبي بكر. فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي". ثم دعا علي بن أبي طالب فقال: اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: ألا إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته. فخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور. ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم؛ ليرجع كل قوم إلى ما منهم وبلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد، فهو له إلى مدته، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ. ^(٢)

وعن ابن عباس ؓ قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه علياً، فبينما أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء،

(١) فتح الباري (٨ / ٨٢)

(٢) حسن: قال الألباني: حديث حسن، رواه ابن هشام: (٢ / ٣٢٨) عن ابن إسحاق عن أبي جعفر محمد ابن علي مرسلاً، لكن له شواهد يتقوى بها. تحقيق فقه السيرة للغزالي (ص ٤١٧)

فخرج أبو بكر فزعا فظن أنه رسول الله ﷺ فإذا هو علي، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ وأمر عليا أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا فحجا، فقام علي أيام التشريق، فنادى: «ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن». وكان علي ينادي، فإذا عبي قام أبو بكر فنادى بها. ^(١)

وعن زيد بن يشع، قال: سألنا عليا، بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: بعثت بأربع: ألا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا.

وفي لفظ أحمد: بأي شيء بعثت؟ يعني يوم بعثه النبي ﷺ مع أبي بكر في الحجة، قال: بعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهدته إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا. ^(٢)

فكان أبو بكر رضي الله عنه أمير على الحج وعلي رضي الله عنه يبلغ صدر سورة براءة، ويساعده عدد من الصحابة في النداء بها منهم أبو هريرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: بعثني أبو بكر في تلك الحجة، في مؤذنين يوم النحر، نوذن بمنى: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٠٩١) واللفظ له، والطبراني (٤٠٠ / ١١) (١٢١٢٨) والحاكم (٤٣٧٥) قال الألباني في إرواء الغليل (٣٠٣ / ٤): رجاله كلهم ثقات رجال البخاري فهو صحيح الإسناد. وصححه في صحيح الترمذي (٣٠٩١)

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٠٩٢) والحاكم (٤٣٧٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد (٥٩٤) وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند (٣٢ / ٢) ومحققوا المسند والألباني في تحقيق فقه السيرة للغزالي (ص ٤١٨)

الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ عليا، فأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.^(١)

وعنه رضي الله عنه قال: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، بعثه - في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع - يوم النحر، في رهط يؤذن في الناس: ألا، لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.^(٢)



(١) رواه البخاري (٣٦٢)

(٢) رواه البخاري (٤١٠٥) ومسلم (١٣٤٧)

حجة الوداع

قال الناظم وفقه الله:

٢٢١- وَالْخُطْبُ الشَّهْرُ فِي الْحَجَّةِ الْأَخِيرَةِ
 ٢٢٢- لَمْ حَ بِالْوَدَاعِ فِي أَطْهَرِ الْبَقَاعِ

الشرح

سميت حجة الوداع لأنه، عليه الصلاة والسلام، ودع الناس فيها، ولم يحج بعدها. ^(١)

عن ابن عمر رضي الله عنهما: وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات، في الحجة التي حج، بهذا، وقال: هذا يوم الحج الأكبر. فطلق النبي ﷺ يقول: اللهم اشهد. وودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع. ^(٢)

وقد خرج النبي ﷺ من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة في السنة العاشرة من هجرته، واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، ويقال: سباع بن عرفة الغفاري. ^(٣)
 وقد أمر النبي ﷺ من يؤذن في الناس يعلمهم بخروجه إلى الحج ويدعو من يرغب في ذلك على مرافقته.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج. ثم أذن في الناس في العاشرة؛ أن رسول الله ﷺ حاج. فقدم المدينة بشر كثير. كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله ﷺ. ويعمل مثل عمله.

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ٤٠٤)

(٢) رواه البخاري (١٦٥٥)

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٢)

وفي لفظ النسائي: فلم يبق أحد يقدر على أن يأتي راكباً أو راجلاً إلا قدم، فتدارك الناس ليخرجوا معه. ^(١)

ولما وقف في عرفة نزلت عليه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة. ^(٢)

وقد تعلم المسلمون مناسك الحج من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لهم خذوا عني مناسككم. ^(٣) فجاءت حجته حافلة بالأحكام الشرعية وخاصة ما يتعلق بالحج وبالوصايا والأحكام العامة التي ورد في خطبة عرفات، لذلك اهتم العلماء بحجة الوداع اهتماماً كبيراً واستنبطوا منها الكثير من أحكام المناسك وغيرها مما تحفل به كتب الفقه وكتب شروح الحديث وقد ألف ابن حزم كتاباً مستقلاً فيها وكذلك العلامة الألباني رحمهما الله تعالى.



(١) رواه مسلم (١٢١٨) والنسائي في الكبرى (٣٧٢٧)

(٢) رواه البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧)

(٣) رواه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر.

عدد خطب النبي ﷺ في حجة الوداع

وقول الناظم وفقه الله:

٢٢١- وَالْخُطْبُ الشَّهْرُ فِي الْحِجَّةِ الْأَخِيرَةِ

الشرح

يشير وفقه الله إلى أن الخطب التي قام بها النبي ﷺ في حجة الوداع أكثر من واحدة، وهُنَّ حسب ما وقفت عليه من الأدلة أربع في الحج والخامسة في طريقه إلى المدينة عند غدير خم.

الأول في اليوم السابع قبل يوم التروية:

ودليل ذلك حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان قبل التروية بيوم خطب الناس فأخبرهم بمناسكهم. ^(١)

الثانية يوم عرفة:

ودليل ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يخطب بعرفات. ^(٢)
وكذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة. ^(٣)

(١) صحيح: أخرجه ابن خزيمة (٢٧٩٣) والحاكم (١٦٩٣) وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٤)، والصحيحة (٢٠٨٢).

(٢) رواه البخاري (١٧٤٠) ومسلم (١١٧٨)

(٣) رواه البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧) باختلاف يسير.

الثالثة يوم النحر:

ودليل ذلك حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: أتدرون أي يوم هذا قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر، قلنا: بلى، قال: أي شهر هذا، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس ذو الحجة، قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست بالبلدة الحرام، قلنا: بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت، قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. ^(١)

الرابعة وسط أيام التشريق:

ودليل ذلك ما رواه أبو داود عن رجلين من بني بكر قال: رأينا رسول الله ﷺ يخطب بين أوسط أيام التشريق ونحن عند راحلته وهي خطبة رسول الله ﷺ التي خطب بمنى. ^(٢)

قال ابن القيم رحمته الله: وخطب ﷺ الناس بمنى خطبتين: خطبة يوم النحر وقد تقدمت، والخطبة الثانية في أوسط أيام التشريق، فقليل: هو ثاني يوم النحر، وهو أوسطها أي خيارها. ^(٣)

وقال صاحب عون المعبود رحمته الله: (يخطب بين) أي في (أوسط أيام التشريق) هو

(١) رواه البخاري (١٧٤١)

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٩٥٢) والبيهقي (٩٩٦٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٠٦)

والوادعي في الصحيح المسند (١٥٠٨)

(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٥٠)

اليوم الثاني من أيام التشريق (وهي) أي خطبته ﷺ في ثاني عشر ذي الحجة (التي خطب بمنى) يوم النحر عاشر ذي الحجة فالخطبتان في يوم النحر وفي ثالث النحر متحدتان في المعنى وهو تعليم أحكام المناسك وغير ذلك. (١)

الخامسة عند غدير خم:

وفي طريق العودة من حجة الوداع خطب الرسول ﷺ الناس في غدير خم قريبا من الجحفة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وأمسك بيد علي بن أبي طالب فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. وكان علي قد أقبل من اليمن وشهد حجة الوداع وقد اشتكى بعض الجند عليا وأنه اشتد في معاملتهم وكان قد استرجع منهم حللا وزعها عليهم نائبه، فأوضح لهم النبي ﷺ في غدير خم مكانة علي ونبه على فضله لينتهوا عن الشكوى. (٢)

عن بريدة بن الحصيب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكرت عليا فتنقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتغير فقال: يا بريدة أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه. (٣)

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (٥ / ٣٠٠)

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢ / ٥٥٠ - ٥٥١) وانظر تفاصيل ما حدث في غدير خم البداية والنهاية (٥ / ٢٠٩) وما بعدها.

(٣) صحيح: رواه النسائي في لسنن الكبرى (٨١٤٥) والحاكم وصححه وأحمد (٢٢٩٤٥) واللفظ له قال ابن كثير في البداية والنهاية (٥ / ٢٠٩): إسناده جيد قوي رجاله كلهم ثقات. وصححه الوداعي في الصحيح المسند (١٥٠) وقال الألباني: ورد من حديث زيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقاص، وبريدة بن الحصيب، وعلي بن أبي طالب، وأبي أيوب الأنصاري، والبراء بن عازب، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وأبي سعيد، وأبي هريرة. ثم ساق طرق كل رواية كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤ / ٣٣٠) وما بعدها.

وقوله:

لَمْ يَحْ بِـالْوَدَاعِ فِي أَطْهَرِ الْبَقَاعِ

أي أن النبي ﷺ لمَّح بتوديع الناس في خطبة حجة الوداع، وذلك بقوله ﷺ: خذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلى لا أحج بعد حجتي هذه. ^(١)

هل حج رسول الله ﷺ قبل الهجرة أم لا؟

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ حج ثلاث حجج: حجتين قبل أن يهاجر، وحجة بعدما هاجر. ^(١)

قال ابن حجر رحمته الله: قلت وهو مبني على عدد وفود الأنصار إلى العقبة بمنى بعد الحج فإنهم قدموا أولاً فتواعدوا ثم قدموا ثانياً فبايعوا البيعة الأولى ثم قدموا ثالثاً فبايعوا البيعة الثانية كما تقدم بيانه أول الهجرة وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك وقد أخرج الحاكم ^(٢) بسند صحيح إلى الثوري أن النبي ﷺ حج قبل أن يهاجر حججاً. وقال بن الجوزي: حج حججاً لا يعرف عددها وقال بن الأثير في النهاية كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر. ^(٣)

وقال رحمته الله: اقتصره على قوله: أخرى. قد يوهم أنه لم يحج قبل الهجرة إلا واحدة، وليس كذلك، بل حج قبل أن يهاجر مراراً بل الذي لا أرتاب فيه أنه لم يترك الحج وهو بمكة قط لأن قريشا في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وإنما يتأخر منهم عنه من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف وإذا كانوا وهم على غير دينٍ يحرسون على إقامة الحج ويرونه من مفاخرهم التي امتازوا بها على غيرهم من العرب فكيف يُظن بالنبي ﷺ أنه يتركه وقد ثبت من حديث جبير بن مطعم. ^(٤) أنه رآه في الجاهلية واقفا بعرفة وأن ذلك من توفيق الله له وثبت دعاؤه قبائل العرب إلى الإسلام بمنى ثلاث سنين متوالية. ^(٥)

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٠٧٦) والترمذي (٨١٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٨١٥)

(٢) مرسل: رواه الحاكم (٤٣٨٢) قال الزيلعي: رواه الطبراني في معجمه ومن طريق الطبراني رواه البيهقي في دلائل النبوة في باب حج النبي ﷺ وقال: تفرد به زيد بن الحباب. وبلغني عن البخاري أنه قال. هذا خطأ وإنما روي عن الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد عن النبي مرسلًا. تخريج أحاديث الكشاف (٣٨٦ / ٢)

(٣) فتح الباري (٨ / ١٠٤)

(٤) رواه البخاري (١٥٨١) وجاء عند ابن إسحاق بلفظ: رأيت النبي ﷺ قائماً مع الناس قبل أن ينزل عليه الوحي توفيقاً من الله تعالى له. قال ابن الملقن: وهذا يزيل شبهة من زعم أن رؤية جبير كانت بعد النبوة. التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١١ / ٥٥٣)

(٥) فتح الباري (٨ / ١٠٧)

تجهيز جيش أسامة بن زيد بن حارثة

قال الناظم وفقه الله:

٢٢٣- ثُمَّ إِلَى الرُّومِ أَمَرَ جَيْشًا يَلَاقِي مَنْ كَفَرَ
٢٢٤- أَمِيرُهُ أَسَامَةُ ذُو الْقَدْرِ وَالْإِمَامَةُ

الشرح

بعد أن قفل النبي ﷺ من حجة الوداع، ومضت بقية ذي الحجة والمحرم وصفر من العام العاشر فبدأ بتجهيز جيش إلى الشام وأمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يتوجه نحو البلقاء وفلسطين، فتجهز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار، وكان أسامة بن زيد بن ثمانى عشرة سنة، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار، فلم يقبل الرسول ﷺ طعنهم في إمارة أسامة وأوصى به خيرا ولكن هذه الحملة تأخرت بسبب مرض الرسول ﷺ بعد البدء بتجهيزها بيومين فقط. وكان أسامة قد أخذ اللواء الذي عقده الرسول ﷺ بيده وعسكر بالجرف وقد انفرد الواقدي بذكر عدد جيش أسامة وأنهم ثلاثة آلاف. (١)

قال ابن هشام رحمه الله: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ. (٢)

قال ابن كثير رحمه الله: وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال: إن أبا بكر كان فيهم. فقد غلط؛ فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف، قد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس، (٣) كما سيأتي، فكيف يكون في الجيش وهو إمام

(١) بتصرف من السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٢/ ٥٥٢)

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤١)

(٣) الحديث في البخاري (٧٣٠٣) ومسلم (٤١٨) من حيث عائشة رضي الله عنها.

المسلمين بإذن الرسول ﷺ من رب العالمين؟! ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم، فقد استثناه الشارع من بينهم بالنص عليه للإمامة في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، ثم لما توفي عليه الصلاة والسلام استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب، فأذن له في المقام عند الصديق، ونفذ الصديق جيش أسامة، كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه، إن شاء الله تعالى. ^(١)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثا. وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمرته، فقام رسول الله ﷺ، فقال: إن تطعنوا في إمرته، فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله! إن كان لخليقا للإمرة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده.

وفي لفظ آخر عنه: أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر: إن تطعنوا في إمارته - يريد أسامة بن زيد - فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله! إن كان لخليقا لها، وأيم الله! إن كان لأحب الناس إلي، وأيم الله! إن هذا لها لخليق - يريد أسامة بن زيد - وأيم الله! إن كان لأحبهم إلي من بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحكم. متفق عليه وهذا لفظ مسلم. ^(٢)



(١) البداية والنهاية (٨ / ٢٣)

(٢) رواه البخاري (٣٥٢٤) ومسلم (٢٤٢٦)

وفاة الرسول ﷺ

قال الناظم وفقه الله:

- ٢٢٥- وَمَاتَ خَيْرُ الْبَشَرِ مِنْ قَبْلِ بَدْءِ السَّفَرِ
 ٢٢٦- وَالْعُمُرُ عَنْ يَقِينٍ ثَلَاثَ مَعْسَرِينَ
 ٢٢٧- صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا سَحَّحَتِ الْمِيَاهُ
 ٢٢٨- مِنْ وَكَيْفِ السَّحَابِ وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ

الشرح

أي وتوفي ﷺ قبل بدء سفر أسامة رضي الله عنه.

وقد ألم المرض بالرسول ﷺ فاشتكى بعد عودته من حجة الوداع بحوالي ثلاثة أشهر.

قال ابن كثير رحمته الله: كانت وفاته عليه الصلاة والسلام بعد أحد وثمانين يوماً من يوم الحج الأكبر. ^(١)

وكان بدء شكواه في بيت ميمونة أم المؤمنين، واستغرق مرضه عشرة أيام، ومات في يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول. ^(٢)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة. ^(٣)

واختلف في أي وقت توفي رسول الله ﷺ من يوم الاثنين، فروى البخاري في صحيحه

عن أنس رضي الله عنه قال: بينما المسلمون في صلاة الفجر، لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٨٢)

(٢) انظر فتح الباري (٨/ ١٢٩ - ١٣٠)

(٣) رواه مسلم (٤١٨)

كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم صفوف، فتبسم يضحك، ونكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه، ليصل له: الصف، فظن أنه يريد الخروج، وهم المسلمون، أن يفتنوا في صلاتهم، فأشار إليهم: أتموا صلاتكم. فأرخى الستر، وتوفي من آخر ذلك اليوم. ^(١)

وجزم ابن إسحاق في السيرة فقال: توفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم -أي يوم الاثنين. ^(٢)

قال ابن حجر رحمته الله: قوله وتوفي من آخر ذلك اليوم يחדش في جزم بن إسحاق بأنه مات حين اشتد الضحى ويجمع بينهما بأن إطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحى يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس وقد جزم موسى بن عقبة عن بن شهاب رضي الله عنه بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس وكذا لأبي الأسود عن عروة فهذا يؤيد الجمع الذي أشرت إليه. ^(٣)

وتوفي ﷺ وهو ثلاث وستين سنة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين. ^(٤)

وقد صح أن شكواه ابتدأت منذ العام السابع عقب فتح خيبر بعد أن تناول قطعة من شاة مسمومة قدمتها له زوجة سلام بن مشكم اليهودية رغم أنه لفظها ولم يتلعتها

(١) رواه البخاري (٧٢١)

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤ / ٣١٢)

(٣) فتح الباري (٨ / ١٤٤ - ١٤٥)

(٤) رواه البخاري (٣٩٠٢)

لكن السم أثر عليه.

فروى البخاري تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم. ^(١)

ثم إن رسول الله ﷺ أراد أن يطوف على أزواجه، كما هي عادته في تعاذهن، فلما وصل إلى بيت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، اشتد به المرض، فاستأذن رسول الله ﷺ أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها، فأذن له، رضي الله عنه، فخرج بين عمه العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ورجلاه تخطان في الأرض رضي الله عنه.

روى البخاري ومسلم عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد وجعه، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذن له، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض، بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر. قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب.

وفي رواية لمسلم من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة أخبرته قالت: أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها وأذن له. قالت: فخرج ويد له على الفضل بن عباس ويد له على رجل آخر وهو يخط برجليه في الأرض. فقال عبيد الله: فحدثت به ابن عباس، فقال: أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ هو علي: ^(٢)

ولما حضرته الوفاة واشتد به المرض قال للصحابه: هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا

(١) صحيح: علقه البخاري (٤١٦٥) وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٧٩٢٩)

(٢) رواه البخاري (٤١٧٨) ومسلم (٤١٨)

بعده. فاختلّفوا فمنهم من أراد إحضار أدوات الكتابة، ومنهم من خشي أن يشق على الرسول ﷺ ذلك. ^(١) ويبدوا أن ثمة قرائن احتفت بذلك أفادت أن الأمر بإحضار أدوات الكتاب ليس على الوجوب بل فيه تخيير، فلما قال عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله، لم يكرر الرسول ﷺ ذلك، ولو كان ما أراد كتابته لازما لأوصاهم به كما أوصاهم في تلك الحالة مشافهة بإخراج المشركين من جزيرة العرب وبإكرام الوفود. وقد أفادت رواية صحيحة أن طلبه الكتابة كان يوم الخميس قبل وفاته بأربعة أيام، ولو كان واجبا لم يتركه لاختلافهم لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، وقد كان الصحابة يراجعونه في بعض الأمور ما لم يجزم بالأمر. ^(٢)

وخطب لا رضي الله عنه ناعياً نفسه وهي آخر خطبة خطبها رضي الله عنه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. فبكى أبو بكر رضي الله عنه. فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ، إن يكن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: يا أبا بكر لا تبك، إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر. ^(٣)

وعنه رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه ونحن في المسجد عاصبا رأسه بخرقه حتى أهوى نحو المنبر فاستوى عليه وابتغاه، قال: والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى الحوض من مقامي هذا. ثم قال: إن عبدا عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة. قال: فلم يفتن لها غير أبي بكر فذرفت عيناه

(١) الحديث في (٤٤٣٢) ومسلم (١٦٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنه

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للعمرى (٥٥٤ / ٢)

(٣) رواه البخاري (٤٦٦) واللفظ له ومسلم (٢٣٨٢)

فبكى. ثم قال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا يا رسول الله، قال: ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة. ^(١)

وقبض ﷺ ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها ودخل أبو بكر رضي الله عنه وكان غائبا في السنح فكشف عن وجه النبي ﷺ ثوبا كان عليه، ثم أكب عليه وقبله وخرج إلى الناس، وهم بين منكر ومصدق من هول الأمر، فرأى عمر رضي الله عنه يكلم الناس منكرًا موت الرسول ﷺ فاجتمع الناس على أبي بكر فقال: أما بعد من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فسكن الناس وجلس عمر رضي الله عنه على الأرض لا تحمله قدماءه وكأنهم لم يسمعوا الآية إلا تلك الساعة.

روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتييم رسول الله ﷺ وهو مغشي بتوب جبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. ^(٢)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو

(١) رواه ابن حبان (٦٥٩٣) وأحمد (١١٨٦٣) والدارمي (٧٧) وابن أبي شيبة (٣٨١٩٢) وصححه ابن حجر في هداية الرواة (٣٧٢/٥) والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (١٤٨/٧) والألباني في تحقيق هداية الرواة (٥٩١٤) ومحققوا المسند.

(٢) رواه البخاري (٤١٨٧)

بكر: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب: أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات. (١)

ولقد حزن الصحابة رضي الله عنهم على وفاة رسول الله ﷺ حزنا عظيما، روى الإمام أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه. قال: ما رأيت يوما قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة، وشهدت وفاته ﷺ، فما رأيت يوما قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي توفي رسول الله ﷺ فيه. (٢)



(١) رواه البخاري (٤٤٥٤)

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٢٢٣٤) واللفظ له، والدارمي (٨٨) وأبو يعلى (٣٤٨٦) وهو في الصحيح المسند للوادعي (١٢٢)

الخاتمة

قال الناظم وفقه الله:

٢٢٩- وَتَمَّ نَظْمُ الْحَسَنِ بِفَضْلِ مُسْدِي الْمَنِّ
٢٣٠- أَرْجُو بِهِ السَّلَامَةَ مِنْ كُرْبِ الْقِيَامَةِ

الشرح

نبه الناظم وفقه الله إلى تمام نظمه المبارك في سيرة النبي ﷺ وبين أن هذا حصل له بفضل الله ومنته ثم دعا الله أن ينجيه ويسلمه من كرب يوم القيامة متوسلاً إلى الله الله بهذا العمل المبارك فتقبل الله من الناظم نظمه ودعائه.

وقوله: الحسني

سألت الناظم وفقه الله عن هذه التسمية فقال: الحسني نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي أسرة تسكن عدد من المناطق اليمنية، من ضمنها محافظة حجة، ومحافظة إب، ومحافظة ريمة، وأنا من بيت الحسني، محافظة إب، مديرية مذيخرة، عزلة حليان.

وكان الناظم انتهى من كتابة نظمه في يوم الاربعاء ٢٩ / رجب / ١٤٤٣ هـ وكان الانتهاء من شرح هذه المنظومة المباركة ضحى يوم السبت خاتمة شهر ربيع الثاني لعام ١٤٤٦ من هجرة النبي ﷺ في مدينة الرياض المحروسة.



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

المقدمة	٣	مشاركته ﷺ في بناء الكعبة	٥٢
الْمَنْظُومَةُ الْحَسَنِيَّةُ فِي السَّيْرِ النَّبَوِيِّ	٥	تعبده ﷺ في غار حراء	٥٥
فَتْحُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ بِشَرْحِ الْمَنْظُومَةِ الْحَسَنِيَّةِ فِي		مقدمات الوحي: الرؤيا الصادقة	٥٧
السَّيْرِ النَّبَوِيِّ	١٩	تسليم الحجر والشجر على النبي ﷺ ..	٥٨
المقدمة	٢٠	سماع النبي ﷺ الصوت ورؤيته الضوء ..	٥٩
مولده ﷺ	٢٥	بدأ نزول الوحي عليه ﷺ	٦٠
موت أبيه ﷺ	٢٨	ذكر فتور الوحي عنه ﷺ	٦٣
مسألة ختان النبي ﷺ	٢٩	الدعوة السرية للنبي ﷺ	٦٤
حواضنه ومرضعاه ﷺ	٣٠	إسلام الجن	٦٨
شق صدره ﷺ	٣٤	بدأ الدعوة الجهرية للنبي ﷺ	٧٠
موت أمه ﷺ ورعاية جده له	٣٧	أذية المشركين لرسول الله ﷺ ومن معه	٧٢
رعاية عمه أبي طالب له ﷺ	٣٨	لجوء المشركين إلى المطالبة بالمعجزات	
رحلته ﷺ إلى الشام برفقة عمه	٣٩	لإثبات النبوة	٧٦
تجارته مع خديجة وزواجه منها ﷺ	٤٣	الهجرة الأولى إلى الحبشة	٧٨
أولاده ﷺ من خديجة	٤٥	الهجرة الثانية إلى الحبشة	٨٠
نشأته ﷺ	٤٨	وفد قريش إلى النجاشي	٨٢
شهود النبي ﷺ حلف الفضول	٥٠	إسلام عمر ؓ	٨٦

- | | |
|---|--------------------------------------|
| ١٣٩ مشروعية الأذان | ٩٠ إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ |
| ١٤٣ مواعدة النبي ﷺ لليهود | ٩١ حصار الشعب |
| ١٤٥ إسلام عبد الله بن سلام ﷺ | ٩٣ موت أبي طالب |
| ١٤٧ زواج النبي ﷺ من عائشة ﷺ | ٩٥ موت خديجة ﷺ |
| الإذن بالجهاد وأول غزوة غزاها النبي ﷺ | ٩٨ زواج النبي ﷺ من سودة ﷺ |
| ١٥٠ الأبواء | ١٠٠ خروج النبي ﷺ إلى الطائف |
| ١٥٢ سرية حمزة بن عبد المطلب ﷺ | ١٠٢ الإسراء والمعراج |
| ١٥٣ سرية عبيدة بن الحارث ﷺ إلى رابغ | صلاة الرسول ﷺ بالأنبياء عليهم الصلاة |
| ١٥٥ غزوة بواط | والسلام ١٠٩ |
| ١٥٦ غزوة العشيرة | عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل طلباً |
| ١٥٨ غزوة بدر الصغرى ويقال لها سفوان | للمنصرة ١١٠ |
| سرية عبد الله بن جحش ﷺ إلى | بيعة العقبة الأولى ١١٣ |
| ١٥٩ نخلة | بيعة العقبة الثانية ١١٥ |
| ١٦١ تحويل القبلة | أسماء النقباء الإثني عشر ١٢١ |
| ١٦٤ فرض صيام رمضان | الهجرة إلى المدينة المنورة ١٢٢ |
| ١٦٥ مراتب فرض الصيام | دخول النبي ﷺ المدينة ١٢٨ |
| ١٦٧ غزوة بدر الكبرى | فرح أهل المدينة بقدوم النبي ﷺ ١٣١ |
| ما حدث أعقاب غزوة بدر: وفاة رقية بنت | نزول النبي ﷺ في دار أبي أيوب ١٣٢ |
| ١٨٢ رسول الله ﷺ | بناء المسجد ومؤاخاته ﷺ بين المهاجرين |
| ١٨٤ مشروعية صلاة عيد الفطر | والأنصار ١٣٤ |

- غزوة بني سليم ١٨٥
- غزوة بني قينقاع ١٨٦
- زواج علي من فاطمة رضي الله عنها ١٨٨
- أول أضحي رآه المسلمون ١٨٩
- مقتل كعب بن الأشرف ١٩٠
- غزوة السويق ١٩٤
- وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه ١٩٥
- غزوة ذي أمر أو غطفان ١٩٦
- غزوة قرقرة الكدر ١٩٧
- زواج عثمان رضي الله عنه من أم كلثوم بنت الرسول ١٩٨
- رضي الله عنه ١٩٨
- غزوة بُحران ١٩٩
- سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى القردة ... ٢٠٠
- زواج النبي صلى الله عليه وسلم من حفصة بنت عمر ٢٠١
- رضي الله عنه ٢٠١
- زواج الرسول من زينب بنت خزيمة ٢٠٣
- رضي الله عنه ٢٠٣
- غزوة أحد ٢٠٤
- استشهاد حمزة رضي الله عنه ٢١١
- غزوة حمراء الأسد ٢٢٠
- سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى بني أسد ... ٢٢٢
- سرية عبد الله بن أنيس رضي الله عنه لقتل خالد بن ٢٢٤
- سفيان الهذلي ٢٢٦
- سرية الرجيع ٢٢٩
- فاجعة بئر معونة أو سرية القراء ٢٣٢
- غزوة بني النضير ٢٣٨
- زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من أم سلمة رضي الله عنها .. ٢٣٩
- غزوة بدر الموعد ٢٤١
- سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى طيء ٢٤٢
- وأسد ٢٤٣
- غزوة دومة الجندل ٢٤٥
- قدوم وفد مزينة ٢٤٧
- تحريم الخمر ٢٥١
- زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش .. ٢٥٣
- نزول الحجاب ٢٥٨
- غزوة بني المصطلق أو المريسيع ٢٦٠
- زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من جويرة بنت الحارث ٢٦٥
- رضي الله عنها ٢٦٥
- حدث الإفك ٢٦٥
- غزوة الخندق (الأحزاب) ٢٦٥

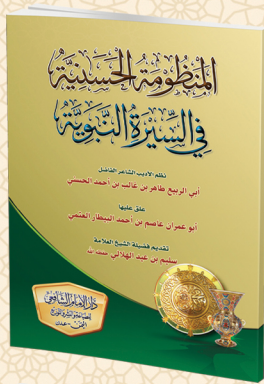
- | | |
|--|---|
| ٢٧٨ غزوة بني قريظة | ٣٤٥ ذلك من الأحداث |
| ٢٨٣ غزوة بني لحيان | قصة الحجاج بن علاط السلمي <small>رضي الله عنه</small> |
| ٢٨٥ سرية الخطب | ٣٤٧ وقريش |
| ٢٨٧ غزوة الحديبية وبيعة الرضوان | ٣٤٩ غزوة ذات الرقاع |
| ٣٠٨ إصابة الرسول <small>ﷺ</small> من سحر يهود | رجوع الرسول <small>ﷺ</small> إلى المدينة وأحداث |
| ٣١٠ رسائل النبي <small>ﷺ</small> إلى الملوك والأمراء | حدث في الطريق: صلاة الخوف .. ٣٥١ |
| ٣١٣ غزوة ذي قرد أو الغابة | محاولة اغتيال النبي <small>ﷺ</small> ٣٥٣ |
| ٣١٨ قصة عكل وعرينة | قصة عباد بن بشر <small>رضي الله عنه</small> ٣٥٤ |
| ٣٢٠ غزوة خيبر | بعض ما حدث بين ذات الرقاع وعمرة |
| ٣٣٠ قدوم جفر <small>رضي الله عنه</small> من الحبشة | القضاء: سرية عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small> إلى |
| في أعقاب غزوة خيبر: وضع السم للنبي <small>ﷺ</small> | ٣٥٥ تربة |
| ٣٣٢ في الشاة التي قدمت له هدية | سرية أبي بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small> إلى بني |
| سبي صفية بنت حيي وزواج النبي <small>ﷺ</small> | ٣٥٦ فزارة |
| ٣٣٤ منها | سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الحرقات |
| ٣٣٦ تحريم المتعة ولحم الحمر الإنسية | ٣٥٧ من جهينة |
| ٣٣٨ زواج النبي <small>ﷺ</small> من أم حبيبة | سرية بشير بن سعد <small>رضي الله عنه</small> إلى بني مرة .. ٣٥٨ |
| ٣٤١ فتح فذك | عمرة القضاء وما وقع فيها ٣٥٩ |
| ٣٤٢ حصار وادي القرى | زواج الرسول <small>ﷺ</small> من ميمونة بنت الحارث |
| ٣٤٤ مصالحة يهود تيماء | <small>رضي الله عنه</small> ٣٦٣ |
| عودة النبي <small>ﷺ</small> إلى المدينة وما حصل في | الأحداث من عمرة القضاء إلى فتح |

سرية خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى بني	٣٦٥	مكة: وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ
جذيمة ٤٠٥		إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص
غزوة حنين ٤٠٦		وعثمان بن طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٦٦
غزوة الطائف ٤١٩		غزوة مؤتة ٣٦٨
تقسيم غنائم حنين ٤٢٢		سرية ذات السلاسل ٣٧٣
قدوم وفد هوازن وإسلام مالك بن عوف	٣٧٦	سرية أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى إضم ٣٧٦
رئيس هوازن ٤٢٩		الفتح الأعظم فتح مكة ٣٧٧
اعتماد رسول الله ﷺ من الجُعْرَانَةِ ... ٤٣١		إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي
زواج رسول الله ﷺ من الجونية ومفارقه	٣٨٢	أمية بن المغيرة ٣٨٢
لها ٤٣٣		ما جاء في إسلام العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٨٤
ولادة إبراهيم بن رسول الله ﷺ ٤٣٦		إسلام أبي سفيان بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٨٦
غزوة تبوك أو (العسرة) ٤٣٧		إسلام عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن سعد
هدم مسجد الضرار ٤٥٣		ابن أبي السرح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٩٣
وفد ثقيف وهدم اللات ٤٥٥		إسلام أبي قحافة والد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... ٤٠١
عام الوفود ٤٥٧		السرايا والبعوث التي بعثها رسول الله ﷺ
وفد بني تميم ٤٥٨		أثناء وجوده بمكة: سرية خالد بن الوليد
وفد بني عامر ٤٦٠		رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى العزى ٤٠٢
وفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن		سرية عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى
بكر ٤٦١		سواع ٤٠٣
وفد عبد القيس ٤٦٣		سرية سعد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مناة ٤٠٤

٤٧٣	حج أبي بكر بالناس في سنة تسع	٤٦٥	الكتاب
٤٧٧	حجة الوداع	٤٦٦	وفد الأشعرين
٤٧٩	عدد خطب النبي ﷺ في حجة الوداع ..	٤٦٧	وفد مزينة
	هل حج رسول الله ﷺ قبل الهجرة أم	٤٦٨	وفد نجران
٤٨٣	لا ؟	٤٦٩	وفد كندة
٤٨٤	تجهيز جيش أسامة بن زيد بن حارثة ..	٤٧٠	وفد دوس
٤٨٦	وفاة الرسول ﷺ	٤٧١	وفد حضرموت
٤٩٢	الخاتمة	٤٧٢	وفد مذحج
٤٩٣	فهرس الموضوعات		

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صدر حديثاً



عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧ ٧٧٧٠١٢٥٢٢
حضر موت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضر موت سينون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم - ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧ ٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن